

استراتيجية الفتوحات الإسلامية

الله اكمل الله اكمل



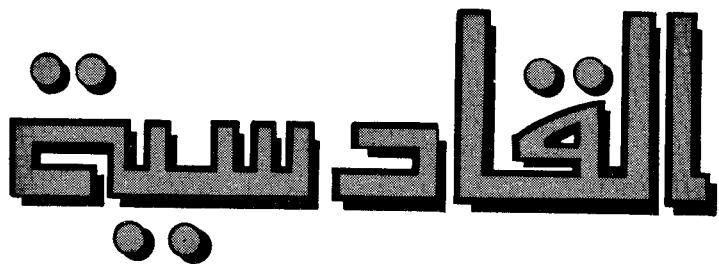
امداد عادل مکان

دار النحاس



استراتيجية الفتوحات الإسلامية

(۲)



امداد عادل کمائن

دار النحاس

جَمِيعُ الْحَقُوقِ مَحْفُوظَةٌ

الطبعة الأولى : ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م

الطبعة التاسعة : ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م

دار الناشر

العنوان: شارع فردا
بنية الصباح وصيف الدين

هاتف: ٩٣٢٩٣٣-٨١٠١٩٤

برقية: دانفاسيسكو صب ٦٣٤٧

مَبَرُورَت - لَبَّانَ

ألا هدا

إلى كل مخلص لله ي العمل لإنقاذ هذه الأمة
مما هي فيه ...

أَسْمَ اللهِ الْمُبِّرِّ الْمُبْرُورِ

تقديم

ليس أسعد لقلب كاتب من أن يحس بال التجاوب بين قرائه وبين ما يكتب . ولقد حدث هذا منذ اللحظات الأولى التي وصل فيها كتابنا «الطريق الى المدائن» الى أيدي القراء . كانت تسعدي كثيراً تلك الساعات الطوال التي شغلتها مناقشاتهم حول «الطريق الى المدائن» وكذلك كتابات الذين قرّطوه أو قدّموه الى قراء العربية على صفحات الجرائد والمجلات أو على موجات الاذاعات العربية او في نشرات بعض الجيوش العربية الى ضباطها ، فأفاضوا من المديح والثناء ما أسأل الله أن يكون مستحقاً له .

ولقد تناول «الطريق الى المدائن» من فتح العراق عامي ١٢ و ١٣ .^٥ فشمل حملة خالد بن الوليد وحملة أبي عبيد بن مسعود الثقفي وحملة المثنى بن حارثة الشيباني... ووقفنا من تلك الأحداث على قرار المثنى بالانسحاب من جميع أرض العراق بعد أن تم له اكتساحه اثر معركة البويب للأسباب التي أوضحتها . وهنالك في هذا الكتاب «القادسية» نستطرد من حيث وقفنا هناك ، فهو استكمال

متصل لأحداث التاريخ العربي وتحطيمات الفتح الإسلامي للعراق التي بدأناها في «الطريق إلى المدائن». كان «الطريق إلى المدائن» ثلاثة أجزاء صدرت في مجلد واحد شغلت المقدمات الجزء الأول منها، وما «القادسية» إلا الجزء الرابع من سفر هذا التاريخ العظيم. ولذلك فلن نجد هنا مقدمات جديدة، وكل ما نشير إليه في هذا الشأن أن النهج واحد في الكتابين.

هذا التاريخ نقدمه إلى أمتنا في وقت هي أشد ما تكون حاجة إليه، فإننا في صراعنا المعاصر لا نبدأ من فراغ، وليس على سطح الأرض اليوم لا في أمريكا ولا في أوروبا ولا في روسيا ولا في غيرها أمة لها ما لل المسلمين من جذور عميقة في التاريخ وفي الأصول الحضارية الصالحة وفي منهج الحياة... كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء. ولئن أتى على هذه الأمة خريف أسقط ما عليها من ورق ولم يرّ الراؤون عليها ما اعتادوا من أطاييف الشمر، وأقبل صبيان التاريخ يتقاقرزون على فروعها ويقطعون منها، فإن من طبائع الأمور الخاضعة لسنة الله أن تدعا جذورها من جديد بما سبق أنْ أمدتها به من قبل فتعود مثمرة مورقة تستظل البشرية بظلها، ولن يصلح شأن هذه الأمة إلا بما صلح به أوطها.

«القادسية»، نقدمه شاكرين لكل من استجاب لدراسته مخلصاً الله، ولكل قارئ، زودنا بتوجيه أو إرشاد أو نقد.

والله الموفق والمستعان.. هو يقول الحق.. وهو يهدي السبيل.

أحمد عادل كمال

القادسية في التاريخ

المعارك الحاسمة :

يترك الإنسان بصماته على ما يضع أصابعه عليه من أشياء فتبقى هذه البصمات كثيرةً أو قليلاً حتى يزيلها الناس أو يعفي عليها الزمن . ومن المعارك ما يضع بصماته على سطح الأرض فتبقى آثارها على التاريخ ما بقي كوكبنا لأنها لم تكن ذات أثر محدود يذوب مع الزمن أو لم تكن فعلاً ينقضه رد فعل في الأجل المناسب ، وإنما كانت فعلاً اكتسب من استطراده المحتوم ما استحال معه إيقافه أو إزالة آثاره .

وعلى ذلك يعتبرون معركة واترلو من المعارك الحاسمة في تاريخ العالم ، فهو ظل نابليون بونابرت يوالي انتصاراته لما استطاع أحد أن يتصور خريطة العالم اليوم . ويعتبرون معركة ستالينغراد معركة حامية استطاعت عندها روسيا البلشفية أن توقف تقدم هتلر ، ولو لا ذلك لتم له غزو روسيا ولبلاد الشيوعية وارتفعت على أنقاضها النازية . ويعتبرون معركة العلمين من المعارك الحاسمة ، فولا أن انتصر الإنجليز فيها لدخلت القوات الالمانية مصر واحتلت الشرق الأوسط وانقلب ميزان الموارد والقوى في الحرب العالمية الثانية لصالح المانيا . ولا يعتبرون سقوط فرنسا وباريس تحت أقدام هتلر من المعارك الحاسمة لأنها لم يكن لها ذلك الأثر الممتد مع التاريخ .

وليس أغني من التاريخ الإسلامي بالمعارك الحاسمة ، ليس فقط بعدد تلك المعارك على مداه ، ولكن بقدر ما صاحبها من أثر و حسم . وليس على سبيل المحصر أن نذكر أن صلاح الدين استطاع في حطين أن يضع نهاية للنفوذ الصليبي في الشرق الأوسط فتعود الموجات الصليبية من حيث أتت و تستمر الحضارة الإسلامية تؤدي دورها لقرون أخرى . واستطاع « قطز » أن يقهر التتار في عين جالوت فيوقف المد المغولي المخرب بعد أن اكتسح الشرق كله حتى بلغ حدود مصر الشرقية ، ثم يرتد مرة أخرى من حيث جاء في هزائم متلاحقة .

القادسية معركة حاسمة :

ولا شك أن القادسية – وتقاربها اليرموك – تقع على قمة قاعدة المعارك الحاسمة في تاريخ العالم ، فهي التي انفتحت على آثارها أبواب العراق ، ومن وراء العراق فارس كلها ، وهي التي من عندها استطرد نصر المسلمين ، فاستطرد معه السقوط السياسي من الناحيتين الحربية والسياسية ، والسقوط المبوسي من الناحية الدينية العقائدية . ومن هنا انساح دين الإسلام في العالم شرقاً وغرباً ، ولو لا ذلك لظل مصوراً في جزيرة العرب لا يتعدى القبائل الضاربة في صحاريها وحواضرها القليلة . كان الإسلام جديداً ، فهو ما زال في قوته ، فإن لم يكسب المسلمين إنجازاتهم حينذاك ، ودينهم حي في قلوبهم يصرف أعمالهم لأدرك أمتهم الهرم والشيخوخة واظلت السيطرة على العالم لغير أنهم من الفرس والروم من دونهم ، ولأمكن حينذاك – ولو من الناحية التصورية البحتة للتاريخ – أن ينحصر ظل الإسلام في ضمر حيث حصره أصحابه ، لو لا أن الإسلام يفرض على المسلمين مواجهة أعدائهم ومناجزتهم حتى يتم النصر عليهم .

في القادسية كسر المسلمين شوكة المحسوس كسرأ لم ينجبر بعدها أبداً . فيها ألقى الفرس بكل طاقاتهم من سلاح وعتاد وأفياك كثيرة وأعداد ضخمة من الجندي ، وبقيادة تثلت في أحكم رجالهم وأشهرهم في الحرب والسياسة . وألقى المسلمون أيضاً بكل إمكانياتهم من وجوه المسلمين وغرضهم ، وبقيادة تثلت في

صحابي رسول الله ﷺ ، واحد من السابقين الأوائل إلى الإسلام وأحد الستة المرشحين للخلافة بعد عمر ، سعد بن أبي وقاص ، كما نزلوا إلى مواجهة أحد الفرس وأفيا لهم وعدتهم بسلامهم الذي اختصوا به على عدوهم ... الإيمان بكل ما يفرغه على أصحابه من صلابة وصبر وكفاءة. بهذا استحقت القادسية مكانها، بل مكانتها على قمة المعارك الحاسمة في تاريخ البشر .

من يقود الحملة

هل يقودها عمر

توارد الناس من أنحاء شبه الجزيرة، فأنزلهم عمر على ماء (في مكان فيه ماء) يدعى صرار بالقرب من المدينة على طريق نجد نحو العراق، فمسكروا به وخرج عمر معهم. وجعل على مقدمته طلحة بن عبيد الله وقدمه إلى ماء بعد صرار اسمه الأعوص. وحمل على الميمنة الزبير بن العوام وعلى الميسرة عبد الرحمن بن عوف. كان ذلك في أول محرم ١٤هـ (٢٤ شباط ٦٣٥ م)، ولا يدرى الناس ما إذا كان أمير المؤمنين قد اعتزم الخروج بنفسه على رأس هذا الجمع أو أنه سيفقى في المدينة ويبعث رجلاً غيره. وكان عثمان بن عفان رديف عمر [والرديف عند العرب هو نائب الرئيس والرجل الذي يرثونه بعده]، كما كان عبد الرحمن بن عوف من كبار الصحابة ذوي المكانة في الدولة وعمر، فكان الناس إذا أرتأدوا أن يسألوا عمر عن شيء أو فدوا إليه عثمان أو عبد الرحمن، فإذا لم يقدر هذان على علم شيء مما يريدون ثلثوا بالعباس بن عبد المطلب. وسأل عثمان عمرَ عما يريد، فلم يحب عمر وإنما نادى «الصلة جامعة» فاجتمع الناس إليه فأخبارهم الخبر واستشارهم في الأمر لينظر ما يقولون، ولم يكن قد استشار في شيء مما كان قبلها. قال العامة: «سر وسر بنا معك».

فدخل في رأيهم وكره أن يدعهم حتى يخرجهم منه في رفق ، فقال : « استعدوا وأعدوا فإني سائر إلا أن يحيي رأي هو أمثل من ذلك ^(١) ». ثم بعث إلى علي بن أبي طالب وكان قد استخلفه على المدينة فأتاها ، وأرسل إلى طلحة وإلى الزبير وإلى عبد الرحمن بن عوف فجاؤوا إليه وعرض عليهم الأمر فقال : « أحضروني الرأي فإني سائر » .

فكان طلحة وعلي بن أبي طالب من تابع الناس على رأيهم ورأي خروج عمر . وكان العباس بن عبد المطلب وعبد الرحمن بن عوف من ناه . روى عبد الرحمن ما كان في ذلك الشأن فقال :

« ما فديت أحداً بأبي وأمي بعد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل يومئذ ولا بعده » ، فقلت بأبي وأمي أجعل عجذراً بي [يعني يجعلني آخر من تبعث] وأقم وابعث جنداً ، فقد رأيت قضاء الله لك في جنودك قبل وبعد ، فإنه إنْ هُزِمَ جيشك ليس كهزيمتك . وإنك إنْ تُقتَلَ أوْ تُهُزَمَ في أنف الأمر خشيت ألا يكترث المسلمون وأن لا يشهدوا ألا إله إلا الله أبداً » .

فاجتمعوا جميعاً وأجمع ملؤهم على أن يقيم بالمدينة ويعث رجلاً من أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ويُدَدَّهُ بالجند ، فإن كان الذي يشتهي من الفتح فهو الذي يريد ويريدون ، وإلا أعاد رجلاً ثانيةً وندب جنداً آخر وفي ذلك ما يفيظ العدو ويرعوي المسلمين [عن ردة ثانية] [يحيى ، نصر الله بإنجاز موعوده] .

العدول عن ذلك

ومرة أخرى نادى عمر : « الصلاة جامعة » فاجتمع الناس إليه فقام فيهم فقال : « إن الله عز وجل قد جمع على الإسلام أهله فألف بين القلوب وجعلهم فيه إخواناً ، وال المسلمين فيها بذنهم كالحسد لا يخلو منه شيء من شيء أصاب غيره »

(١) الطبرى ٤٨٠ - ٣ عن السري عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة وزياد بأسنادهم . فتوح البلدان ٦٣٢ .

و كذلك يحق على المسلمين أن يكونوا وأمرهم شوري بينهم بين ذوي الرأي منهم . فالناس تبع من قام بهذا الأمر ما اجتمعوا عليه ورضوا به لزم الناس كانوا فيه تبعا لهم ، ومن أقام بهذا الأمر تبع لأول رأيهم ما رأوا لهم ورضوا به لهم من مكيدة في حرب كانوا فيه تبعا لهم .

يا أهلا الناس ، إني إنما كنت كرجل منكم حق صرفي ذو الرأي منكم عن الخروج ، فقد رأيت أن أقيم وأبعث رجلا ، وقد أحضرت هذا الأمر من قدّمت ومن خلفت » . [يعني طلحة وعليا] .

لم تكن فكرة خروج عمر إلى العراق جديدة ”تشار لأول مرة ، فقد مر“ بنا قول أبي بكر : « ... ووددت أنني كنت إذ وجهت خالد بن الوليد إلى الشام ، كنت ووجهت عمر بن الخطاب إلى العراق فكنت قد بسطت يدي ”كتناها في سبيل الله“ ، ومد يديه . غير أن أبي بكر ودّلوا أنه بعث عمر إلى العراق إذ لم يكن عمر أميراً للمؤمنين ، أمّا وقد صار كذلك فإن الأمر يختلف . نعم لقد كان رسول الله ﷺ يقود بنفسه جيوش المسلمين ، وكذلك فعل أبو بكر في قتال ردة عبس وذبيان . ولكن ليست هذه كذلك . لقد كانت غزوات الرسول وقتال عبس وذبيان يدور على أرض هي عقر دار الإسلام والمسلمين ، فالامر يحتاج إلى الاستئانة وإلى حشد كل طاقة من صفوف الجندي كانت أو في مكان القيادة . فإذا نظرنا إلى شخص الخليفة من زاوية أن المصالحة تقضي صيانته حفظاً لوحدة الأمة وهيبتها وقيادتها ، فإننا نجد أنبقاء بالمدينة لم يكن ليكفل ذلك والمعركة على أبوابها ، فكان من الأجدى إذن أن يخرج على رأس جنده . ومع ذلك فقد ارتفعت أصوات تطلب من أبي بكر في قتال عبس وذبيان أن يبقى بالمدينة ^{١١} . فضلا

(١) الطبرى ٣ - ٢٤٧ عن السري عن شعيب عن سيف عن مهل بن يوسف عن القاسم بن محمد . هنا ونوند الاشارة هنا إلى أن سلسلة رواة « السري عن شعيب عن سيف » سوف تتكرر كثيراً ، لذلك آرنا أن زمز لها بالمرور سهولة على النهج الذي أخذنا به في «الطريق إلى المأئن» .

عن ذلك فقد كانت جميع هذه المعارك قصيرة الأجل لا تندد كثيراً مع الأيام، أما الفتوح فإنها تندد سنة بعد أخرى مما لا يتيسر معه الاستغناء عن شخص الخليفة بعيداً عن تصريف كافة شؤون الدولة . الصالح الحربي إذاً هو الذي حدا بالحاكم أن يخرج على رأس جيشه . والصالح الحربي هنا هو الذي يطلب من عمر أن يبقى بالمدينة . وبهذا أخذ أبو بكر إذا لم يخرج في سائر حروب الودة التي ابتدعت عن المدينة ولا في الفتوح .

قائد الحملة

انتهى عمر إلى أن يبقى بالمدينة وأن يبعث قائداً سواه . وبقي عليه أن يختار ذلك القائد ، فعرض على علي بن أبي طالب أن يقود^(١) الحملة ولكن علياً أبى . وراح عمر يتداول الأمر مع مستشاريه ويقول لهم : « أشيروا على برجل » .

وفيما هم يرتدون الرجال إذ جاءه كتاب من سعد بن أبي وقاص ، وكان أبو بكر قد استعمله على صدقات هوازن بن نجدة وأقره عمر وكتب إليه فيمن كتب إليهم من العمال حين أعلن النفي أن ينتخب أهل الخيل والسلاح من له رأى ونجدة . فرجع إليه جواب سعد بن اجتمع له من الناس ، وقال فيه : « إني قد انتخبت لك ألف فارس مُؤدٍ^(٢) كلهم له نجدة ورأى وصاحب حيطة [احتياط وحذر ، لا يؤخذ على غرة] يحوط حريم قومه وينع ذمارهم . إليهم انتهت أحسابهم ورأيهم فشأنك بهم » .

قال عبد الرحمن بن عوف : « وجدته » .

قال عمر : « فمن؟ » .

قالوا : « الأسد عادياً » .

قال : « من؟ » .

(١) فتوح البلدان ٦٣٢ .

(٢) مُؤدٍ معجز - آده أعجزه . ومنها « ولا يؤوده حفظها » .

قال عبد الرحمن : « الأسد في براثنه ^(١) سعد بن مالك ». وانتهى عمر إلى قولهم ^(٢) ، فكان وصول خطاب سعد في هذا الوقت هو الذي وضع اسمه أمام أمير المؤمنين ومستشاريه وذكّرهم به .

سعد بن أبي وقاص

هو أحد العشرة المبشرين بالجنة وآخرهم وفاة . وأحد الستة الذين جعل عمر الخليفة من بعده شورى بينهم لأن رسول الله عليهما توفى وهو عنهم راض . أول من رمى من المسلمين بسهم في سبيل الله ، وأحد الفرسان الشجعان من قريش الذين كانوا يحرسون رسول الله في مغazيه .

هو بطل القادسية الذي فتح العراق وبعضاً من أرض فارس ، وهو الذي كوف الكوفة وأنشأ بها أول قاعدة حربية كبيرة للمسلمين ، فكانت بعد ذلك حاضرة العلوم والمعارف الإسلامية تشعها إلى سائر بقاع الأرض ، وإليها ينتسب الخط العربي الكوفي المشهور بجماليه وزخرفه وسخنته العربية الصرفة . كان سعد قصير القامة ممتليء الجسم قوى البنية .

كان سعد مجانب الدعوة مشهوراً بذلك ، يخاف الناس دعوته ويرجونها لاستهار إجابتها عندهم . كان من أهدا القادة المشهورين أعصاباً وأكثرهم رزانة وأبعدهم عن الخطأ في الحرب . كما كانت من الرماة المسددين الذين لا يطيش لهم سهم . وكان من أحد الناس بصرأ ، رأى ذات يوم شيئاً يتحرك عن بعد فقال لمن معه : « ترون شيئاً ؟ »

(١) البران للسباع والطير كالأصابع للإنسان ، والخلب ظفر البرئن . (مختار الصحاح) .

(٢) الطبرى ٣ - ٤٨٢ م ش من عن محمد بن اسحق عن صالح بن كيسان عن عمر بن عبد العزيز . و ش من عن سهل بن يوسف عن القاسم بن محمد . ابن الأثير ٢ - ١٧٢ .

قالوا : « نرى شيئاً كالطائير » .

قال : « أرى راكباً على بعير » .

فكان قال وجاء عم سعد بعد قليل على بعيري (بعير) .

وكان سعد طيب النفس نقى السريرة . قال : « لا أجد في نفسي سوءاً لأحد من المسلمين ولا أنوي له شرّاً ولا أقوله » .

وكان رسول الله ﷺ يفاخر به ويقول :

« هذا خالي فليرى امرؤ خاله » .

وسعدي قرشي ، ولد ونشأ في مكة . وهو ابن أبي وقاص [واسمه مالك] ابن أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب .

إسلامه

كان سعد قد بلغ السابعة عشر أو التاسعة عشر حين دعاه أبو بكر الصديق رضي الله عنه [سنة ٣٨] إلى الإسلام وعرضه عليه . وحين أسلم سعد لم يكن سبقه إلى الإسلام سوى أبو بكر وعلي بن أبي طالب وزيد بن حارثة وخدية بنت خوييل ، وقيل إنه كان سابعاً سبعة في إسلامه بعد ستة . كان سعد حينذاك يشتمل ببرى النبال بمكة وقد انعكست عليه آثار مهنته فكان من أشد الناس إجادة للرمي . وقد لا يكون من قبيل المصادفة أن يروي سعد عن النبي ﷺ قوله : « عليكم بالرمي فإنه من خير هوك » . [الطبراني في الأوسط - البزار] .

وكان أخوه عامر من أسلم وهاجر المهرة الأولى إلى الحبشة حين اشتد البلاء بال المسلمين في مكة ، في حين آثر سعد أن يبقى مع رسول الله ﷺ ومن بقي معه يحتمل الأضطهاد والمعذاب . وقررت قريش مقاطعة المسلمين واعتقاهم ، فحصروهم في شعب أبي طالب من شعاب مكة ، لا يبيعونهم ولا يشترون منهم ولا يزوجونهم ولا يتزوجون منهم وينعنونهم من الخروج من الشعب كامنعوا الناس من الدخول إليهم ، وكانوا رجالة ونساء وأطفالاً حتى نفذ زادهم وسعد

معهم يعضه الجوع بنابه كا يعضهم ، ومكثوا على ذلك ثلاثة شهراً حتى أكلوا
أوراق الشجر .

هجرته وجهاده

وراح المسلمون يهاجرون فخرج سعد مهاجراً من مكة إلى المدينة مع بلال
وعمار بن ياسر . ومن يثرب بعث النبي ﷺ سرية عليها عبيدة بن الحارث في
ثمانين راكباً من المهاجرين ، فكان فيهم سعد وعتبة بن غزوان والمقداد بن عمرو ،
خرجوا إلى ماء الحجاز حتى إذا رأوا جمماً من قريش رماهم سعد بسهم فكان
ذلك أول سهم أطلق في الإسلام .

وشهد سعد غزوة بدر مع المسلمين واستطاع يومها أن يأسر اثنين من قريش .
ثم دار العام وكانت غزوة أحد فكان سعد من الذين ثبتو في بسالة يدفع عن
رسول الله ﷺ حين دارت الدائرة على المسلمين وجعل يطر المشركين بسهامه
والنبي يقول له :

« إرم أهلا الفتى الحزور فداك أبي وأمي » .

وكسرت قوس سعد من طول ما رمى به فأعطيه النبي قوساً أخرى ودعا
له فقال : « اللهم سدد رميته وأجب دعوته » .

وبلغ ما أطلقه سعد يوم أحد ألف سهم .

وقام اليهود بتكتيل قريش وسائر القبائل ضد المسلمين ، وزحفت هذه
الأحزاب تريد المدينة بقوة تزيد كثيراً عما يستطيع المسلمون مواجهته ، فأشار
سلمان الفارسي بتحصين المدينة بخندق ، فحفروا المسلمين في الجانب المكشوف
منها وسعد معهم . ويومها اتنباً رسول الله بفتح الحيرة والمدائن وقصور الروم
وقصور صنعاء . لم يكن أحد يمذاك يدرى أن قصور الحيرة ومدائن كسرى
سوف يفتحها بعد سنوات قليلة رجال من هاجم المدينة ومن يدافعون عنها الآن
على السواء ، يقودهم واحد منهم يضرب بالمعول ويحمل التراب على كتفه اسمه
سعد بن أبي وقاص . وبلفت الأحزاب المدينة وحاولت اقتحام الخندق فعجزت

عن ذلك ووقفت تجاهه تماصره . وكان سعد وبعض المسلمين يخرجون مراراً للمبارزة حتى ينسن القبائل وتعبر من برد الشتاء فانقضت عن مقصدتها وانصرفت .

وشهد سعد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ . فلما توفي الرسول وولى أبي بكر الخلافة وارتدَّ من العربَ مَنْ ارتدَّ ووقف الصدّيق بيايانه الذي يعدل إيمانَ أُمّةٍ يتمسّك بكلِّ ما جاء به الإسلامُ، كان سعد من كبار الصحابة الأبطال الذين اعتمد عليهم في حراسة المدينة مع علي وطلحة وسائر أصحابهم . فلما كانت الليلة الثالثة تجتمع بعض القبائل في شمال المدينة تزيد مهاجمتها . ورأى أبو بكر أن يباغتها فوراً وفي نفس الليلة مستخدماً مبدأً أنَّ المجموع خير وسيلة للدفاع ، فتحرك مع الصحابة وسعد معهم فهزموا تلك المجموع وفرّقوا تجمّعاً . وقضى أبو بكر على الردة بعد حروب طاحنة ثم استعمل سعداً على صدقات هوازن ، واستعمله عمر عليها أيضاً بعد أبي بكر .

سعد بين القادة

والآن تحتاج هذه الجيوش لفتح العراق إلى قائد صحابي جليل يكون وهو يقودها بديلاً عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، فاختير سعد بن أبي وقاص . قد نرى منهجه في الحرب والقتال خلاف ما عهدهنا من خالد بن الوليد والثنبي بن حارثة ، وفي كل خير ، تماماً كما نلمس الفوارق الشخصية بين أبي بكر وعمر رضي الله عنها ، ولا عجب في ذلك فليس للإسلام قالب واحد جامد في شؤون الدنيا يصعب فيه الناس جميعاً فيخرجوه منه صورة واحدة متكررة ، وإن علماء النفس اليوم يقررون أن كل شخص فرد مفرد في ذاته ، وحيده نسجه وأن من الحال أن يتكرر الشخص بكلفة جلته وتفصيله تماماً، كما وأنه من الحال أن تكرر البصمات فلا بد من فوارق . هذا خلق الله وهكذا إعجازه فيه وما كان لدين الله أن ينافقه ، وحسبه ما يدخله على الفرد من صقل كما يصقل النحّات الحجر ، فإذا هو من آيات الجمال رخاماً كان أو جرانياً أو مرمراً أو بازلتاً . وسعد نموذج من نماذج القائد

السلم ، وسوف فلمس تلك الفوارق مع الصفحات التالية ... صفحات تاريخنا الوضاء .

كان من دأب عمر أن يسأل من يفدي عليه عمر عن ورائه . فجاء عمر و^(١) بن معندي كرب يوماً من العراق فسأله عمر عن سعد فقال عمر : « متواضع في خبائثه ، عربي في نمرته ^(٢) ، أسد في ثاموره ^(٣) ، يعدل في القضية ، ويقسم بالسوية ، ويبعد في السرية ، يعطف علينا عطف الأم البرة ، ويقلينا سخنا نقل الذرة ^(٤) .

وقدم جرير بن عبد الله البجلي فسأله : « كيف تركت سعداً في ولايته » . قال جرير ^(٥) : « أكرم الناس مقدرة وأحسنهم مقدرة واقفهم قسوة ، وهو لهم كالأم البرة يجمع لهم كما تجمع الذرة مع أنه ميمون الأثر مرزوق الظفر ، أشد الناس عند الباس وأحب قريش إلى الناس » .

قال : « فأخبرني عن حال الناس » .

قال : « هم كسهام الجبعة منهم قلائم الرائش ومنهم العصل الطاوش ، وأبن وقاص ثقافها ، يغمز عصلها ويقيم ميلها والله أعلم بالسرائر يا عمر ^(٦) .

وكان سعد يهتم بقيافته يلبس أفسر الثياب - ذوّقة في ملبيه وملبسه وملبسه ومشريه ، يخضب شعره بالسواد ويلبس في إصبعه خاتماً ، يحب الطيب . وكان راجح العقل بعيد النظر متين الخلق عفّ اليدي واللسان برأه بأهله وفيما لأصحابه ، أحب الناس للناس وأرفقهم به ^(٧) ، وإن كلفت فيه حدة ويفضّب الله . وكان سعد أحد

(١) أسد الغابة .

(٢) النمرة كباء في خطوط بيض وسود تلبسه العرب .

(٣) عريمه .

(٤) الذرة أصغر النمل وجمعه ذر .

(٥) الاصابة - قادة الفتح العربي للعراق ٢٤٦ .

(٦) عصل الشيء أعوج في صلابة ، وعصل السهم التوى في الرمي وأبطأ (المجد) .

(٧) ابن سعد .

الناس بصرأً ، أسر أسطس قصيراً دخداً أحراً غليظاً ذا هامة [كبير الرأس] ، غليظ الأصابع أشعر . تزوج اثنتي عشرة امرأة خلال حياته كان منها بعض السراري ، أعقب منها سبعة عشر ذكراً وثمانين عشرة انتى ، وترك يوم وفاته ربع مليون من الدرهم . [حوالي ٢١٨٠٠ جنيهاً مصرياً] . لقد روى سعد أحاديثاً عن رسول الله ﷺ كانت حياته صورة منها ، قال : « أربع من المساعدة المرأة الصالحة ، والمسكن الواسع ، والجار الصالح ، والمركب الهنيء . وأربع من الشقاء : الجار السوء ، والمرأة السوء ، والمركب الهنيء ، والمسكن الضيق »^(١) . وقال : « إن الله تعالى طيب يحب الطيب نظيف يحب النظافة كريم يحب الكرم جواد يحب الجود ، فنظفوا أنفاسكم ولا تشبهوا باليهود »^(٢) . وقال : « إن الله تعالى يحب العبد التقي الغني الحفي »^(٣) .

موعظة

أرسل عمر إلى سعد فقدم عليه فأمره على حرب العراق وأوصاه فقال : « يا سعدبني وهب ، لا يغرنك من الله أن قبل خال رسول الله ﷺ ، فإن الله عز وجل لا يححو السيء بالسيء ولكن يححو السيء بالحسن . فإن الله ليس بيده وبين أحد نسب إلا طاعته ، فالناس شريفهم ووضيعهم في ذات الله سواء ، الله ربهم وهم عباده يتفضلون بالعافية ويدركون ما عنده بالطاعة ، فانظر الأمر الذي رأيت النبي ﷺ منذ بعث إلى أن فارقنا فالزمه فإنه الأمر . هذه عظي إليك ، إن تركتها ورغبت عنها حبط عملك و كنت من الخاسرين » .

وصية

ولما حان الرحيل وأراد عمر أن يبعثه دعاه وقال له :

(١) ابن حبان في صحيحه .

(٢) الترمذى .

(٣) مسلم ، وأحمد في مسنده .

« إني قد وليتك حرب العراق فاحفظ وصيقي فانك تقدم على أمر شديد
كريه لا يخلص منه إلا الحق فعود نفسك ومن معك الخير واستقتع به . واعلم
أن لكل عادة عتاداً ، فعتاد الخير الصبر ، فالصبر الصبر على ما أصابك أو نابك
يتحمّل لك خشية الله . واعلم أن خشية الله تجتمع في أمرین ، في طاعته واجتناب
معصيته . وإنما أطاعه من أطاعه ببغض الدنيا وحب الآخرة وعصاه من عصاه
محب الدنيا وبغض الآخرة .

وللقلوب حفائق ينشئها الله إنشاء منها السر و منها العلانية ، فاما العلانية
فأن يكون حامده وذامه في الحق سواء ، وأما السر فيعرف بظهور الحكمة من
قلبه على لسانه وبمحبة الناس ، فلا تزهد في التحبيب فإن النبيين قد سألا محبتهم ،
وإن الله إذا أحب عبداً حبّه وإذا أبغض عبداً بغضه فاعتبر منزلتك عند الله
تعالى بمنزلتك عند الناس فمن يشرع معك في أمرك » .

وحيل الحملة

١٣ شعبان ١٤٥ هـ - أول أكتوبر (تشرين الأول) ٦٣٥ م

النجم

بعث عمر سعداً فيمن اجتمع إليه بالمدينة من نغير المسلمين ، فخرج من صرار قاصداً العراق في أربعة آلاف .

١٠٠٠ من قيس عيلان . عليهم بشر بن عبد الله الهمالي .
٣٠٠ من قدم عليه من اليمن والسرّاء . وعلى أهل السروات حمضة بن النعيم بن حمضة البارقي ، وهم بارق وألمع وغامد وسائر إخوتهم ، كانوا سبعمائة من أهل السراة وألفين وثلاثمائة من أهل اليمن . منهم النخع بن عمر وعليهم أرطاة بن كعب النخعي ، فيهم سبعة من حضرموت والصّدِّيف عليهم شداد بن ضموج ، وألف وثلاثمائة من مذحج على ثلاثة رؤساء ، عمرو بن معدى كرب على منبه ، وأبو سمرة بن دويتب على جمفي ومن في حلف جمفي من إخوة جزء وزبيد وأنس الله ومن كان مثلكم ، ويزيد بن الحارث الصدائي على صداء وجنتب ومسليمة^(١) .

(١) الطبرى ٣ / ٤٨٤ من ش من عن محمد وطلحة والستير وحنش النخعي .

» ٣ / ٤٨٥ وس ش من عن عبيدة عن ابراهيم .

سوف تكون لمعرفة القبائل أهميتها في متابعة تحركات هذه الحملة ، ونوصي بالرجوع الى الباب الثاني من الجزء الأول من كتاب «الطريق الى المذائن» «العرب وشبة جزيرتهم» .

حوار مع عمر

وأثأهم عمر في معسكرهم فقال :

« إن الشرف فيكم يا معاشر النجع لم ترتعي ^(١) ، سيروا مع سعد ^(٢) إلى إخوانكم من أهل العراق ». .

وأرادهم جميعاً أن يتوجهوا إلى العراق فأبوا إلا الشام. وأصر عمر على ذهابهم إلى العراق، ثم قسمهم فأمضى نصفهم نحو العراق فكأنوا أربعة آلاف، وأمضى النصف الثاني إلى الشام. هنا وقد ازداد عدد النجع حتى بلغ ألفين وخمسمائة عليهم أرطاة ^(٣) بن كعب بن شراحيل النجعي.

عن جرير بن عبد الله قال : « كان أهل اليمن ينزعون إلى الشام وكانت مصر تنزع إلى العراق » ، فقال عمر : « أرحامكم أرسخ من أرحامنا ! ما بال مصر لا تذكر أصلافها من أهل الشام » ^(٤) .

وقال محمد بن حذيفة بن اليمان : « لم يكن أحد من العرب أجرأ على فارس من ربعة ، فكان المسلمون يسمونهم ربعة الأسد وربعة الفرس » ، وكانت العرب في جاهليتها تسمى فارس الأسد والروم الأسد » ^(٥) .

(١) الربع : الغاء والزيادة ، فيكون متربع بمعنى زائد . وفي الإصابة : « متربعاً » بمعنى ساكن فيكم من الربع وهي الدار .

(٢) الطبرى ٤٨٤ / ٣ س ش عن حنش بن الحارث النجعي عن أبيه . الإصابة ٧٢ . مادة حنش .

(٣) كان أرطاة قد وفد على النبي مع أخيه قيس بن كعب وكأنا من أجمل أهل زمانها وأنطقه، فدعاهما إلى الإسلام فأسلموا ، فدعاهما بخير وكتب لأرطاة كتاباً وعقد له لواء كان هو اللواء الذي شهدوا به القادسية بعد ذلك .

(٤) الطبرى ٤٨٧ / ٣ س ش عن عبد الملك بن عمير عن زياد عن جرير .

(٥) « « « عن أبي سعد بن المرباز عن حدثه عن محمد بن حذيفة ابن اليمان .

وداع وخطاب

وشيئم عمر فشى معهم من صرار الى الأعوص ثم قام فيهم خطيباً فقال :
« إن الله تعالى إنما ضرب لكم الأمثال وصرف لكم القول ليعيى بها القلوب
فإن القلوب ميّة في صدورها حتى يحييها الله . من علم شيئاً فلينتفع به .
وإن للعدل أumarات وتباسير، فأما الأمارات فالحياء والسخاء والهين والدين :
وأما التباسير فالرجمة .

وقد جعل الله لكل أمرٍ باباً ، ويُسْرُ لكل باب مفتاحاً . فباب العدل
الاعتبار ومفتاحه الزهد والاعتبار . ذكر الموت بتذكرة الأموات والاستعداد لـ
بتقديم الأعمال ، والزهد أخذ الحق من كل أحد قبله حق ، وتأدية الحق إلى
كل أحد له حق ، ولا تصنع في ذلك أحداً ، واكتف بما يكفيك من الكفاف
فإن من لم يكفه الكفاف لم يغنه شيء .

إني بينكم وبين الله وليس بيني وبينه أحد . وإن الله قد ألزمني رفع المدعاة
عنه ، فانهوا شکاتكم علينا . فمن لم يستطع فالي من يبلغناها نأخذ له الحق غير
مُستَعْتَسِعَ « (غير منقوص) .

ثم أمر سعداً بالسير وقال له :

« إذا انتهيت إلى زرود فانزل بها وتفرقوا فيما حولها ، واندب من حولك
منهم ، وانتخب أهل النجدة والرأي والقوة والعدة ^(١) .

وقف عمر والملمون يخرجون من الأعوص يرون من أمامه، فمرت السكون
أول كِشْنَدَة مع الحصين بن نمير السكوني ومعاوية بن خديج في أربعينه فاستعرضهم
فإذاً فيهم فتية دلم سبّاط (طوال) مع معاوية بن خديج فظل يعرض عنهم حتى
قيل له : « مالك ولهؤلاء ؟ » قال : « إني عنهم لتردد ، وما مر بي قوم من
العرب أكره إلى منهم » . ثم أمضاهم فكان كثيراً ما يتذكّرهم بعد ذلك

(١) الطبرى ٤٨٥ / ٣ س ش عن محمد وطلحة وسهل عن القاسم .

بالكراءة ويتعجب الناس من رأي عمر . فكان منهم سودان بن حمران من قتل عثمان بن عفان ، وكان منهم حليفهم خالد بن ملجم قتل علي بن أبي طالب ، وكان منهم معاوية بن خديج وهو الذي نص في قوم منهم زمن الفتنة الكبرى يتبع قتلة عثمان يقتلهم وكان منهم قوم يقترون قتلة^(١) عثمان ، وكان منهم حصين ابن نمير السكوني مع جند الشام الذين حاصروا عبد الله بن الزبير بن العوام عام ٦٤ هـ . بالكعبة فأحرقوها .

المسير

وسار سعد بهذا الجيش على طريق المدينة - الحيرة مجتازاً أرض نجد حتى نزل زرود على مسافة ٥٨٥ كيلو متر من المدينة ، وهي أرض منبسطة رماها حمراء غير متسكّنة إذ تقع على الامتداد الطبيعي للنفوذ ، وسميت بذلك لأنها تزداد الماء ، وبها آبار ماء ليست بالعذبة ، وهي على مسيرة يوم من قيد^(٢) . وتذكر رواية^(٣) أن سعداً نزل زرود في أول الشتاء ، وتقديرنا أنه نزلها في حوالي ٢٧ شعبان ١٤ هـ ١٥ أكتوبر (تشرين الأول) ٦٣٥ مـ . على أساس سوف نذكره في فصل تالٍ إن شاء الله .

حشود آخر

وبعد خروج سعد جاءت إمدادات أخرى ، فأمده عمر بالفقي يانى وألفي نجدي مؤدي من غطfan وسائر قيس . فقدم سعد زرود بن معه ، وقدمت من ورائه هذه الجموع ففرقها فيما حول زرود من مياه بني تميم وأسد . وفي انتظار أمر عمر بالتقدم ووفود مزيد من التعزيزات راح سعد يحشد من حوله ، فجاء ثلاثة آلاف من تميم وألفاً من الرباب وثلاثة آلاف من أسد . ولم تكن زرود

(١) الطبرى ٣ / ٤٨٧ سـ شـ عن محمد بن سوقة عن رجل .

(٢) ابن بطوطة ١٣٤ - وقدامة بن جعفر ١٨٦ وقال زرود هي الخزيمية .

(٣) الطبرى ٣ / ٤٨٦ سـ شـ عن محمد وطلحة عن ماهان وزياد بإسناده .

لتعتملهم بالإضافة إلى من فيها ، فأمرهم سعد أن ينزلوا حدود أرضهم بين الحَزَن^(١) والبساطة ، فأقاموا هنالك بين سعد بن أبي وقاص والمنى بن حارثة . وفيما يذكر البلاذري أن سعداً أقام بالشلوبية [والشلوبية قرية من زرود ، تبعد عنها ٥٩ كيلومتراً] ثلاثة أشهر حتى لحق^(٢) به أصحابه .

وبذل عمر في الحشد هذه الحرب كل ما استطاع من جهد ، فلم يدع رئيساً ولا ذا رأي ولا ذا شرف في قومه ولا ذا سطوة ولا خطيباً ولا شاعراً إلا رمى به الفرس ، فرميهم بوجوه الناس ، وغرحم ودرهم وهو يقول : « والله لأضر بن ملوك العجم بملوك العرب »^(٣) .

وجاء المسلمون بأتقائهم ، جرأهم على ذلك توطئة الحملات السابقة من خالد بن الوليد والمنى^(٤) بن حارثة ، فلاقوا بعد ذلك بأساً شديداً .

كان المنى حينذاك في شراف ينتظر قدوم سعد . وكان معه ستة آلاف من بكير بن وائل وألفان من سائر ربعة وألفان من يحييلة عليهم جرير بن عبد الله ، وألفان من قضاعة وطيء من انضم إليه . على طيء عدي بن حاتم وعلى قضاعة عمرو بن وبرة .

في ذمة الله المفتى بن حارقة

وفي موقف الترقب هذا ، سعد ينتظر أن يقدم عليه المنى أو أن يأتي أمر

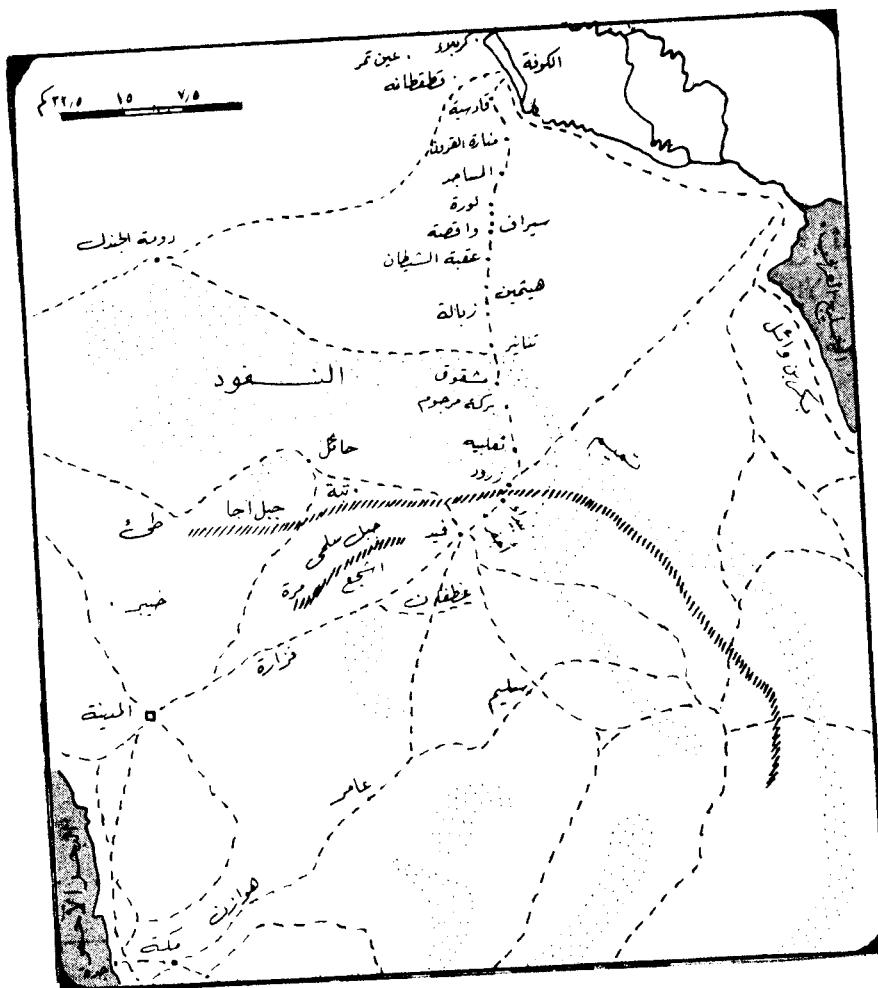
(١) الحزن بين نجد وال العراق ، موضع مربع في بلادبني أسد تربع فيه العرب لكثره رياضه . وحزن يربو قرب فيد من جهة الكوفة وهو من أجل مرابع العرب فيه قيغان ، وهي أطيب الباية منظراً وأجل موضع في طريق البصرة وهو مائل من طريق الكوفة إلى مكة (معجم البلدان) . والبساطة موضع بين الكوفة وحزنبني يربو وقيل بين العذيب والقاع وهي مسافة ٢٤ كيلومتراً) وهي أرض مستوية ليس بها ماء (معجم البلدان) .

(٢) فتوح البلدان ٦٣٣ .

(٣) الطبرى ٤٨٧/٣ من ش عن طلحة عن ماهان .

ابن الأثير ١٧٣/٢ .

(٤) الطبرى ٣ / ٥٨١ من ش عن عطية وهو ابن الحارث عن أدرك ذلك .



خریطة رقم (١) منطقه التحرکات

عمر بالتقدم ، والثنتي في سيراف ينتظر قدوم سعد ، مرض الثنتي مرض خطير يقول الرواة إن الجراحة التي جرحتها يوم الجسر انتقضت عليه ، ولكن أطباء اليوم يرفضون ذلك التشخيص وقد مضى على يوم الجسر عام كامل . واستشعر

المثنى دنو أجله واستند^(١) وجده فحمل إلى قومه واستخلف على من معه بشير ابن الحصاصية ، وكان معه وجوه أهل العراق ، ومع سعد وفود أهل العراق فيهم فرات بن حيان وعتبية بن النهاس المجلبيان أعادها عمر معه إلى العراق^(٢) [وكان قد استدعاها بعد غارة صفين للتحقيق معها] . وطلب المثنى أخاه المعنى وأفضى إليه يوصيه وأمره أن يجعل بها إلى سعد . ثم أسلم المثنى الروح إلى بارئها فانطفأ السراج المضيء وأفلَتْ هذه الشمس المشرقة التي ملأت فتوح العراق نوراً ودفناً .

ولم يستطع المعنى أن يخرج بهذه الوصية من فوره إلى سعد ، إذ أن آزادمرد ابن آزادبه بعث عميلاً من عملائه العرب يدعى قابوس بن المنذر إلى القادسية ، وقال له : « ادع العرب وأنت على من أجابك وكن كما كان أبوك » . ونزل قابوس القادسية وكاتب العرب من بكر بن وائل بيشل ما كان النعمان بن المنذر يكتبهم به من المقاربة والوعيد والتغريب والترهيب . وعلم المعنى بما يجري وقد فرغ من توسيعه أخيه العظيم المثنى في لحده ، فخرج ليلاً من ذي قار مع بعض فرسانه إلى القادسية حيث بيت قابوس ومن معه فكبشهم وفرغ منهم ثم عاد إلى ذي قار حيث أخذ معه سلمى بنت خصبة التيمية (تم اللات) أرملة المثنى وخرج إلى سعد^(٣) .

ولد المثنى بالبادية وعاش في البادية ومات في البادية وطواه حداً تحت رمال البادية غازياً للدنيا بسيفه عزوفاً عنها بقلبه . وما أشبه لحظات المثنى الأخيرة باللحظات الأخيرة لل الخليفة أبي بكر رضي الله عنها . كلها ترك الدنيا وهو يفكك المسلمين في هذه الفتوح ويوصي لها . توفي أبو بكر وهو يوصي خليفته عمر بن عبد النهاس وبعثهم لفتح العراق . وتوفي المثنى وهو يوصي خليفته سعداً

(١) فتوح البلدان ٦٣٣ ، وقد أخذنا بروايته هنا . أما الطبرى فهو صاحب رواية انتفاض الجراح .

(٢) الطبرى ٤٨٦ / ٣ س ش عن محمد وطلحة وماهان وزياد بإسناده .

(٣) الطبرى ٤٨٩ / ٣ س ش عن أبي عمرو عن أبي عثمان النهدي .

باستراتيجية حملته بناء على تجاربه السابقة وما أفاد منها . لئن نجحت الملات السابقة بنجاحاً باهراً في انتزاع أرض العراق من بين براثن الأسد إلا أنها لم تبلغ اقتحام المدائن وإسقاط الكسروية وهو ما ينبغي أن تخطط له الخطط . لقد عرفا في الكتاب الأول « الطريق إلى المدائن » المثنى بن حارثة وعرفنا من هو بطولة وقيادة وعلوّ قدر ، والآن يبعث عمر سعداً قائداً عليه فما يترك ذلك أدنى أثر في نفس الرجل العظيم ، فنراه يجود بنفسه وهو يفكّر ويدبر ويوصي سعداً .

لفتة نحو الأبلة

كانت جميع الملات التي قادها خالد وأبو عبيد والمثنى ثم سعد تستهدف دخول المدائن عن طريق اختراق أرض العراق من خلال أقليم الحيرة . فالحيرة كانت دائماً هي القاعدة المتقدمة للوصول إلى المدائن . ومع ذلك لم يغب عن الخليفتين أبي بكر وعمر ولا عن قادة جيواشها ما لمنطقة الأبلة وسط العرب من أهمية وتأثير على محور تقدمهم ، فنجد أبياً بكر يأمر خالداً أن يبدأ غزو العراق من الأبلة ، ثم نجد خالداً في تقدمه لا يغفل أمر ذلك الثغر فكان يترك فيه حامية مناسبة لحفظ أمن جيشه من تلك التخوم ولمراقبة أي تحركات فارسية بها . ثم نجد المثنى حين انسحب من العراق ونزل على حدود الصحراء قد نشر قواته ما بين القطقطانة شمالاً إلى غضي بجبل البصرة جنوباً ، فكان بهما جرير بن عبد الله البجلي .

ولذلك كتب عمر إلى سعد مع خروجه من زرود إلى شراف^(١) « ان ابعث

(١) في المصادر أنه نزل بشراف ولكن موقع شراف أسفل من الكوفة بثلاثة أميال فلا يبلغها سعد إلا إذا تجاوز القادسية بمنحو من ثلاثين كيلومتراً ، وهو ما يستحيل تصوره إذ من المؤكد أنه نزل متزلاً لم يبلغ به القادسية . ونعتقد أن الموقع المقصود هو سيراف وليس « شراف » فهو لنظر قريب يجوز احتلال التصحيح فيه أو الالتباس على الرواية أو الكاتب أو الخطأ الطبيعي . أما سيراف فهي على ثلاثة أميال من واقعة على الطريق من زرود إلى القادسية ، وهي التي سبق أن نزل بها المثنى مع قومه من بكر بن وائل وبها آثار كثيرة وهي موقع متوسط بين غضي والقطقطانة فإذا نزله المثنى من قبل أو نزله سعد الآن . فهو مكان معقول من حيث موقعه بخلاف شراف . ونرى أن كل ذكر لشراف في هذا الموضع بالذات إنما ينصرف إلى ما ذكرنا . (انظر الخريطة ص ٢٨)

إلى فرج الهند رجلاً ترضاه يكون بحاليه ويكون ردهاً لك من شيء، إن أثارك من تلك التخوم » .

فبعث سعد المغيرة بن شعبة في خسائنه من الفرسان فاتخذ موقعه في «غضي» بالصحراء تجاه موقع البصرة حيث كان جرير ما زال هناك ومعه يحيلة ، ولكن جريراً سوف ينضم إلى قوات سعد المتقدمة بعد قليل حيث تجتمع القوات للمرة المرتقبة . كان خروج سعد من زرود في حوالي ٣٠ ذي القعدة ١٤٥٠ هـ ١٤ يناير (كانون الثاني) ٦٣٦ م . ونزل بشراف في حوالي ٨ ذي الحجة ١٤٥٠ هـ ٢٢ يناير (كانون الثاني) ٦٣٦ م . ثم كتب إلى عمر بنزله ومنازل الناس فيما بين غضي إلى القطقطانة .

واليآن يريد عمر لهذا الجيش الذي اجتمع له من الحشد ما استطاع أن يتقدم إلى القادسية على نظام وتميّة تضم جميع من به حق المغيرة بن شعبة وخيلة . فماذا عن ثغر الأبلة ؟ لقد كان قطبة بن قتادة السدوسي يغير بتلك الناحية فكتب إلى عمر يعلمه مكانه وأنه لو كان معه عدد يسير ظفر بن قبله من العجم فنفاه من بلادهم . وكان الفرس بتلك الناحية ما زالوا يهاجرونه منذ وقعة المشنى بنهر المرأة وذكراية خالد بهم في المدار .

فأجابه عمر : « إنك أثاني كتابك أنك تغير على من قبلك من الأعاجم وقد أصبتَ ووْفَقْتَ . أقم مكانك واحذر على من معك من أصحابك حق يأتيك أمري » .

ثم وَجَهَ شَرِيعَ بْنَ عَامِرَ أَحَدَ بْنِي سَعْدَ بْنَ بَكْرٍ إِلَى أَرْضِ الْبَصَرَةِ وَقَالَ لَهُ : « كُنْ رَدَّهَا لِلْمُسْلِمِينَ بِهَذِهِ الْجِيَزَةِ » .

وأقبل شريح إلى البصرة فترك بها قطبة ومضى إلى الأهواز من أرض إيران ، وهو توغل أكثر مما كانت تسمح به قوته ، حتى انتهى إلى مكان اسمه دارس فيه قوات للفرس ، فدارت بينه وبينهم معركة انتصر الفرس عليه فيها وقتلوا .

أواهر ووصايا

وكتب عمر إلى سعد :

« أما بعد ، فإني أمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال فإن تقوى الله أفضل العدة على العدو وأقوى العدة في الحرب .

وأمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراساً من العاصي منكم من عدوكم ، فإن ذنب الجيش أخوف عليهم من عدوهم ، وإنما ينصر المسلمين بمعصية عدوهم الله ولو لا ذلك لم تكن لنا بهم قوة لأن عدتنا ليس كعدهم ولا عدتنا كعدهم . فإن استويانا في المعصية كان لهم الفضل علينا في القوة ، وإلا ننصر عليهم بفضلنا لم نغلبهم بقوتنا .

واعلموا أن عليكم في سيركم حفظة من الله يعلمون ما تفعلون فاستحيوا منهم ولا تعملوا بمعصي الله وأنت في سبيل الله .

ولا تقولوا إن عدونا شر منا ولن يسلط علينا وإن أسانا - فرب قوم سلط عليهم شر منهم كما سلط علىبني اسرائيل لما عملوا بمساخط الله - كفرة الجنوس ، فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولاً .

وأسأوا الله العون على أنفسكم كما تأسلونه النصر على عدوكم ، أسان الله ذلك لنا ولكم .

وترفق بال المسلمين في مسيرهم ولا تجشمهم مسيراً يتبعهم ، ولا تقصر بهم عن منزل يرافق بهم حتى يبلغوا عدوهم والسفر لم ينقص قوتهم ، فإنهم سائرون إلى عدو مقيم جام الأنفس والكراء .

وأقم بين معك كل جمعة يوماً وليلة حتى تكون لهم راحة يجتمعون فيها أنفسهم ويرمّون أسلحتهم وأمتعتهم .

ونح منازلهم عن قرى أهل الصلح والذمة فلا يدخلها من أصحابك إلا من تثق بيديه .

ولا ترزا أحداً من أهله شيئاً فإن لهم حرمة وذمة ابتليتم بالوفاء بها

كما ابتووا بالصبر عليها ، فما صروا لكم ففوا لهم ، ولا تنتصروا على أهل الحرب بظلم أهل الصلح .

إِذَا وَطَّثَتْ أَدْنَى أَرْضِ الْعَدُوِّ فَإِذْكُرِ الْعَيْنَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ وَلَا يَخْفَ عَلَيْكَ أَمْرَهُمْ ، وَلِيَكُنْ عِنْدَكَ مِنَ الْعَرَبِ أَوْ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ مِنْ تَطْمِئْنَةٍ إِلَى نَصْحَهُ وَصَدْقَهُ ، فَإِنَّ الْكَنْدُوبَ لَا يَنْفَعُكَ خَبْرَهُ وَإِنْ صَدَقَ فِي بَعْضِهِ وَالْعَالِشُ عَيْنُ عَلَيْكَ وَلَيْسَ عَيْنَكَ لَكَ .

وَلِيَكُنْ مِنْكَ عِنْدَ دُنْوَكَ مِنْ أَرْضِ الْعَدُوِّ ، أَنْ تَكْثُرَ الْطَّلَائِعَ وَتَبْثُ السَّرَايَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ فَتَقْطَعُ السَّرَايَا إِمْدَادَهُمْ وَمَرَافِقَهُمْ ، وَتَتَبَعُ الْطَّلَائِعَ عُورَاتِهِمْ ، وَأَنْتَقَ الْطَّلَائِعَ أَهْلَ الرَّأْيِ وَالْبَلَاسِ مِنْ أَصْحَابِكَ وَتَخْيِرَهُمْ سَوْبَقَ الْخَيْلِ ، فَإِنْ لَقَوْهُمْ أَوْلَى كَانَ أَوْلَى مِنْ تَلْقَاهُمُ الْقُوَّةُ مِنْ رَأْيِكَ ، وَاجْعَلْ أَمْرَ السَّرَايَا إِلَى أَهْلِ الْجَهَادِ وَالصَّبْرِ عَلَى الْجَلَادِ .

وَلَا تَنْخُصْ أَحَدًا بِهِوَ فِي ضَيْعَةٍ مِنْ رَأْيِكَ وَأَمْرِكَ أَكْثَرُ مَا حَابَيْتَ بِهِ أَهْلَ خَاصَّتِكَ .

وَلَا تَبْعِثْ طَلِيعَةً وَلَا سَرِيَّةً فِي وَجْهِ تَتَخَوَّفُ فِيهِ ضَيْعَةً وَنَكَائِيَّةً .
فَإِذَا عَانِيْتَ الْعَدُوِّ فَاضْعِمْ إِلَيْكَ أَفَاصِيكَ وَطَلَائِعَكَ وَسَرَايَاكَ وَاجْعَلْ إِلَيْكَ مَكْبِدَتِكَ وَقَوْتِكَ ، ثُمَّ لَا تَعْاجِلْهُمُ الْمَنَاجِزَةَ مَا لَمْ يَسْتَكْرِهَكَ قَتَالْ حَقِّ تَبَصِّرَ عُورَةَ عَدُوِّكَ وَمَقَاتَلَهُ وَتَعْرِفُ الْأَرْضَ كُلَّهَا كَمَرْفَةَ أَهْلِهَا فَتَصْنَعُ بَعْدَكَ كَصْنِيَّتَهُ بَكَ .
ثُمَّ أَذْكُرْ حَرَاسَكَ عَلَى عَسْكَرِكَ وَتَحْفَظْ مِنَ الْبَيَاتِ جَهَدَكَ . وَلَا تَؤْتِي بِأَسِيرٍ لِيْسَ لَهُ عَهْدٌ إِلَّا ضَرَبْتَ عَنْقَهُ لِتَرْهِبَ بِذَلِكَ عَدُوِّكَ وَعَدُوِّ اللَّهِ . وَاللَّهُ وَلِيَ أَمْرِكَ وَمِنْ مَعِكَ وَوَلِيَ النَّصْرَ لَكَ عَلَى عَدُوِّكَ وَاللَّهُ الْمُسْتَعْنَانِ^(١) .

(١) الفاروق القائد ٥٥ عن نهاية الأرب ، نقلًا عن عمر بن الخطاب لحمد صبيح .

تنظيم الحملة

وكتب عمر إلى سعد :

«إذا جاءك كتابي هذا فعشّر الناس (اجعلهم عشرة أعين) .

وعرّف عليهم (اجعل عليهم عرفاء) .

وأمر على أجنادهم (عين: أمراء الجناد) .

وعبّرهم (اجعلهم على تعبئة) .

ومر رؤساء المسلمين فليشهدوا (يحضروا) وقدرهم وهم شهود (ليعرف كل منهم قدره وقدر مسؤوليته برئاسته على من معه) .

ثم وجّه إلى أصحابهم وواعدهم القادسية .

واضم إليك المغيرة بن شعبة في خيله .

واكتب إلى^{إلى} بالذى يستقر عليه أمرهم » .

ويحسن بنا قبل أن نسير مع الحملة أن نقوم بعملية جرد لهذه القوات تساعدها على متابعتها وتقْهِم تحركاتها حين تستطرد مع الأحداث ، وأن نعد قائمة بها من واقع ما سبق ذكره في هذا الجزء والجزء الثالث من كتاب (الطريق إلى المدائن) .

من ولد قحطان

٦٠٠ حضرموت والصَّدِيف . عليهم شداد بن ضميج . (من السكون من كندة) .

١٣٠٠	منبه . عليهم عمرو بن معدى كرب . (من مذحج) . جعفى وحلفاؤهم من إخوة جزء وزبيد وأنس الله ومن لهم . (من مذحج) . عليهم أبو سارة بن ذؤيب .
٢٥٠٠	صداء وَجَنْبُ وَمُسْلِيَة . (من عريب بن زيد بن كهلان) . عليهم يزيد بن الحارث الصدائي .
٧٠٠	النخع بن عمرو (من مذحج) . أهل السروات - بارق وألمع وغامد وسائر إخوتهم (من الأزد) . عليهم حبيبة بن التعبان بن حبيبة البارقي .
٢٠٠٠	هذه الأعداد من اليمن وفدت إلى صرار ، منها ٤٠٠ من السكون ضمن كندة عليهم معاوية بن خديج في أول بند من البنود أعلاه . ياني لحقوا بسعد في زرود (ربما كانوا من مراد بن مذحج ومن هدان) .
١٧٠٠	من أهل اليمن عليهم أشعث بن قيس الكندي لحقوا بسعد .
٤٠٠	الأزد ^(١) أكثرهم من بارق - عليهم عرفجة بن هرثة - كانوا في جيش المثنى .
٢٠٠	خثعم ^(٢) . عليهم عبد الله بن ذي السهمين كانوا في جيش المثنى .
٢٠٠	يجيلة . عليهم جرير بن عبد الله كانوا في جيش المثنى .
١٠٠٠	طيء . عليهم عدي بن حاتم . كلهم فرسان ، لعلهم أكثر من كانوا في جيش المثنى ولحق بهم .
١٠٠٠	قصاء . عليهم عمرو بن وبرة . لعلهم أقل من ١٠٠٠ .
١٣٤٠٠	

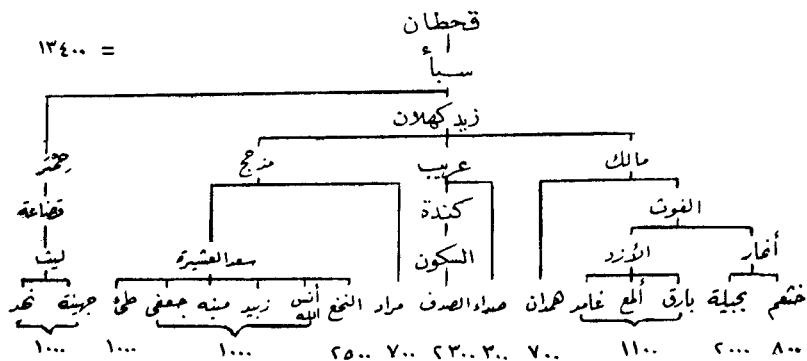
(١) الأزد وكتانة كانوا ٧٠٠ عليهم عرفجة من الأزد - قدرها الأزد ٤٠٠ وكتانة ٣٠٠ .
كتانة من ولد عدنان .
(٢) أنظر الجدول التالي لولد عدنان .

من ولد عدنان

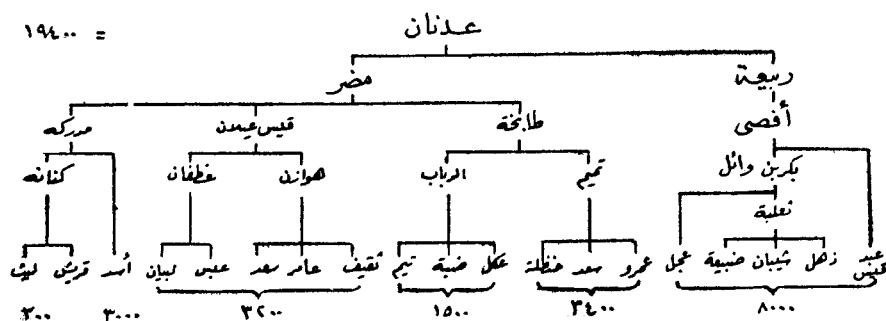
قيس عيلان . عليهم بشر بن عبدالله الهمالي . خرجوا مع سعد من صرار . نجدى من غطفان وغيرهم - فرسان . كتب عنهم سعد إلى عمر وهو في هوازن - لحقوا به في زرود .	١٠٠٠
سائر قيس - هم والبند السابق ٢٠٠٠ أمد بهم عمر سعداً فلحقوا به في زرود .	١٠٠٠
تميم . حشدهم سعد وهو بزرود وأنزلهم على حدود أرضهم بين الحزن والبساطة .	٣٠٠٠
الباب . حشدهم سعد وهو بزرود وأنزلهم على حدود أرضهم بين الحزن والبساطة .	١٠٠٠
أسد . حشدهم سعد وهو بزرود وأنزلهم على حدود أرضهم بين الحزن والبساطة .	٣٠٠٠
بكر بن وائل - منهم بنو شيبان وبنو ذهل وبنو عجل - من جيش المثنى . سائر ربيعة - منهم عبد قيس - من جيش المثنى . هذه الـ ٨٠٠٠ كانت ٤٠٠٠ في البويب وازدادت ٤٠٠٠ في الحشد الجديد .	٦٠٠٠
ضبة من الباب . عليهم عصمة بن عبد الله ، وابن الهوير ، والمنذر ابن حسان . في جيش المثنى .	٢٠٠٠
الباب (تم الباب) عليهم هلال بن علقة التميمي . في جيش المثنى . حنظلة (من تم) عليهم ثبت بن ربعي . » » » سعد (من تم) عليهم ابن المثنى الجشمي . » » » عمرو (من تم) عليهم ربعي بن عامر (١) . » » »	١١٠٠
كانة . عليهم غالب بن عبد الله الليشي .	٣٠٠
	١٩٤٠٠

(١) ضبة والباب وحنظلة وسعد وعمرو وخثعم ١٣٠٠ - قدرنا خثعم ٢٠٠ ، وخثعم من قحطان .

فجميع من شهد القadesية بضعة وثلاثون ألفاً ، وجميع من قسم عليه فيه
القادسية نحو من ثلاثين ألفاً^(١) . ($١٣٤٠٠ + ١٩٤٠٠ = ٣٢٨٠٠$)
هذا ما أمكننا إحصاؤه وهو في تفاصيله يطابق التفاصيل وفي جملته يطابق
المجموع ، فإذا جمعنا أبناء كل قبيلة من هؤلاء وجدناهم كالتالي :

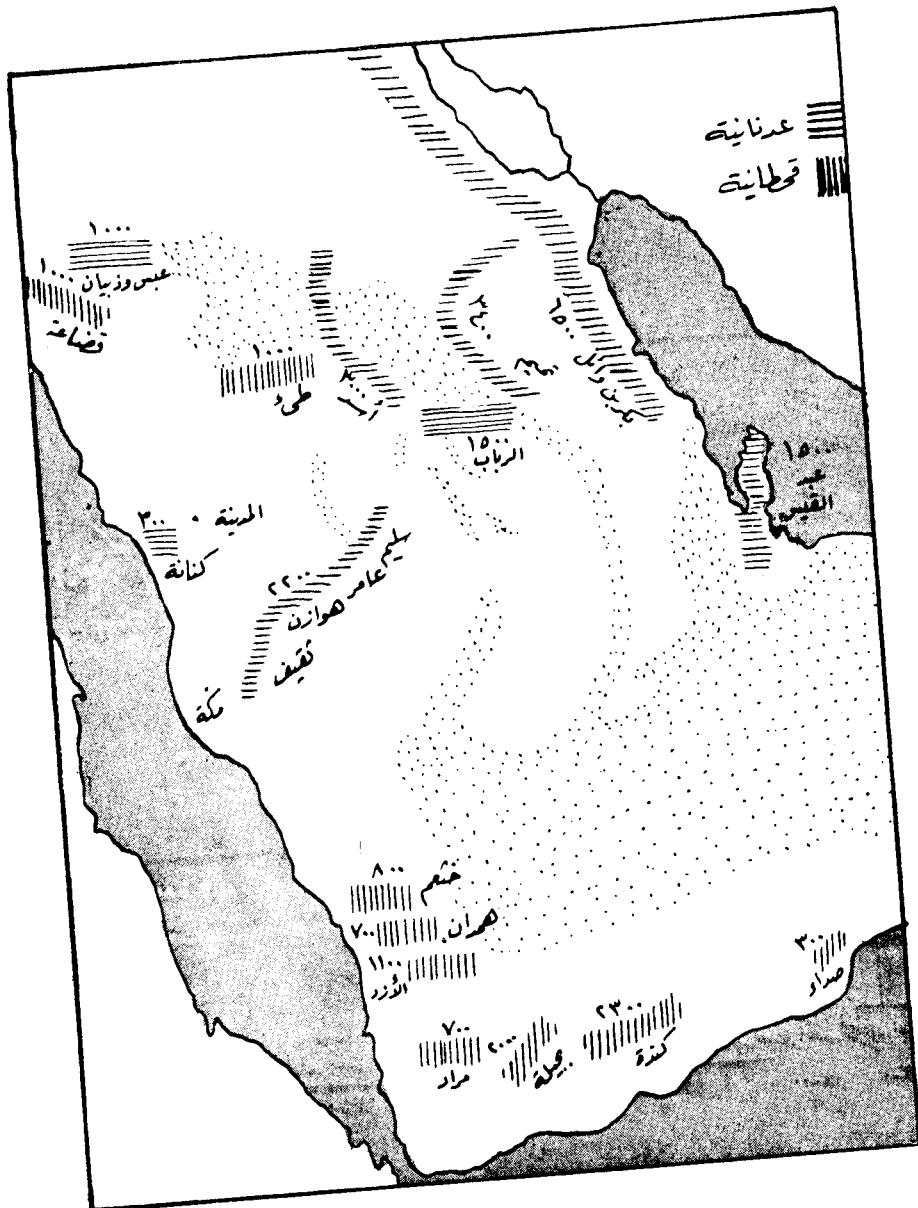


لوحة رقم (۱) فروع قحطان



لوحة رقم (٢) فروع عدنان

(١) الطيري ٣ / ٤٨٧ من شهـ عن محمد باسناده وزياد عن ماهان .



خریطة رقم (٢) حشود شبه الجزیرة لجیش القادسیة

وبعث سعد إلى المفيرة فانضم إليه يحيى ، كما بعث إلى رؤساء القبائل ووجوه الناس فجاؤوه .

فعرف فهم وجعل على كل عشرة عريفاً كما كانت على عهد رسول الله ﷺ ، وكذلك كانت إلى فرض العطاء سنة ١٥ هـ . وعین أمراء الأجناد .

وأمر على الرايات رجالاً من أهل السابقة .

وعشرين الناس أعشاراً وجعل على كل عشرين أميراً له وسائل في الإسلام . فكان كل عشر يزيد عن الثلاثة آلاف قليلاً أو كثيراً ، ومتوسط عدده العشر ٣٢٠٠ .

ثم بعد ذلك عبأ التعبئة .

وجعل على المقدمة زهرة بن عبد الله بن قتادة بن الحوية ^(١) .

وجعل على الميمنة عبد الله بن المutm صحابي رسول الله ﷺ .

وجعل على الميسرة شرحبيل بن السمط بن شرحبيل الكندي ^(٢) .

وجاء إذن عمر إلى سعد ببعث زهرة بالمقدمة من شراف إلى العذيب .

وجعل رديفه وخليفته خالد بن عرفة .

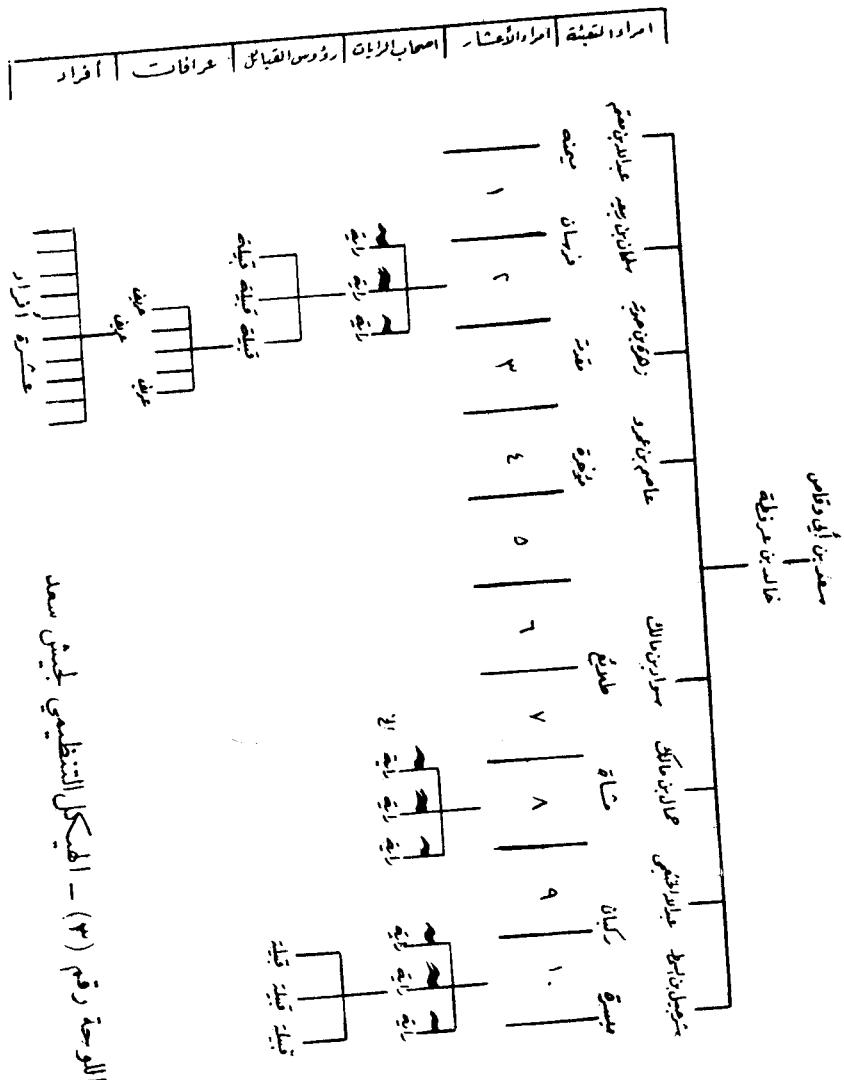
وجعل على الساقية (المؤخرة) عاصم بن عمرو التميمي العميري .

وجعل على الطلائع سواد بن مالك التميمي (وهي ما يقوم بأعمال الدوريات) .

(١) بن مرند بن معاوية بن معن بن مالك بن أرثم بن جشم بن الحارث بن الأعرج بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تم . وقال الواقدي في فتوح الشام زهرة بن جويرة . وكان ملك هجر قد سود زهرة في الجاهلية ، ووفد على النبي صلى الله عليه وسلم .

(٢) عقد له رسول الله يوماً لواء أبيض وهو أحد التسعة الذين قدموا عليه من عبس فتمهم طلحة بن عبيد الله عشرة فكانوا عرافة - الاصابة ٤٩٣٤ - ٤٩٦٧ - الاستيعاب ٢/٣٢٣ .

(٣) كان غلاماً شاباً قاتل أهل الردة وأبلى بلاء حسناً وفى فعرف له ذلك ، وكان قد غلب الأشث بن قيس على الشرف في كندة فيما بين خروجهم من المدينة إلى أن اخضطت الكوفة . وكان أبوه من اتجه إلى الشام مع جيش أبي عبيدة بن الجراح .



وجعل على المجردة (الخيل) سلمان بن ربعة الباهلي ^(١) .

وجعل على الرَّجُل (المشاة) حمال بن مالك الأستدي ^(٢) .

وجعل على الرَّكَبَان عبد الله بن ذي السَّهْمِينِ التَّشْعَمِيِّ . (وهي الإبل ، يعني ^(٣) شُؤُونَ النَّقْلِ وَالْحَمْلَةِ - الشُّؤُونُ الْإِدَارِيَّةِ) .

فكان السُّلْمُ الْقِيَادِيُّ فِي الْحَمْلَةِ أَعْلَاهُ الْأَمِيرُ وَهُوَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَاصٍ ، ثُمَّ خَلِيفَتْهُ خَالِدُ بْنُ عَرْفَةَ .

ثُمَّ أَمْرَاءُ الْأَعْشَارِ .

ثُمَّ أَصْحَابُ الرَّاِيَاتِ .

ثُمَّ رُؤُوسُ الْقَبَائِلِ .

وَلَمْ يَسْتَعِنْ أَبُو بَكْرٍ بْنَ سَبْقَتْلَهُ رَدَّةً . وَاسْتَنْفَرُهُمْ عُمْرٌ ^(٤) وَلَمْ يَوْلُّْ مِنْهُمْ أَحَدًا .
وَقَدْ بَعَثَ عُمْرُ إِلَى سَعْدٍ بِالْأَطْبَاءِ .

وَجُعِلَ عَلَى الْقَضَاءِ وَالْأَقْبَاضِ وَقَسْمَةِ الْفَيْءِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ ربِيعَةِ الْبَاهِلِيِّ
ذَا النُّورِ ، وَهُوَ الْأَخُ الأَكْبَرُ لِسَلْمَانَ بْنَ ربِيعَةِ قَائِدِ الْمُجْرَدَةِ . وَيُبَدِّلُ أَنْ جَبَرُ بْنُ
الْقَشْعَمِ الْكَنْدِيُّ كَانَ يَعْوَنُهُ فِي ذَلِكَ ^(٥) .

(١) ذكرنا في الجزء الأول من كتاب «الطريق إلى المدائن» أن الخيل كانت تكثر في نجد و تقل الإبل . و سلمان من باهله من غطفان من قيس عيلان ، منازلهم في نجد وهي مواطن الخيل .

(٢) الاصابة ١٨١٦ .

(٣) ذكرنا في الجزء الأول من كتاب «الطريق إلى المدائن» أن أهل اليمن كانوا أصحاب الإبل و تقل عندهم الخيل ، و خشون من قبائل اليمن . وفي مختار الصحاح : يقال مَوْبِنَا رَاكِبٌ إِذَا كَانَ عَلَى بَعْيرٍ خَاصَّةً ، فَإِذَا كَانَ عَلَى فَرْسٍ فَهُوَ فَارِسٌ . وَقَالَ عَمَّارَةُ : رَاكِبُ الْحَمَارِ حَمَارٌ - بَتَشِيدِ الْمَيْ - لَا فَارِسٌ . وَالرَّاكِبُ أَصْحَابُ الْإِبْلِ فِي السَّفَرِ دُونَ الدُّرَابِ وَهُمْ الْعَشْرَةُ فِي فَوْقَهَا ، وَالرَّكَبَانُ الْجَمَاعَةُ مِنْهُمْ وَالرَّاكِبُ الْإِبْلِ الَّتِي يَسَارُ عَلَيْهَا الْوَاحِدَةُ رَاحِلَةً .

(٤) الطبرى ٤٨٩/٣ س ش س عن عمرو عن الشعبي .

(٥) الاصابة ١٢٧٣ . وَقَالَ جَبَرُ بْنُ الْقَشْعَمِ بْنَ يَزِيدَ بْنَ الْأَرْقَمِ بْنَ النَّعْمَانَ بْنَ عَمْرُو بْنَ وَهْبٍ بْنَ ربِيعَةِ بْنِ مَعَاوِيَةِ الْأَكْرَمِيِّ الْكَنْدِيِّ : شَهَدَ فَتوْحَ الْمَرْأَقَ وَتَوْلَى الْقَضَاءَ بِالْقَادِسِيَّةِ .

وجعل داعيهم ورائهم سلمان الفارسي ^(١) .

وكان الترجان هلال الهجري .

وكان الكاتب زياد بن أبي سفيان .

وكان في الحلة كلها بضعة وسبعون من شهد بدرأ ، وثلاثة وبضعة عشر من

كانت له صحبة فيها بين بيعة الرضوان إلى ما فوق ذلك ، وثلاثة من شهد فتح

مكة ، وبسبعينة من أبناء الصحابة في جميع أحياء العرب . فلم يخرج من شراف

إلا على تعبئة ونظام كاملين ولم يخرج منها إلا بأمر عمر .

(١) الطبرى ٤٨٩ / ٣ س عن مجالد وعمر و ياسنادها وسعید بن المربزان .

خطة الحملة

وصية المفتى

فرغ سعد من تنظيم جيشه فكتب بذلك إلى عمر . وفيما هو ينتظر جوابه قدم عليه المعنى بن حارثة ومعه سلمى بنت خصفة بوصية المثنى تتضمن عصارة تجربة في حرب العراق ، يذكر فيها لسعد رأيه .

« ألا يقاتل عدوه وعدو المسلمين من أهل فارس إذا استجتمع أمرهم وملؤهم في عقر دارهم ، وإنما يقاتلهم على حدود أرضهم على أدنى حجر من أرض العرب وأدنى مدرة (قرية) من أرض العجم .

فإن يظهر الله المسلمين عليهم فلهم ما وراءهم وإن يكن الأخرى رجعوا ، ففاووا إلى فئة ثم يكونوا أعلم بسبيلهم وأجرأ على أرضهم إلى أن يرد الله الكرّة لهم على عدوهم » .

وترحم سعد على المثنى ، وأمر المعنى على عمله وأوصى بأهل بيته خيراً وخطب سلمى فتروجهها وبني (١) بها .

أوامر عمر

وكتب عمر إلى سعد كتاباً قدم عليه وهو بشراف بثل رأي المثنى .
« أما بعد . فسِير من شراف نحو فارس بن معك من المسلمين وتوكل على الله واستعن به على أمرك كله .

(١) الطبرى ٣ / ٤٩٠ س ش عن أبي عمرو عن أبي عثمان النهدي .
الطبرى ٣ / ٥٧٥ عن ابن اسحق .

واعلم فيما لديك أنك تقدم على أمة عددهم كثير وعددهم فاضلة وبأسهم شديد، وعلى بلد منيع وإن كان سهلاً، كثُور (شاق) لبحوره وفيوضه ودَادِه، إلا أن توافقوا غيضاً من فيض (الفيض الماء القليل والفيض الماء الكبير) .

وإذا لقيتم القوم أو أحداً منهم فابدأهم الشد والضرب وإياكم والمناظرة (الانتظار) بجوعهم . ولا يخندُنُكُمْ فإنهم خدعة مكررة ، أمرهم غير أمركم إلا أن تجاذبُهم .

وإذا انتهيت إلى القadesية والقادسية بباب فارس في الجاهلية وهي أجمع تلك الأبواب لما دارتم ولما يريدونه من تلك الأصل (البلاد الأصلية) وهو منزل رغيب خصيب حصين دونه قناطر وأهار ممتنعة فتكون مسالك على أنقاها (النقب الطريق في الجبل) ، ويكون الناس بين الحجر والمدار ، على حافات الحجر وحافات المدر والجرار بينها (الجرعاء رملة مستوية لا تنبت شيئاً) .

ثم الزم مكانك فلا تبرحه فإنهم إذا أحسْتوه انقضتهم يجمعهم الذي يأتي على خيلهم ورجلهم وحدهم وحدهم . فإن أنت صبرت لعدوك واحتسبت لقتاله ونوبته الأمانة رجوت أن تنتصروا عليهم ثم لا يجتمع لكم مثلهم أبداً إلا أن يجتمعوا وليس معهم قلوبهم وإن تكون الأخرى كان الحجر في أدباركم فانصرفتم من أدنى مدارَة من أرضهم إلى أدنى حجر من أرضكم ، ثم كتمت عليها أجراً وبها أعلم ، وقادوا عنها أجبن وبها أجهل حتى يأتي الله بالفتح عليهم ويرد لكم الكرّة .

فإذا كان يوم كذا وكذا فارتحل بالناس [من شراف] حتى تنزل فيما بين عذيب الهجانات وعذيب القوادس ، وشرق بالناس وغرب (١) .

و مع هذا الكتاب كتب عمر إلى أبي عبيدة بن الجراح بالشام يأمره بصرف أهل العراق إليه وهم ستة آلاف ومن استهوى أن يلحق بهم .

وخرج سعد في حوالي ١٣ صفر ١٥٥٥ مارس (آذار) ٦٣٦ م .

(١) الطبرى / ٣ / ٤٩٠ م ش من عن أبي عمرو عن أبي عثمان النهدي .

خطة القاذسية

كانت الخطة الأساسية التي رسمها أبو بكر حملة خالد بن الوليد أن يطبق على غرب الفرات بفك كماثة من شماله وجنوبه والقضاء على كافة القوات ، ثم يعبر الأنهار إلى المدائن . ويمكن القول أن حملة أبي عبيد كانت امتداداً لتلك الخطة واستمراراً لها . أما حملة سعد فإن الخطة التي رسمها لها عمر تختلف ، إذ استفاد من تجارب الحملات السابقة وانتهى إلى مثل رأي المثنى فبني خطتها على نقطتين أساسيتين :

- ١ - اختيار مكان محدد لتجري على أرضه المعركة توافق فيه شروط معينة:
 - أ - أن يكون على الحدود الطبيعية بين الصحراء وبين الشبكة المعقدة للمسالك والمسطحات المائية تجنبًا للتورط في القتال على أرض الموضع هذه ، وهذا درس معركة الجسر .
 - ب - حفظ خط الرجعة لجيش المسلمين إذا دارت المعركة على غير ما يرجى ، لأنه ليس وراءهم إلا الصحراء ، في حين تكون هذه العوائق المائية نكبة على الفرس إذا دارت المعركة في غير صالحهم لأنها ستعوق انسحابهم ، وهذا درس معركة البويب .
هذه الشروط توافرت في القاذسية .
- ٢ - أن تكون المعركة التي تدور على هذه الأرض - بعد استدراج الفرس إليها - كبيرة وحاسمة تقضي على القوة الأساسية لهم ، القوة الأساسية بشقيها المادي والمعنوي ، فيكون من أثر ذلك أن ينفتح ما وراءها فلا يعود لهم اجتماع قوة مثلها بعدها ، فإن حدث تكون معنوياتها صفرأً وقلوبها ليست معها .
البساطة دائماً من عناصر الخطة الناجحة ، وما أبسط هذه الخطة .

نَزُولُ الْحَمْلَةِ الْقَادِسِيَّةِ

١٦ صفر ١٥٥ . - ٢٩ مارس (اذار) ٦٣٦ م .

جاسوس بالقادسية

أخرج سعد المقدمة مع زهرة بن الحوية من شراف حتى نزل عذيب المجانات، ثم ارتحل في أثره حتى نزل عليهم عذيب المجانات في وجه الصبح . يدلنا وصوهم في أول الصباح على أن سيرهم كان ليلاً وهو ما يفسره لنا تاريخ التحرك إذ أنها كانت ليالٍ مقمرة . فخرج زهرة من عذيب المجانات إلى عذيب القوادس ، وكان من مسالح الفرس لهم به حصن . فلما ظهر لل المسلمين استبانوا على بروجه أنساً تظاهر وتحتفي في مختلف بروجه وشرفاته ، فتوقفت أول خيل المقدمة حتى تلاحق بهم جمع كثيف وهم يرون أن بالحصن خيلاً . ثم أقدموا عليه فخرج رجل يوكلن نحو القادسية ، ودخل المسلمين حصن العذيب فلم يجدوا به أحداً وإذا ذلك الرجل بفرده هو الذي كان يتراءى لهم على البروج وبين الشرف مكيدة لهم ليخدعهم بأن الحصن مليء بالجندي فلما رأهم أقدموا انطلق هارباً ليخبر من وراءه بخبر من رأى من المسلمين . وانطلقوا في أثره ليدركوه فأعجزهم . وعرف زهرة بذلك فتبعهم ولحقهم ثم سبّهم يتبع الرجل وهو يقول : « إن أفلتَ الرَّبِيعَ أَتَاهُمُ الْخَبَرُ ». فأدر كه بالخندق (خندق سابور) تجاه القادسية فطعنه فقتله فيه . وقد

تعجب المسلمين من شجاعة ذلك الرجل ومهارته وعلمه بالحرب ، فلم يروا عن قوم قط أثبتت ولا أربط جاشاً منه ، ولو لا بعد مقصده ما أدر كوه وما أصابه زهرة . ووجد المسلمين بالعذيب رماحاً ونُشَّاباً (سهاماً) وأسفاطاً (السقط وعاء كالقفنة) من جلود وغيرها فانتفعوا ^(١) بها . ونزل زهرة القادسية بين نهر العتيق وخندق سابور أمام قنطرة العتيق وقصر قدينس أسفل منها بيل ^(٢) .

أسروا « زفة »

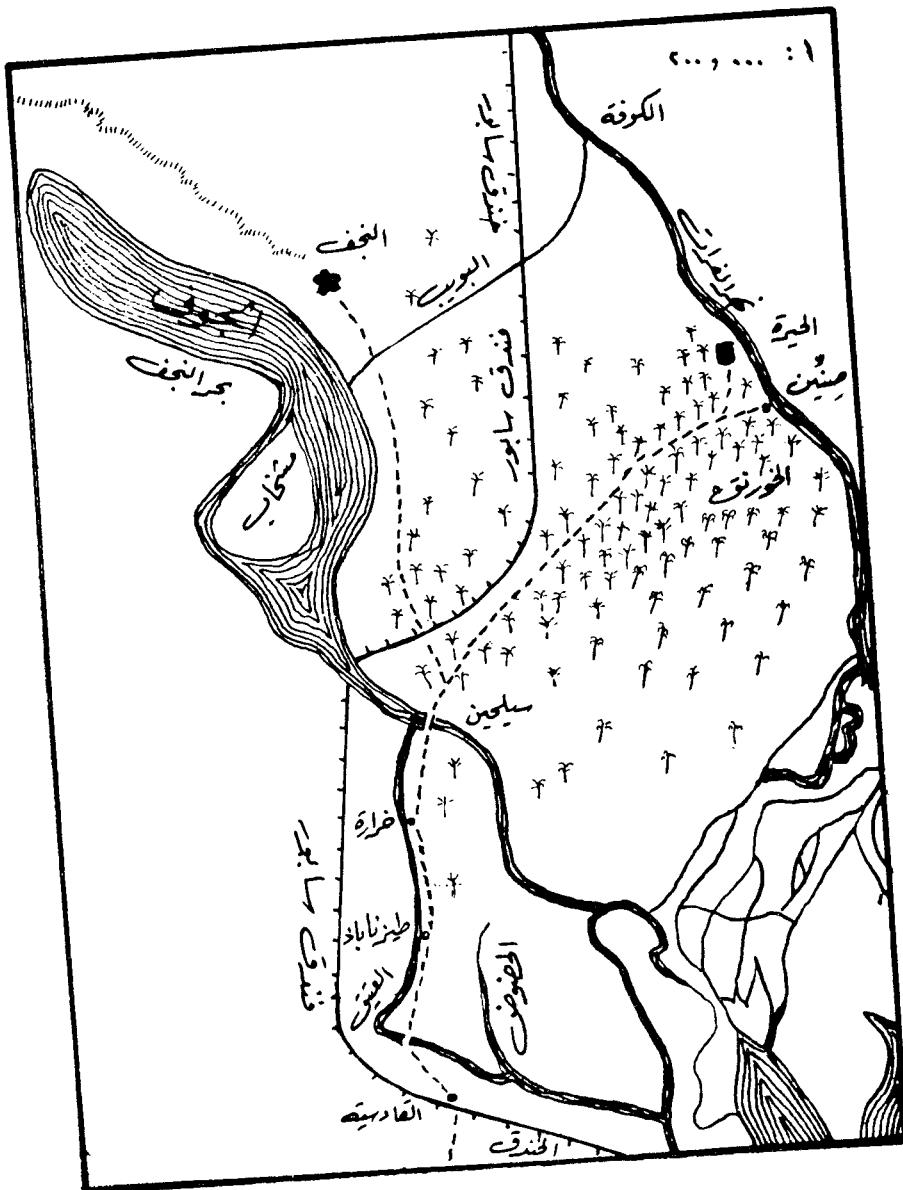
وما أن نزل زهرة القادسية حتى بدأ العمل فشكّل سرية وبعثها في جوف الليل لشنّ الغارات ، وهذا مثال للمقاتل المسلم النادر الجاهز للتحرك فوراً وفي أي وقت وفي أي اتجاه ، فاختار ثلاثة فارساً من الميروفين بالنجدة والبأس ، ويبدو أنهم لم يكونوا من قبيل واحد وإنما انتخبهم من جميع قوة المقدمة ، كان فيهم الشياخ بن ضرار الشاعر القيسي المخضرم المعروف ، وكان أمير السرية ^{بـ}كثير بن عبد الله الليثي . فساروا ليلاً من نفس اليوم الذي نزلوا فيه القادسية ، وكانت وجهتهم الحيرة ، فعبروا قنطرة العتيق نحو السينـلـحـيـن ^(٣) ثم عبروا جسرها وجاوزوها في اتجاه الحيرة . فما ساروا إلا قليلاً حتى سمعوا جلبة وأزفة فتوقفوا وأقاموا كميناً بين النخل الذي يلأ المنطقة حتى يتبيّنا جلية الأمر .

وظلت الجلبة تقترب على الطريق حتى أقبلت خيول تقدم تلك الغوامة فتركوها تمر فنفذت في الطريق إلى صنين وهي لا تشعر بالكتين الرابض في النخل إذ كانت تنتظر العين الذي كان بقديس وقتلها زهرة ، ويبدو أنهم استطأوا عودته . وأقبل الموكب الصالب فإذا هو زفة أخت آزادمرد بن آزادبه مرزبان الحيرة ، كانت تزف في تلك الليلة إلى صاحب صنين وكان من أشراف العجم . والظاهر أن ذلك الزواج كان مع عيد النيروز (الربيع) عند الفرس .

(١) الطبرى / ٣ ٤٩٣ من شـسـ عن عبد الله بن مسلم العكلى والمقدام بن أبي المقدام عن أبيه عن كربـنـ أبيـ كـرـبـ العـكـلـيـ وـكـانـ فـيـ الـقـدـمـةـ أـيـامـ القـادـسـيـةـ وـهـوـ صـاحـبـ هـذـهـ الـرـوـاـيـةـ .

(٢) الطبرى / ٣ ٤٩٢ـ عن سـشـ عن أبيـ عـمـرـ عنـ أبيـ عـيـثـانـ النـهـيـ .

(٣) قال ابن خردازبه : طسوج السيلعين وفيه المخورنق وطيفز ناباذ - ص ١١ .



خریطة رقم (۳) صنفان

من نشاط آزادمرد بإيقاده قابوس إلى القادسية، ومن هذا الزواج الذي يتم في الإقليم نستطيع أن نخلص إلى أن الحكام الفرس قد عادوا بأشخاصهم وخبلهم إلى الحيرة بعد أن انسحب منها المثنى إلى تخوم البداية . والذى يظهر على مسرح الحيرة من الآن فصاعداً هو آزادمرد وليس أبوه آزادبه الذي يبدو أنه قضى نحبه . كانت الرفة في حرس من الخيال يتقدمهم شيرزاد بن آزادبه – أخو العروس وأخو آزادمرد – ليحميها مما هو دون ما لقوا ، فلما ذهبت الخيال وجازت الأنقال بال المسلمين ، خرج بكير المسلمين فهم على شيرزاد فقسم صلبه وطارت خيله على وجوهها . واستولى بكير على الأنقال وعلى العروس وثلاثين امرأة من الدهاقين ومائة من التوابع ومعهم ما لا يدرى قيمته ، ثم عاد يسوق ذلك كله حتى إذا طلعوا على سعد بعذيب المجانات **كُبُرُوا تكبيراً شديدة** ، فقال لهم سعد :

« أقسم بالله لقد كبرتم تكبيراً قوم عرفت فيهم العزة » .
وقد سعد تلك الفنيمة فالخمس نفثه وأعطى المجاهدين أربعة أخاس ، فوقع منهم موقعاً طيباً ^(١) .

انتظار بالقادسية

وأنزل سعد نساء المسلمين بالعذيب ووضع معها خيلاً ترعاها وتحميها ، وانضم إليهم حماة كل حريم ، وأمرر عليهم غالب بن عبد الله الليثي . ثم ارتحل سعد حتى نزل القادسية فنزل بقدسيس [حصن القادسية] ونزل زهرة بالقدمة أمام القنطرة التي على العتيق فهي مفتاح المور بتلك الجهة وكان يتعين الإمساك به . ثم كتب سعد إلى عمر بخبر سرية بكير وبنزله قديسأ . وأقام على ذلك شهراً .
وعاد سعد يكتب إلى عمر :

« لم يوجه القوملينا أحداً ، ولم يستندوا حرباً إلى أحد علمناه . ومتى يبلغنا

(١) الطبرى ٤٩٣/٣ من ش من عبد الله بن مسلم العكلى ، والمقدام بن أبي المقدام عن أبيه عن كرب بن أبي كرب العكلى ، وكان في القدمة .

ذلك نكتب به . واستنصر الله ، فإننا بمنحة دنيا عريضة دونها بأس شديد . قد تقدم علينا في الدعاء إليهم فقال ستدعون إلى قوم أولي بأس شديد » .

فیہما فجاہد

و مع اهتمام عمر بمحشد كل الطاقات المتاحة وإمداد سعد بها فقد كانت تقلب عليه الاعتبارات الإنسانية حين تكون القضية على ذلك الحدث .
كان شيبان بن الحبيل التميمي من خرج مع سعد ، وكان أبوه قد هرم وضعف و كان يُغلب على عقله فجزع عليه و عمد إلى ماله ليبعثه ويتحقق بابنه فلتحقه علقة ابن هودة و قال له أنا أكلم لك عمر في رد ابنك . و توجه إلى عمر فأذنده نول الحبيل :

أيلكني شيبان في كل ليلة
ويخبرني شيبان أن لم يعفني
فإن يك غصني أصبح اليوم بالي
إذا قال صحي يا رب يع ألا ترى
فبكى عمر ورق له وكتب إلى سعد أن يعيد شيبان فانصرف إلى أبيه فكان
معه حتى مات ^(١٢)

وكان كلاب بن أمية بن الأسكن من بني ليث من كنانة يسكن الطائف فهاجر إلى المدينة في خلافة عمر وأقام بها زماناً ثم لقي طلحة والزبير فسألهما : « أي الأعمال أفضل ؟ » قالا : الجهاد في سبيل الله . فسأل عمر فأغزاهم مع سعد بن أبي وقاص وخرج معه أخوه أبيه . وكان أبوهما شريفاً في قومه وقد كبر وضعف ^(٣) فقال :

(١) وجیب : یدق و یخفق .

(٢) الاصابة ٢٧٢٦ - ٣٩٩١ ونسبه شيبان بن المطلب (وهو الريبع) بن ربيعة بن ثمال بن اسف الناقة بن قريص بن عوف بن كعب بن سعد بن ابي ابيه من اصحابه

٣) الاصابة - ٢٥ - ٢٥٣ - ٧٤٤ - ونفسه كالج

عبد الله بن زهرة بن ذيئنة بن جندع بن ليث بن بكير بن عبد مناف بن كنانة .

وَمَا يَدْرِيكَ وَيَحْكُمُ مَا أَلَاقَ
كَلَابًا إِذْ تَوَجَّهُ لِلْعَرَاقِ
لَهُ رُفْعٌ الْحَجَّاجُ إِلَى بَسَاقِ
إِلَى شِيَخِينَ هَامَهَا زَوْاقِ

أَعَادُلُ قَدْ عَدَلْتُ بِغَيْرِ عِلْمٍ
فَإِمَّا كُنْتَ عَادِلًا فِرْدًا
سَأَسْتَعْدِي عَلَى الْفَارُوقِ رَبِّا
إِنَّ الْفَارُوقَ لَمْ يَرُدْ كَلَابًا

وَلَا طَالَتْ غَيْبَةَ كَلَابٍ عَادَ أَبُوهُ يَقُولُ :

كِتَابُ اللَّهِ لَوْ قَلَّ الْكِتَابُ
عِبَادُ اللَّهِ قَدْ عَقَّا وَخَابَا
فَلَا وَأَبِي كَلَابٍ مَا أَصَابَا
وَأَمْكَنَ مَا تَسْيِعُهَا شَرَابَا
عَلَى بَيْضَاتِهِ ذَكْرًا كَلَابَا
فَلَا وَأَبِي كَلَابٍ مَا أَصَابَا
كَبَاغِي الْمَاءِ يَتَبَعَ السَّرَابَا

لَنْ شِيَخَانَ قَدْ نَشَدَا كَلَابَا
أَنَّاهُ مَهَاجِرَانَ فَرَنَّخَاهُ
أَنَادِيهِ فَيُعَرَضُ فِي إِبَاءِ
تَرَكَتَ أَبَاكَ مَرْعَشَةَ يَدَاهُ
إِذَا نَعَّبَ الْحَامَ بِيَطْنَ وَجَّهَ
أَبْرَّا بَعْدَ ضَيْعَةِ وَالْدِيَهِ
وَإِنَّكَ وَالْتَّاسَ الْأَجْرَ بَعْدِي

وَكَانَ عَمْرٌ إِذَا قَدَمَ عَلَيْهِ قَادِمٌ سَأَلَهُ عَنِ النَّاسِ ، فَقَدَمَ قَادِمٌ فَسَأَلَهُ : « مَنْ أَنِّي ؟ »
قال : « مَنِ الطَّائِفُ » .

قال : « أَفَهُ ؟ »

فَذَكَرَ لَهُ أَبِيَاتٍ أُمِيَّةَ .

قال عَمْرٌ : « وَمَنْ كَلَابٌ ؟ »

قال : « ابْنُ الشِّيْخِ كَانَ غَازِيًّا » .

قال عَمْرٌ : « أَجْلٌ . وَأَبِي كَلَابٍ مَا أَصَابَا » .

وَكَتَبَ إِلَى سَعْدٍ يَأْمُرُهُ بِإِرْجَاعِ كَلَابٍ . فَلَمَّا قَدَمَ أَرْسَلَ عَمْرٌ إِلَى أُمِيَّةَ .

فَقَالَ : « أَيِّ شَيْءٍ أَحْبَبَ إِلَيْكَ ؟ »

قال : « النَّظَرُ إِلَى ابْنِي كَلَابٍ » .

فَأَعْدَادَهُ إِلَيْهِ فَلَمَّا رَأَهُ اعْتَنَقَهُ وَبَكَى بَكَاهُ شَدِيدًا فَتَأَثَّرَ عَمْرٌ وَبَكَى وَقَالَ :

« يَا كَلَابَ الزَّمْ أَبَاكَ وَأَمْكَنَ مَا بَقِيَا » .

كان عمر في هذا على طريق رسول الله ﷺ ، إذ جاءه رجل ليغزو معه فلما عرف أن له أبوبن شيخين كبيرين قال له : « فيها فجاهد » .

خارفات تموينية

كان جيش سعد أكبر من أي جيش سبق لفتح العراق ، فكانت المسألة التموينية بشأنه تحتاج إلى مزيد من التدبر أكثر مما كان بالنسبة للجيوش السابقة التي قادها خالد وأبو عبيد والثني . ولقد كان إيفال تلك الجيوش بسرعة إلى داخل سواد العراق يتيح لها الحصول على ما تحتاج إليه في معاشها وأكثر ، أما هذا الجيش فهو على ضعفه يقف على تخوم الصحراء . ولذلك اتجهت الخطة التموينية إلى أن تساهم المدينة في الأمر فيمدthem عمر بما يلزمهم اعتماداً على سهم « سبل الله » من الزكاة التي تؤديها قبائل شبه الجزيرة وهي المنصوص عليها في الآية ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفَقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤْلَفَةِ قَلْوَبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ ، فَرِيقَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾^(١) . هذا بالإضافة ^(٢) إلى ما يصيب المسلمين من غاراتهم على نواحي العراق ، تلك الغارات التي كان عليها أن تزداد عددًا وأن تذهب إلى مدى أبعد . فبالنسبة إلى الخطة والشعاير والتمر والحبوب كانوا قد اكتسبوا منها ما اكتفوا به لو أقاموا ^(٣) زماناً . أما اللحوم فهي التي كانوا يقرمون [يتوقون] إليها ، فإن اثنين وثلاثين ألفاً من الجندي يلزمهم ثلاثة وعشرون جملًا في اليوم على أساس البعير لمائة [كما تقدم في الجزء الأول من الطريق إلى المدائن] ، أو نحو تسعين ألف وستمائة من الإبل في الشهر لطعامهم خلاف ما يلزم نساءهم بالعذيب بما قد يبلغ نحو ذلك أو يزيد . روي أن المفيرة بن شعبة قدم القادسية على سعد بسبعين من

(١) التوبة : ٦٠ .

(٢) الطبرى ٥١٠/٣ ش من عن محمد وأصحابه وشاركتهم النصر عن ابن الرفيل عن أبيه . فتوح البلدان ٦٣٤ .

(٣) الطبرى ٤٩٥/٣ ش من عن عبد الله بن مسلم العكلي والمقدام بن أبي المقدام عن أبيه عن كرب بن أبي كرب العكلي وكان في مقدمات القادسية .

الابل الجيدة التي يحمل عليها ويركب، وعند سعد ضيق شديد من الحال فنحروها وأكلوا لحومها وادهنا بسحومها واحتذوا^(١) [جلودها] اخذوها أحذية]. فكان سعد يبعث السرايا للحصول على اللحوم وكانوا يسمون أيامها بها.

يوم الباقي

بعث سعد في إقامته تلك عاصم بن عمرو في سرية فيها نذير بن عمرو والوليد ابن عبد شمس وزاهر فساري الفرات إلى جنوبه حتى أتى ميسان [منطقة العماره بين البصرة وواسط] ، فطلب غنماً أو بقرأ فلم يقدر على شيء منها وهرب بها الفلاحون في الزرع وغلوا في آجام القصب ، وأوغل عاصم ورائهم حتى أصاب رجلاً على طف^(٢) أجمة^(٢) فسأله واستدله على البقر والغنم فحلف الرجل أنه لا يعلم وإذا ذلك الرجل راعي ما في تلك الأجمة، وخار ثور من داخلها يكذب الراعي فدخل عمرو فاستأق الشiran وكانت كثيرة فأتى بها عسكر المسلمين فقسمها سعد على الناس فأخصبوا بها أياماً.

يذكر الرواية أن ذلك بلغ الحجاج بن يوسف الثقفي في زمانه فأرسل إلى النفر الذي ذكرنا من شهدوا فسألهم :

قالوا : « نعم نحن سمعنا ذلك ورأينا وستقناها » .

قال : « كذبتم » .

قالوا : « كذلك إن كنت شهذتها وغبنا عنها » .

قال : « صدقتم ! فيما كان الناس يقولون في ذلك ؟ » .

قالوا : « آية تبشير يستدل بها على رضاء الله وفتح عدونا » .

قال : « والله ما يكون هذا إلا والجمع أبرار أتقياء » .

قالوا : « والله ما ندرى ما أجيئت [أخفت] قلوبهم ، فاما ما رأينا فإنما

(١) البخلاء ٢ / ١٩١ .

(٢) جانب شجر كثيف مكتن .

لم نر قوماً قط أزهد في دنيا منهم ولا أشد لها بغضاً ، ما اعتد على رجل منهم في ذلك اليوم بوحدة من ثلات ، لا يجبن ولا بغير (١) ولا بفُلول ٠

عرف هذا اليوم بيوم الأباقر وبث الفارات بين كسر و الأنبار ، فحوّوا من الأطعمة ما كانوا يستكفون به زماناً . كانت كسر يحذب العراق من وراء الفرات وكانت الأنبار بشمالها فكان الفارات انبعثت من القادسية إلى كافة أنحاء العراق في حركة مفاجئة للحصول على الميرة والطعام . وكان هدفها اللحوم بصفة خاصة .

(١) الطبرى ٤٩٣/٣ س ش من عن عبد الله بن مسلم العكلى ، والمقدام بن أبي القدام عن أبيه عن كرب بن أبي كرب العكلى .
والفُلول: الاختلاس من الغنائم .

رسّتم في موّاجهة سعد

أقام سعد بالقادسية زمناً ينتظر المجروس أن يوجها إليه قواتهم وهم لا يفعلون. واستطاعهم فبعث عيوناً إلى أهل الحيرة وإلى صلوباً بن نسطوراً دهقان قس الناطف من وراء الفرات . فرجعت إليه العيون بأن يزدجرد قد ولَّ رستم بن الفَرَخْزَاد الأرمني حرب المسلمين ، وأنه أمره أن يعسكر بخنوده .

دراسات

وجاء إلى سعد كتاب من عمر :
« أما بعد ، فتعاهدْ قلبك وحادثْ جندك بالموعظة والنية والحسبة . وَمَنْ غفل فليحدثها .

والصبر الصبر ، فإن الموعنة تأتي من الله على قدر النية ، والأجر على قدر الحسبة .

والخذر الخذر على ما أنت عليه وما أنت بسبيله . واسأوا الله المعافة وأكثروا من قول لا حول ولا قوة إلا بالله .

واكتب إلى أين بلغك جعهم ومن رأسهم الذي يلي مصادمتكم ، فإنه قد منعى من بعض ما أردت الكتابة به قلة علي بما هجمت عليه والذي استقر عليه أمر عدوكم .

فصف لنا منازل المسلمين والبلد الذي بينكم وبين المدائن صفة كأني أنظر إليها ، واجعلني من أمركم على الجليلة .

وَخَفِ اللَّهُ وَارْجُهُ لَا تُدِلُّ [تُنَتِّر] بِشَيْءٍ وَاعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ قَدْ وَعَدَمْ
وَتَوَكَّلْ لَهُذَا الْأَمْرَ بِمَا لَا يَخْلُفُ لَهُ فَاحْذَرْ أَنْ تَصْرُفَهُ عَنْكَ وَيَسْتَبِدُ بِكُمْ^(١)
غَيْرَكُمْ .

فَكَتَبَ إِلَيْهِ سَعْدَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنَ الصَّدِيقِ بِشَفَاعَةِ الْبَلْدِ وَصَفَّا طَبُو غَرَافِيَاً مَفْصَلًا :
«إِنَّ الْقَادِسِيَّةَ بَيْنَ الْخَنْدَقِ وَالْعَتِيقِ .

وَإِنَّ مَا عَنْ يَسَارِ الْقَادِسِيَّةِ بَحْرَ أَخْضَرَ [مُسْتَنْقَعٌ] فِي جَوْفِ [مُنْخَفَضٍ]
لَا حَرَّ [مُتَجَهٌ] إِلَى الْحَيْرَةِ بَيْنَ طَرِيقَيْنِ . فَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَعَلَى الظَّهَرِ وَأَمَّا الْآخَرُ
فَعَلَى شَاطِئِ نَهْرٍ يَدْعُ الْحَضُورَ يَطْلُبُ مِنْ سَلْكِهِ عَلَى مَا بَيْنِ الْخَوْرَنَقِ وَالْحَيْرَةِ .
وَإِنَّ مَا عَنْ يَمِينِ الْقَادِسِيَّةِ إِلَى الْوَلْجَةِ فَيَضِّنُّ مِنْ فَيْوَضِّ مِيَاهِهِمْ [هِيَ الْبَطِيْحَةُ
الْعَظِيْمَى] .

وَإِنَّ جَمِيعَ مِنْ صَالِحِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ أَهْلِ السَّوَادِ قَبْلَيِ النَّبِيِّ^(٢) لِأَهْلِ فَارِسِ ،
قَدْ خَفَوْا لَهُمْ وَاسْتَعْدُوا لَنَا .

وَإِنَّ الَّذِي أَعْدَوُ الْمَصَادِمَتِنَا رَسَمَ فِي أَمْثَالِهِ مِنْهُمْ ، فَهُمْ يَحَاوِلُونَ إِنْفَاضَنَا
وَإِقْحَانَنَا وَنَحْنُ نَخَاوِلُ إِنْفَاضَهُمْ وَإِبْرَازَهُمْ وَأَمْرَ اللَّهِ بَعْدَ مَا ضَرَّ وَقَضَاهُ مُسْلِمٌ
إِلَى مَا قَدِرَ لَنَا وَعَلَيْنَا .

فَنَسْأَلُ اللَّهَ خَيْرَ الْقَضَاءِ وَخَيْرَ الْقَدْرِ فِي عَافِيَةٍ » .

فَكَتَبَ عَمْرٌ :

«قَدْ جَاءَنِي كِتَابُكَ وَفَهَمْتُهُ .

فَأَقْأَمْ بِكَانْكَ حَتَّى يَنْفَضِّ اللَّهُ لِكَ عَدُوكَ . وَاعْلَمُ أَنَّهَا مَا بَعْدُهَا .

فَإِنْ مَنْحَكَ اللَّهُ أَدْبَارَهُمْ فَلَا تَنْزَعُ عَنْهُمْ حَقٌّ تَقْتَحِمُ عَلَيْهِمُ الْمَدَائِنَ فَانْهَا خَرَابَهَا
إِنْ شَاءَ اللَّهُ » .

وَجَعَلَ عَمْرٌ وَمَنْ مَعَهُ يَدْعُونَ لِسَعْدٍ وَمَنْ مَعَهُ .

(١) الطَّبَرِيُّ / ٣ / ٤٩١ مِنْ شِرْقِهِ عَنْ أَبِي عُمَرٍ وَعَنْ أَبِي عَمَانَ التَّهَدِيِّ .

(٢) الْإِلْبُ : إِجْمَاعُهُمْ عَدَاوَةُ الْوَاحِدِ ، يَقَالُ أَلْبَهُمْ بِتَشْدِيدِ الْأَمْ لِعَلَيْهِ أَيْ جَمِيعُهُمْ عَلَى عَدَاوَتِهِ .

وعاد عمر يكتب إلى سعد :

«إني قد ألقى في روبي أنكم إذا لقيتم العدو هزمتموهם ، فاطرحو الشك
وآثروا التقيّة عليه [إظهار غير ما تبطن ، أي لا تظهر نواياك] .
فإن لاعب أحد منكم أحدها من العجم بأمان أو قرفة [خلط عليه]
بإشارة أو بسان كان لا يدرى الأعجمي ما كله به وكان عندهم أماناً فأجروا
ذلك له بجرى الأمان ، وإياكم والضحك .
والوفاء الوفاء . فإن الخطأ بالوفاء بقية ، وإن الخطأ بالغدر المثلثة وفيها
وهنكم وقعة عدوكم وذهب ريحكم وإقبال ريحهم .
واعلموا أنني أحذركم أن تكونوا شيئاً على المسلمين وسيباً لتوهينهم ^(١) .
ولا يكربنك ما يأتيك عنهم ولا ما يأتونك به . واستعن بالله وتوكل عليه .
وابعث اليه رجالاً من أهل المنظرة والرأي والجلد يدعونه [إلى الإسلام]
فإن الله جاعل دعاءهم [دعوتكم لهم] توهينأ لهم وفلنجاً [ظفرأ] عليهم .
واكتب إلى ^(٢) في كل يوم ^(٣) .
رسم إذا هو الذي كتب عليه أن يقود جيش فارس ليخوض المعركة الكبرى
في مواجهة سعد بن أبي وقاص . فكيف وقع اختيار فارس على قائدما
الأول؟ ومن هو هذا القائد؟

من رسم

قال البلاذري ، رسم من أهل الري ويقال بل من أهل هذان ^(٤) . وفي
أخبار عيون سعد التي أوردناها سابقاً قالوا إنه أرمني . ولقد مرّ بنا ذكر رسم
قبل ذلك حين أراد أبوه الوصول إلى ملك فارس بالزواج من آزرميديخت

(١) الطبرى ٣/٤٩٢ من شن عن التفخاع ببيانه .

(٢) « ٣/٤٩٥ « « عن عبد الله بن مسلم العكلى ، والمقدام بن أبي المقدام
عن أبيه عن كرب بن أبي كرب العكلى .

(٣) فتوح البلدان ٦٣٤ .

فتحايلت حتى قتلته ، وعمت فارس فوضى أرادت بوران أن تحسها فكتبت إلى رستم وكان أميراً على خراسان فاستحثته للسير فزحف إلى المدائن لا يلقي جيشاً لازرميدخت إلا هزمه ، ثم حاصر المدائن واقتحمها وفقاً عيني آزرميدخت ثم قتلها .

ولته بوران أمر فارس عشر سنوات يعود الملك بعدها إلى آل ساسان وتوجهه وأمرت أهل فارس أن يسمعوا له ويطيعوا .

ورستم هو الذي وضع خطة الهجوم المضادة وبدأه مع رجوع المثنى من المدينة فحضر دهاقين السواد على الثورة بال المسلمين ودُسَّ في كل رستاق رجلاً لذلك وبعث ثلاثة جيوش هزمها أبو عبيد فوجه بهمن جاذوته ومنحه كل الإمكانيات الممكنة لفكسب المuros أول وآخر معركة لهم من المسلمين . وكانت فارس قد دانت العهد الذي عقدته لرستم .

ثم أوقع المثنى بالجوس في البويب وشن غارانه على أنحاء العراق فطلب رستم وفيزان من بوران أن تدتها على نساء آل كسرى وبعثا حتى وجدوا يزدجرد مختبئاً عند أخواله فنصباه ملكاً وعاد رستم يوجه الجيوش ضد المسلمين . حتى تجيء المعركة

وكان سعد مقيماً بال المسلمين في القادسية يبعث السرايا تشن الفارات هنا وهناك تستهدف هدفين :

الأول : هو الإعاشه والتعمين لجيش المسلمين في الميدان .

والثاني : هو شن حرب استنزاف Drain War على الفرس .

وما دام الفرس يطألون ولم يخرجوه إلى القادسية فليجبرهم سعد على ذلك .
ولا شك أن وقوف المسلمين بالقادسية وعدم تجاوزها إلى ما بعدها من ريف العراق قد استوقف نظر الفرس ^(١) لا سيما وليس هذا دأب المسلمين فيما سبق من

(١) الطبرى ٣ / ١٠٥ عن سمش عن محمد وأصحابه .
وعن النضر عن ابن الرفيل عن الرفيل (وكان فارسياً) .

معارك وحولات، غير أنه يبدو أنهم لم يفطنوا إلى خطأ المسلمين في المعركة المرتبطة وإلا لعملوا على تلافيها . ولا شك أيضاً أن الفارات التي كان يشنها سعد كانت تشكل ضفطاً شديداً على مadicيات الجحوس ومعنىاتهم . فقد ضج أهل السواد إلى يزدجرد بن شهريار وجأروا عليه بالشكوى وأرسلوا إليه^(١) .

« إن العرب قد نزلوا القادسية بأمر ليس يشبه إلا الحرب . وإن فعل العرب منذ نزلوا القادسية لا يبقى عليه شيء ، وقد أحرروا ما بينهم وبين الفرات . وليس فيما هنالك أنيس إلا في الحصون . وقد ذهبت الدواب وكل شيء لم تحتمله الحصون من الأطعمة ولم يبق إلا أن يستنزلونا . فإن أبطأ عن الغيات أعطيناهم بأيدينا » .

آتت حرب الاستنزاف ثمرتها ، وأثر ضغطها المادي والنفسي على المواطنين فكثرت استغاثة أهل السواد إلى يزدجرد على يدي آزادمرد بن آزادبه . كما كتب إليه بذلك الملك الدين لهم ضياع بالطف فثاروه وهيجوه على أن يتخذ إجراء يراه حاسماً فبدأ له أن يرسل رسم .

(١) الطبرى ٣ / ٥٠٧ من شى عن محمد وطلحة وعمر باسنادهم .

دبشليم الملك وبيدبا الفيلسوف

وأرسل يزدجرد إلى رستم فدخل عليه .

قال يزدجرد : « إني أريد أن أوجهك في هذا الوجه وإنما يعد للأمور على قدرها ، وأنت رجل أهل فارس اليوم وقد ترى ما جاء أهل فارس من أمر لم يأتهم مثله منذ ولِي آل أردشير » .

ولم يكن رستم يرحب بهذه المهمة الثقيلة على نفسه غير أنه رأى من السياسة أن يتظاهر بالقبول وأنهى على الملك على أمل أن يجد من هذا الأمر خرجاً .

قال يزدجرد : « قد أحب أن أنظر فيما لديك لأعرف ما عندك ، فصِفْ لي العرب وفعلهم منذ دخلوا القادسية ، وصِفْ لي العجم وما يلقون منهم » .

قال رستم : « صفة ذئاب صادفت غرَّةً من رعاء فافتست » .

قال يزدجرد : « ليس كذلك ، إني إنما سألك رجاءً أن تعرّب صفتهم فأقويك لتعمل على قدر ذلك فلم تصِبْ فافهم عنِي .

إنما مثلهم ومثل أهل فارس كمثل عقاب أوفى على جبل يأوي إليه الطير بالليل فتبيت في سفحه في أو كارها فلما أصبحت تجلّت الطير فأبصرته يرقها ، فهان شد منها شيء اختطفه . فلما أبصرته الطير لم تنهض من مخافته ، وجعلت كلما شد منها طائر اختطفه ، فلو نهضت نهضة واحدة ردّته وأشد شيء يكون

في ذلك أن تنجو كلها إلا واحداً، وإن اختلفت لم تنہض فرقة إلا هلكت، فهذا مثلهم ومثل الأعاجم . فاعمل على قدر ذلك 》 .

حوار أشبه بما نقرأ في كليلة ودمنة ، غير أنه يرسم استراتيجية عامة وهي أن تحشد فارس كل طاقاتها لعركة فاصلة واحدة ، ذلك كان اتجاه يزدجرد وتلك كانت خطة عمر أيضاً . ويبعدوا أن رستم قد بلغ به الملل مبلغه فقال : « أيها الملك دعني ، فإن العرب لا تزال تهاجم العجم ما لم تضربهم بي . ولعل الدولة أن تثبت بي فيكون الله قد كفى ونكون قد أصبنا المكيدة ورأي الحرب ، فإن الرأي فيها والمكيدة أفعى من بعض الظفر » .

فأبى يزدجرد وقال : « أى شيء بقي ؟ »

كان كأنما يرمي آخر سهم في جعبته .

قال رستم : « إن الأناة في الحرب خير من العجلة ، وللأناة اليوم موضع . وقتل جيش بعد جيش أمثل من هزيمة بمرة وأشد على عدونا » .

ورأى استغاثات أهل السواد في أذني الملك فاشتد حرصه ولعج وأبى أن يعفي رستم ، وكان ضيقاً بجوجاً فترك الرأي وأصر على رأيه . نرى أن رأي رستم كان أقرب إلى الصواب ، غير أنه لا محل للموازنة بينه وبين رأي الملك إذ لم يكن رستم يقوله مخلصاً في قوله وإنما كان ينتعل المعاذير ليتملص من هذه القيادة . ولم يكن الملك مقتنعاً بذلك . هذا وذاك فقط هما بعدها المسألة حين ناقشها الرجلان .

خرج رستم من المدائن فضرب عسکره بسياط ، وصارت رسالت رستم تتردد بينه وبين الملك ليرى موضعه لاعفائه وبعث غيره . ولكن الملك أبى واستحث رستم على المضي ، فأعاد عليه رستم القول في مراة ظاهرة : « أيها الملك ، لقد اضطريتني تضييع الرأي إلى إعظام نفسي وتزكيتها . ولو أجدت من ذلك بدأ لم أتكلم فيه فأنشدك الله في نفسك وأهلك وملكتك ، دعني أقم بعسکري وأسرّ جالتوس ، فإن تلك لنا فذلك وإنما على رجل وأبعث غيره حتى إذا لم نجد بدأ ولا حيلة صبرنا لهم وقد وهنّاهم وحسرناهم ونحن جامون » .

فأبى إلا أن يسير ^(١) .

دولة تتبع التنجيم

رجعت عيون سعد التي أرسلها إلى الخبرة وإلى ابن صلوبا بهذه الأخبار ، فكتب بها إلى عمر الكتاب الذي أثبتناه سابقاً .

وقد جرأ يزدجرد ^(٢) على إصراره على رأيه غلام جابان وكان منجماً لكرسي من أهل فرات بادقلي ، فأرسل إليه يزدجرد فأناه .

قال له الملك : « ما ترى في مسيرة رستم وحرب العرب اليوم ؟ » فخافه على الصدق فكذب عليه . وكان رستم يرى ما يراه المنجم وكتمه فشل عليه مسيره وخف على الملك .

قال الملك للمنجم : « إني أحب أن تخبرني بشيء أراه أطمئن به إلى قوله » . وكان هناك منجم هندي يدعى زرنا ، فقال له الغلام : « أخبره » . فقال زرنا : « سلني » ، فسأله .

قال : « إليها الملك يقبل طائر فيقع على إيوانك فيقع منه شيء في فيه ها هنا » وخط دائره على الأرض .

فقال العبد : « صدق ، والطائر غراب والذي في فيه درهم ! »

وطلب الملك جابان فأقبل حتى دخل عليه فسأله عما قال غلامه ، فحسب جابان نجومه ثم قال : « صدق ولم يصب ، هو عقعق ، والذي في فيه درهم فيقع منه على هذا المكان - وكذب زرنا - ينزو الدرهم فيستقر هنا » . ورسم دائرة أخرى .

فاصاروا من مجلسهم حتى وقع على الشرفات عقعق فسقط منه الدرهم في الخط الأول وتدحرج فاستقر في الخط الثاني . وعارض زرنا الهندي ^ججابان

(١) الطبرى ٥٠٧ / ٣ س ش عن محمد وطلحة وعرو بأسنادهم .

(٢) الطبرى ٥٠٦ / ٣ س ش عن النضر بن السري عن ابن الرفيل عن أبيه .

وناظره حيث خطأه ، فأتيا ببقرة نتوج حامل ، فقال الهندى : « سخلتها ^(١) بيضاء سوداء » .

فقال جابان « كذبت بل سوداء صبغاء » .

فصرحت البقرة واستخرجوها جنينها فوجدوه مشوهاً ذيله بين عينيه .

كان هذا كافياً لإثبات كذب المنجمين ، فلم يذكر أحد منهم شيئاً عن هذا وهو أظهر ما في الجنين بلا ريب . ومع ذلك قال جابان :

« من هنا أتي زرنا » .

وسبعوا الملك على إخراج رست فأمضاه .

وخرج جابان من عند الملك فكتب إلى جشنشاه :

إن أهل فارس قد زال أمرهم وأديل عدوهم عليهم ، وذهب ملك الجوسية وأقبل ملك العرب وأديل دينهم .

فأعتقد منهم الذمة ولا تخلينك الأمور ، والعجل العجل قبل أن تؤخذ » .

وخرج جشنشاه حتى أتى المعنى بن حارثة الشيباني وهو في خيل على العتيق فأخبره بما جاء فيه . فأرسله المعنى إلى سعد فاعتقد منه الذمة على نفسه وأهل بيته ومن استجواب له [أخذ عهداً] ورده سعد فكان صاحب أخبارهم ومصدراً هاماً من مصادرها . ولكي لا ننسى جشنشاه هذا نذكر أنه هو الذي كان يقود ميمنته جابان في النارق في مواجهة عمرو بن الهيثم الذي كان على ميسرة أبي عبيد الثقفي يومها . وأهدى جشنشاه فالوذج إلى المعنى .

قال المعنى لأمرأته ما هذا ؟

قالت : « أظن البائسة امرأته أراغت العصيدة فأخطأتها » .

قال : « المعنى بؤساً لها » !

قائد بالإكراء

كان رست إذا قائد الميدان لجيش العجم مجندًا مكرهاً شأن كل المجندين فيه

(١) السخلة هي الجنين .

من الجندي - بينما لم يكن في جيش المسلمين مكره واحد . وكان التنجيم والتشاؤم والخوف قد ملكت عليه قلبه وهو رجل فارس في السياسة وال الحرب . ولئن كانت الدول تجند جنودها تجنيداً إجبارياً في جميع أنحاء العالم في مختلف العصور ولا غضاضة ، فإننا نرى أنه من أفحش الخطأ أن يجند القائد العام على كره منه واعتراض . ومن المسلم به في العرف الحربي اليوم أن من حق القائد أن يتنهى عن منصبه إذا لم يكن مقتنعاً بالمعركة أو بخوضها أو بأسلوب حكومته معه ، وأنه لا يجوز حينئذ إكراهه والضغط عليه لإرغامه على قبول ما لا يقبل .

دعوة إلى الإسلام

وقد أتى يزوجرد

وإنفاذًا لأمر عمر جمع سعد نفراً عليهم بخار^(١) ولهم آراء واجتهاد وهم :

السعهان بن مقرن	المرزق
بسير بن أبي رهم	الجهني
احملة بن جويبة	الكتانى
حنظلة بن الربيع	التميمي
فرات بن حيان	العجلي
عدي بن سهيل ^(٢)	

المغيرة بن زرارة بن النباش بن حبيب الأسندى .

ونفراً عليهم مهابة ولهم منظر لأجسامهم ولهم آراء وهم :

عطارد بن حاجب	التميمي
الأشعث بن قيس	الكتندي
الحارث بن حسان	الذهلي
العاصم بن عمرو	التميمي

(١) بخار : أصل وحسب لون - المجد .

(٢) لم نتطرق على أي ذكر آخر أو ترجمة لعدي بن سهيل ، وربما يكون وقع خطأ من الرواية وصوابه سهيل بن عدي الخزرجي من الأنصار ، شهد بدرًا وأحدًا والشاهد بعدها . له ذكر في فتح الجزيرة وفتح فارس وكرمان .

عمرٌ بن معدٍ كرب الزبيدي
المغيرة بن شعبة الثقفي
المعنى بن حارثة (١) الشيباني .

فكان هؤلاء الأربعـة عشر هـ وفـد سـعـد ودـعـاتـه إـلـى يـزـدـجـرـدـ الثـالـثـ آخرـ مـلـوـكـ بـنـيـ سـاسـانـ ، خـرـجـوـاـ إـلـيـهـ اـحـتـجـاجـاـ إـلـىـ اللهـ وـدـعـاتـهـ لـهـ .

من هـؤـلـاءـ الـوـفـدـ (٢)

أولـهمـ وـأـمـيرـهـ النـعـمـانـ بـنـ مـقـرـنـ مـنـ بـنـيـ مـزـيـنـةـ ، صـحـابـيـ رـسـولـ اللهـ صـلـلـهـ عـلـيـهـ وـهـاـجـرـ إـلـىـ النـبـيـ فـيـ سـبـعـةـ إـخـوـةـ لـهـ . روـيـ عـنـهـ أـنـهـ قـالـ : « قـدـمـنـاـ عـلـىـ رـسـولـ اللهـ صـلـلـهـ عـلـيـهـ فـيـ أـرـبـعـائـةـ مـنـ مـزـيـنـةـ » . وأـوـلـ مـشـاهـدـهـ الـخـنـدـقـ . ثـمـ كـانـ صـاحـبـ لـوـاءـ مـزـيـنـةـ يـوـمـ فـتـحـ مـكـةـ وـكـانـوـاـ أـلـفـاـ . ولـمـ وـقـعـتـ الـرـدـةـ وـقـفـ فـيـ الـمـدـيـنـةـ إـلـىـ جـوـارـ أـبـيـ بـكـرـ يـدـفـعـ عـنـ الـإـسـلـامـ وـالـمـسـلـمـينـ عـنـتـهـ ، فـكـانـ عـلـىـ مـيـمـنـةـ أـبـيـ بـكـرـ فـيـ قـتـالـهـ مـرـتـدـيـ عـبـسـ وـذـبـيـانـ ، وـكـانـ أـخـوـهـ عـبـدـ اللهـ عـلـىـ الـمـيـسـرـةـ وـأـخـوـهـماـ سـوـيدـ بـنـ مـقـرـنـ عـلـىـ الـمـؤـخـرـةـ ، سـارـوـاـ مـنـ الـمـدـيـنـةـ إـلـىـ ذـيـ قـصـةـ فـدـهـوـاـ الـمـرـتـدـيـنـ وـكـانـ ذـلـكـ أـوـلـ فـتـحـ الـرـدـةـ . وـرـجـعـ أـبـوـ بـكـرـ إـلـىـ الـمـدـيـنـةـ وـقـدـ خـلـفـ النـعـمـانـ بـنـيـ مـزـيـنـةـ قـصـةـ فـيـ عـدـدـ مـنـ الـرـجـالـ . ثـمـ وـجـدـنـاـ النـعـمـانـ بـعـدـ ذـلـكـ فـيـ جـيـشـ خـالـدـ لـفـتـحـ الـعـرـاقـ وـاحـدـاـ مـنـ عـشـرـةـ إـخـوـةـ جـاءـ ذـكـرـهـ فـيـ حـصـارـ حـصـنـ بـنـيـ مـازـنـ مـنـ حـصـونـ الـحـيـرـةـ . وـلـنـعـمـانـ بـعـدـ ذـلـكـ تـارـيـخـ نـاصـعـ وـجـهـادـ مـشـرـفـ حـقـ اـسـتـشـهـدـ بـنـهـاـوـنـدـ وـهـوـ يـقـوـدـ مـعـرـكـتـهـ . قـالـ عـبـدـ اللهـ بـنـ مـسـعـودـ : « إـنـ لـلـإـيـانـ بـيـوـتـاـ وـلـلـنـفـاقـ بـيـوـتـاـ ، وـإـنـ بـيـتـ بـنـيـ مـقـرـنـ مـنـ بـيـوـتـ الـإـيـانـ » . وـالـنـعـمـانـ وـإـخـوـتـهـ هـمـ الـذـينـ نـزـلـ فـيـهـمـ قـوـلـهـ تـعـالـىـ مـنـ سـوـرـةـ التـوـبـةـ :

(١) الطبرى / ٤٩٦ شـ سـ عنـ عـمـرـ وـالـمـالـدـ بـاـسـنـادـهـ وـسـعـيـدـ بـنـ الرـزـيـانـ .
(٢) الطبرى - فـتـحـ الـبـلـدـانـ - الـاـصـابـةـ فـيـ تـمـيـزـ الصـحـابـةـ - الـاـسـتـيـعـابـ فـيـ مـعـرـفـةـ الـاـصـحـابـ -
بلـوـغـ الـأـرـبـ فـيـ مـعـرـفـةـ أـحـوـالـ الـعـرـبـ . وـجـاءـ فـيـ الـاـصـابـةـ (٢٠٠١) أـنـ حـلـةـ بـنـ أـبـيـ مـعـاوـيـةـ
الـكـنـانـيـ كـانـ أـحـدـ الـخـلـةـ الـذـينـ بـعـشـمـ سـعـدـ يـدـعـونـ يـزـدـجـرـ إـلـىـ الـإـسـلـامـ ، وـلـمـ تـجـدـ ذـلـكـ فـيـ الطـبـرـىـ .
وـلـمـزـيدـ مـنـ الـمـلـوـمـاتـ عـنـ رـجـالـ الـوـفـدـ رـاجـعـ كـتـابـ « الـطـرـيقـ إـلـىـ الـمـدـائـنـ » فـصـلـ « تـرـجـمـةـ مـشـاهـيرـ
قـادـةـ الـفـتـحـ » .

﴿ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يَنْفَقُ قُرْبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَواتُ الرَّسُولِ، أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ سَيِّدُهُمْ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ .
وبسر بن أبي رهم صاحبَ خالداً في حروب الرَّدَّةِ وَشَهَدَ مَعَهُ الْيَمَامَةَ وَفَتْحَ الْعَرَاقِ وَهُوَ أَحَدُ الْفَرَسَانِ الْمُذَكُورِينَ ، وَقَدْ وَكَلَ إِلَيْهِ خَالدُ بْنُ الْوَلِيدِ أَمْرَ الْكَيْنِ فِي مَوْقِعِ الْوَلْجَةِ . ثُمَّ كَانَ ذَلِكَ بَلَاءً مَشْهُودَ فِي الْقَادِسِيَّةِ .

وَحَنْظَلَةُ بْنُ الرَّبِيعِ التَّمِيمِيُّ الْمُعْرُوفُ بِحَنْظَلَةِ الْكَاتِبِ لَأَنَّهُ كَتَبَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كِتَابًا وَكَانَتِ الْكِتَابَةُ فِي الْعَرَبِ قَلِيلَةً . كَانَ حَنْظَلَةُ فِي جَيْشِ خَالدِ لِفَتْحِ الْعَرَاقِ وَمِنْ شَهُودِ مَعاهِدَةِ الصلحِ مَعَ أَهْلِ مَا بَيْنِ النَّهْرَيْنِ ، وَمِنْ شَهُودِ جَبَائِيَّةِ الْجَزِيرَةِ . اسْتَقَرَّ خَالدُ بِالْحَيْرَةِ فَعَلِمَ أَنَّ جَابَانَ ظَهَرَ فِي تَسْتِرٍ فِي جَمْعِ عَظِيمٍ فَوَجَهَ إِلَيْهِ الْمَشْنَى بْنَ حَارَثَةَ وَحَنْظَلَةَ بْنَ الرَّبِيعِ فَلَمَّا اقْتَرَبَا مِنْهُ اسْنَحَبَا إِلَى دَاخْلِ إِيْرَانَ . وَكَانَ حَنْظَلَةُ مِنْ اسْتَأْثِرِهِمْ خَالدَ فِي خُرُوجِهِ مِنَ الْعَرَاقِ إِلَى الشَّامِ ، غَيْرُ أَنَّ حَنْظَلَةَ وَجَرِيرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجْلِيَّ وَنَفَرَا اسْتَأْذَنُوا مِنْ خَالدَ وَهُمْ فِي سَوَى وَرَجَعُوا إِلَى الْمَدِينَةِ .

وَفَرَاتُ بْنُ حِيَارَنَ الْعَجْلِيِّ خَيْرُ طَرَقِ الْجَبَرِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ وَالْعَرَاقِ ، كَانَ دَلِيلًا لِتَجَارَةِ قَرِيشٍ مَعَ صَفْوَانَ بْنَ أَمِيَّةَ فِي الْعَامِ الْثَالِثِ الْمُهْجَرِيِّ ، فَاعْتَرَضَتْهُ سَرِيَّةُ زَيْدِ بْنِ حَارَثَةَ وَأَسْرَتْ فَرَاتَةَ وَعَادَتْ بِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَأَسْلَمَتْ . ثُمَّ نَجَدَهُ فِي الْعَامِ الثَّامِنِ مِنَ الْهِجْرَةِ دَلِيلًا لِسَرِيَّةِ زَيْدِ بْنِ حَارَثَةَ لِاعْتَرَاضِ تَجَارَةِ قَرِيشٍ عَلَى طَرِيقِ الْعَرَاقِ بِالْعِصْنَى عَلَى أَرْبَعِ لَيَالٍ مِنَ الْمَدِينَةِ . وَكَانَ فَرَاتٌ فِي جَيْشِ خَالدِ لِفَتْحِ الْعَرَاقِ وَكَانَ مِنْ اخْتِارِهِمْ لِلْخُرُوجِ مَعَهُ إِلَى الشَّامِ ، فَلَمَّا أَبَى الْمَشْنَى إِلَّا إِنْفَادُ أَمْرِ أَبِي بَكْرٍ تَرَكَهُ لِهِ فِيْنَ تَرَكَ . وَقَدْ شَهَدَ الْبُوَيْبَ وَكَانَ مَعَ الْمَشْنَى فِي غَارَاتِ الْأَسْوَاقِ بِشَمَالِ الْعَرَاقِ وَأَغْرَقَهُ وَعْتَبِيَّةُ بْنُ النَّهَاسِ أَنَّاسًا مِنْ بَنِي تَقْلُبِ وَالنَّمَرِ فَاسْتَدَعَاهُمَا عَمْ لَمَاءَ لَهُمَا ثُمَّ أَعْدَاهُمَا مَعَ سَعْدٍ إِلَى الْعَرَاقِ .

أَمَّا عَطَارِدُ بْنُ حَاجِبٍ مِنْ وَجْهِ بَنِي قَيْمٍ وَسَادِتِهِمْ فَقَدْ كَانَ الْوَحِيدُ فِي هَذَا الْوَفَدِ الَّذِي دَخَلَ إِيْوَانَ كَسْرَى مِنْ قَبْلِ إِذَا كَانَ يَفْدَ عَلَى مَلُوكِ فَارسِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ . وَفِي الْحَدِيثِ الصَّحِيفِ عَنْ نَافِعٍ عَنْ أَبِي عَمْرٍ قَالَ : رَأَى عَمْرُ بْنُ الْخَطَابَ عَطَارِدًا

التميمي يبيع في السوق حلة سيراء وكانت رجلاً يغشى الملوك ويصيب منهم ، فقال عمر : يا رسول الله لو اشتريتها فلبستها لوفود العرب ! فقال عليه السلام : « إنا يلبس الحرير في الدنيا من لا خلاق له في الآخرة ^(١) ». وفي رواية أخرى ^(٢) عن عطارد بن حاجب أنه أهدى النبي عليه السلام ثوب ديباج كسام إيه كسرى ، فدخل أصحابه فقالوا : « نزل عليك من النساء ؟ ! » فقال : « وما تعجبون من ذا ؟ لمناديل سعد بن معاذ في الجنة خير من هذا » .

والأشعث بن قيس الكندي ، كان في الجاهلية رئيساً مطاعماً في كندة وفي الإسلام وجدها . كان اسمه معدى كرب وكان أبداً أشعث الرأس فسمى الأشعث . قدم على النبي عليه السلام سنة عشر في وفد كندة ستين أو سبعين راكباً وكان رئيسهم فأسلموا . ثم ارتد بعد النبي وأسره المسلمون في حروب الردة وأرسلوه إلى أبي بكر فأسلم فأطلق سراحه ، فقال لأبي بكر : « استبقي لحربك وزوجي أختك ! » ففعل أبو بكر وزوجه أخته أم فروة بنت أبي قحافة !!

أما عاصم بن عمرو فهو غني عن التعريف وقد ذكره مع تحركت خالد وأبي عبيد والثنى . كان على فرقه من ثلاثة هم جيش خالد في خروجه من النجاج إلى العراق . وكان على ميمنة خالد بذات السلاسل وبالمدار وهو الذي قتل أبو شجان قائد ميسرة الفرس . ثم كان قائد حامية كربلاء بعد صلح الحيرة حتى خروج خالد لإنجاز عمل عياض فخرج معه إلى دومة الجندل ، وعاصم هو الذي اعترض طريق أكيدر ملك دومة الجندل فأتى به أسيراً . وقد أجار عاصم بني كلب في فتح دومة الجندل فأنجاهم من سيف خالد . ثم كان مع خالد في مواجهة في عين التمر والفرض . وجعله خالد على الجيش في رجوعه من الفرط إلى الحيرة بينما انفلت هو سراً ليحتج . وكان عاصم من اختارهم خالد ليخرج معه إلى الشام ثم توكل للثنى استرضاً له . ثم وجدنا عاصماً على مجردة الثنى في الغارق وفي

(١) مسلم .

(٢) الطبراني .

مطاردة فلول الفرس بعدها . كذلك بعثه أبو عبيد لطاردة فلول معركة السقاطية حتى نهر جوبر فهزم كل جمع لقيه ، وشهد باقسياتا مع أبي عبيد . ولع في وقفتة مع المثنى يوم الجسر لحماية انسحاب المسلمين في ذلك الموقف العصيب وجرح يومها ، ثم شهد البوبيب مع المثنى وتطوع للمطاردة بعدها . وهو أحد الشعراء الفرسان . وأخيراً لو كان المرء يشرف ببنسبة بعد ذلك لقلنا إنه أخوه القعقاع بن عمرو .

ومعروف بن معدى كرب الزبيدي الشاعر الفارس المشهور صاحب الفارات والواقع في الجاهلية والإسلام . وفدى على النبي ﷺ في العام التاسع من الهجرة في وفد بني زبيد فأسلم وأقام مدة في المدينة ثم رجع إلى قومه ، غير أنه ارتد مع الأسود العنسي في ردة اليمن ، وسار إليه خالد بن سعيد فقاتله حتى عاد إلى الإسلام فأرسلوه إلى أبي بكر فأطلقه وعاد إلى قومه ثم رجع إلى المدينة فبعثه أبو بكر إلى الشام فشهد فيها اليرموك وكان له فيها بلاء حسن وقد ذهبت فيها إحدى عينيه ، ثم بعثه عمر إلى العراق وله في القادسية من المواقف ما سوف نعرض له . وهو صاحب المصاصمة أشهر سيوف العرب . سأله عمر بن الخطاب يوماً عن أبي سيف العرب أمضى ؟ فقيل له مصاصمة عمرو بن معدى كرب الزبيدي ، فبعث عمر إليه أن يرسل إليه سيفه فبعث به فلما ضرب به وجده دون ما كان يبلغه عنه ، فكتب إليه في ذلك فرد عليه عمر : « إني إنما بعثت إلى أمير المؤمنين بالسيف ولم أبعث إليه بالساعد الذي يضرب ^(١) به » .

والمغيرة بن شعبة من الدهاء المشهورين وكان يجيد الكتابة ويتكلم الفارسية ، وإن كنا لا نقطع متى تعلمَّ الفارسية وما إذا كان ذلك قبل وفاته على يزدجرد أو بعدها . وقد اتخذه رسول الله ﷺ من كتبته . فلما أسلمت ثقيف أرسله النبي إلى الطائف هدم أصنامها وتسوية أموالها . وفيروز الجوسي الذي قتل عمر ابن الخطاب وهو يصلٍي كان مولى للمغيرة بن شعبة .

(١) الفروسيَّة العربيَّة . ٤ - نقول من المعروف أنَّ عمراً أهدي مصاصته إلى خالد بن سعيد في حروب الردة في عهد أبي بكر ، وهو ما يتناقض مع هذه القصة .

وأخيراً المعنى بن حارثة عرفناه في الصفحات السابقة نلخصها جميعاً في أنه كان أخاً لشنى بن حارثة الشيباني شهد معه موافقه كلها .

هذا الوفد المتنقى الذي كان على أعلى درجات الكفاية لما أوفر له ، نلاحظ أنه بالإضافة إلى الميزات الشخصية التي تجعل لكل منهم وزنه الذاتي ، فقد كان فيهم من عارك الفرس وعر كهم ومارس حروب العراق في المهمات السابقة ، وفيمم من وفده في الجاهلية على ملوك الفرس ، فيهم من يعرف اللغة الفارسية ، ثم كانوا جميعاً يجتمعون بالإضافة إلى الرأي والتفكير وحسن الأحاديثة أنهم كانوا ذوي مهابة ومنظر وبساطة في الجسم . فكانوا اختار سعد لهذه الوفادة من اجتاز كشفاً فنياً وكشفاً طبياً وكشفاً هيئة .

المراسلات قبل ذهاب الوفد

رسالة إلى عمر

وعسكر رستم بساباط خارج المدائن على طريق الحيرة ، فكتب سعد
إلى عمر :

ه إن رستم قد ضرب عسكره بساباط دون المدائن ، وزحف علينا بالخيول
والخيول ورُزَّهاء فارس [كثرتهم ومنظّرهم] . وليس شيء أهُم إلَّي ولا أنا له
أكثُر ذكرًا مني لما أحببْت أن أكون عليه . ونستعين بالله ونتوكل عليه . وقد
بعثت فلاناً وفلاناً ... وهم كما وصفت ^(١) .

الوفد في أعين الفرس

خرج الوفد من القادسية على الخيل وأميرهم النعيم بن مقرن . ومرروا في
طريقهم على معسكر رستم وجازوه حتى عبروا دجلة فقدموا أسبانبر، الحي الملكي
من المدائن ، وانتهوا إلى باب إيوان يزدجرد فوقفوا على خيول عروات [غير
مسرجة] معهم جنائب ^(٢) وكلها صهال واستأذنوا للدخول . فتُرْكوا على الباب

(١) الطبرى ٤٩٥ / ٣ من شى عن أبي ضمرة عن ابن سيرين . واسماعيل بن أبي خالد
عن قيس بن أبي حازم .

(٢) جنب البعير قاده إلى جنبه . يقال فرس جنبيب وخيل جنائب .
والمعنى هنا أنهم وقفوا إلى جانبهم خيولهم عروات غير مسرجة .

حتى بعث يزدجرد إلى وزرائه ووجوه أرضه يستشيرهم فيما يصنع معهم وما يقول لهم . وانتشر بين أهل المدائن أن وفداً من المسلمين جاء لمقابلة الملك فاجتمعوا حولهم في جمارة كبيرة ينظرون إليهم وعليهم المقطوعات والبرد [البردة كساء أسود مربع فيه صفر كانت تلبسه الأعراب] وفي أيديهم سياط دقادق وفي أرجلهم النعال . تروي بنت كيسان الضبية عن بعض سبايا القادسية من حسن إسلامه بعد ذلك وحضر ذلك اليوم الذي قدم عليهم فيه وفد المسلمين ، قالت : « اجتمع إليهم الناس ينظرون إليهم فلم أرَ عشرة ^(١) قط يعدلون في الهيئة بألف غيرهم ، وخيلهم تخبط ويوعد بعضها بعضاً ، وجعل أهل فارس يسُؤُهم ما يرون من حالم وحال خيلهم ... ^(٢) »

اجتمع بيزنجرد

انتهى يزدجرد من اجتماعه مع بطانته . فلما اجتمع رأيهم أذن للوفد فأدخلوا عليه فأمرهم بالجلوس . وكان سيء الأدب صبيانياً في تصرفه ، فكان أول ما دار بينه وبينهم أن أمر الترجمان فقال سليم ما يسمون هذه الأردية ؟ فسأل الترجمان النعمان : « ما تسمى رداءك ؟ » قال : « البرد » .

فقطير وتشام و قال بردجهان : و تغيرت ألوان الفرس وشق ذلك عليهم . ثم قال : سليم عن أحذيتهم . فقال الترجمان : ما تسمون هذه الأحذية ؟ قال : « النعال » .

فعاد يزدجرد لملئها وقال : « ناله ناله في أرضنا » .
ثم سأله عن الذي في يده فقال : « سوط » .

والسوط بالفارسية الحريق — فقال : « أحرقوا فارس أحرقهم الله » .

(١) كانوا أربعة عشر .

(٢) الطبرى ٣ / ٤٩٨ م ش عن عمرو بن محمد عن الشعبي و طلحة عن الغيرة .
« عن طلحة عن بنت كيسان الضبية عن بعض سبايا القادسية .

ولم يكن يزدجرد وحده هو الذي استشاط تشاوئماً وإنما شاركه في هذا كل من شهد من الفرس ، فقد كانوا أهل تطير وتشاؤم يتشاءمون ويتفاءلون بما يرون ويسمعون . ولم تكن هذه البداية من يزدجرد إلا استهلاكاً تافهاً لا يتفق وجدية الموقف وإن كان يتفق في التعبير عن نفسية الرجل وزنه .

النعمان يتكلّم

ثم قال يزدجرد للترجمان : « سُلُّهم ما جاء بكم وما دعاكم إلى غزوتنا واللوع ببلادنا ؟ أمن أجل أنت أجعلناكم وتشاغلنا عنكم اجرأتم علينا ؟ »

فقال لهم النعمان بن مقرن : « إن شتم أجبت عنكم ومن شاء آثرته » .

فقالوا : « بل تتكلّم » و قالوا للملك : « كلام هذا الرجل كلامنا » .

وتتكلّم النعمان فقال :

« إن الله رحمانا فأرسللينا رسولًا يدلنا على الخير ويأمرنا به ويعرّفنا الشر وينهانا عنه . ووعدنا على إجابته خير الدنيا والآخرة .

فلم يدع إلى ذلك قبيلة إلا صاروا فرقتين : فرقة تقاربها وفرقة تبعدها ، ولا يدخل معه في دينه إلا الخواص ، فمكث بذلك ما شاء الله أن يمكث .

ثم أمير أن ينبع إلى من خالقه من العرب وبدأ بهم و فعل .

فدخلوا معه جمِيعاً على وجهين ، مكره عليه فاغتبط وطائع أتاه فازداد .

فعرفنا جميعاً فضل ما جاء به على الذي كنا عليه من العداوة والضيق .

ثم أمرنا بأن نبدأ بنيلينا من الأمم فندعوهم إلى الإنصاف .

فنحن ندعوك إلى ديننا ، وهو دين حسن الحسن وقبح القبح كله .

فإن أبيتم فأمر من الشر هو أهون من آخر شرٍّ منه ، الجزاء [الجزية] فإن أبيتم فالمناجرة .

فإن أجبتم إلى ديننا خلّقنا فيكم كتاب الله وأقناكم عليه ، على أن تحكموا بأحكامه ونرجع عنكم وشأنكم وببلادكم .

وإن انتقمونا بالجزاء قبلتنا ومنعتكم .

وإلا قاتلناكم » .

وتكلم يزدجورد فقال :

إني لا أعلم في الأرض أمة كانت أشقي ولا أقل عدداً ولا أسوأ ذات بين منكم . قد كنا نوكل بكم قرى الضواحي فيكتفونناكم . لا تغزوكم فارس ولا تطمعون أن تقوموا لهم ! فإن كان عددكم لحق فلا يغرنكم منا ، وإن كان الجهد دعماً فرضنا لكم قوتاً إلى خصبكم وأكرمنا وجوهكم وكسوناكم وملكتنا عليكم ملكاً يرقى بكم .

مقالة المغيرة بن زراة

فسكت القوم برهة ، ثم قام المغيرة بن زراة بن النباش الأسيئدي فكان خطيب الوفادة . قال :

« أهلاً الملك ، إن هؤلاء رؤوس العرب ووجوههم ، وهم أشراف يستحقون من الأشراف . وإنما يكرم الأشراف الأشراف ، ويعظم حقوق الأشراف الأشراف ، ويضمم الأشراف الأشراف . وليس كل ما أرسلوا به جموعه لك ، ولا كل ما تكلمت به أجابوك عليه . وقد أحسنا ، ولا يحسن بثلهم إلا ذلك . فبجاويني لأكون الذي أبلغتكم ويشهدون على ذلك . إنك وصفتنا صفة لم تكن بها عالماً .

فأما ما ذكرت من سوء الحال فما كان أسوأ حالاً منا . وأما جوعنا فلم يكن يشبه الجوع . كنا نأكل الخنافس والجعلان والعقارب والحيات فنرى ذلك طعامنا . وأما المنازل فإنما هي ظهر الأرض ، ولا نلبس إلا ما غزلنا من أوبار الإبل وأشعار الغنم . ديننا أن يقتل بعضنا بعضاً ويغير بعضنا على بعض ، وإن كان أحدهنا ليدفن ابنته وهي حية كراهية أن تأكل من طعامنا ، فكانت حالنا قبيل اليوم على ما ذكرت لك .

فبعث الله علينا رجالاً معروفاً . نعرف نسبه ونعرف وجهه وموالده . فأرضه خير أرضنا وحسبه خير أحسابنا وبيته أعظم بيوتنا وقبيلته خير قبائلنا ، وهو بنفسه كان خيراً ، في الحال التي كان فيها أصدقنا وأحلمنا قد عانا إلى أمر . فلم

يحبه أحد ، أول من ترب ^(١) كان له [سندأ] وكان الخليفة من بعده ، فقال
وقلنا وصدق وكتبنا وزاد ونقصنا فلم يقل شيئاً إلا كان ، فقدف الله في قلوبنا
التصديق له واتباعه ، فصار فيها بيننا وبين رب العالمين ، فما قال لنا فهو قول
الله وما أمرنا فهو أمر الله .

قال لنا إن ربكم يقول إني أنا الله وحدي لا شريك لي ، كنت إذ لم يكن شيء ، وكل شيء هالك إلا وجهي وأنا خلقت كل شيء وإلي يصير كل شيء ، وإن رحمتي أدر ككم فبعثت اليكم هذا الرجل لأدلكم على السبيل التي بها أنجيكم بعد الموت من عذابي ، وألحلكم داري دار السلام . فنشهد عليه أنه جاء بالحق من عند الحق .

وقال من تابعكم على هذا فله ما لكم وعليه ما عليكم . ومن أبي فاعرضوا عليه الجزية ثم امنعوا منه أنفسكم . ومن أبي فقاتلوه ، فأنا الحكم بينكم ، فمن قتل منكم أدخلته جندي ، ومن بقي منكم أعقبته النصر على من ناواه .

فاختر إن شئت الجزية عن يد وأنت صاغر ، وإن شئت فالسيف ، أو 'سلم
فتنحي نفسك ' .

جواب پردازش

قال يزدجرد وقد 'مس' كباريؤه أمام حاشيته وبطانته :
« أتستقبلني مثل هذا ؟ »

قال : « ما استقبلت إلا من كلامي ، ولو كلامي غيرك لم تستقبلك به ». .

فاستشاط نزد جرد غضباً وصاح فيهم :

« لولا أن الرسل لا تقتل لقتلتم . لا شيء لكم عندي » .

ثم التفت إلى بطانته وقال :

۱) تاربه کان تربه و جمعه اتراب ای صدیقه.

« انتوني بوقر من تراب ». فأتوا به.

قال : « احملوه على أشرف هؤلاء ثم سوقوه حتى يخرج من باب المداين . ارجعوا إلى صاحبكم فأعلموا أنني مرسل إليكم رستم حتى يدفونكم ^(١) ويدفنه في خندق القدسية ، وينكلل به وبكم من بعد ، ثم أورده بلادكم حتى أشغلكم في أنفسكم بأشد مما نالكم من سابور ... من أشرفكم ؟ »

فشكك القوم إلا عاصم بن عمرو فقد افتات ليأخذ التراب وقد سرّه ذلك.
قال : « أنا أشرفهم ، أنا سيد هؤلاء ، فَحَمَلْتُنِيهِ » .

فَسَأْلُهُمْ يَزْدَجِرُ : «أَكَذَّلَكَ ؟»

قالوا: «نعم».

فَحَمَّلَهُ عَلَى عَنْقِهِ .

نهویش

من المؤكد أن تهديد يزدجرد للوفد بغزو بلادهم لم يكن ممكناً التنفيذ من الناحية العملية، فإن جزيرة العرب مع اتساعها وجفافها وطبيعة تضاريسها ومع اعتبارها بمحاذاتها لجهلها الفرس أو غيرهم من غير أبنائها، كل ذلك قد جعلها درعاً حصينة لم يفكك أحد في العصور القديمة في غزوها.

(١) يدفِيكم : يقتلُكُم . وفي قصَّة قُتل مالك بن نُويرة أَنَّ خالدًا قَالَ لِجَنْدِهِ : « دَافُوا أَمْرَاكَ » يقصدُ أَنَّ يدفُوْهُم مِّنَ الْبَرِّ ، فَهُمُ الْجَنْدُ مِنْ كَنَافَةِ أَنَّهُ يُريدُ قُتْلَهُم فَقُتُلُوهُم . وَرَبِّا كَانَ الْأُصْلُ « يدفِيكم » فَحَدَثَ تَصْحِيفٌ .

الحملة فكافة الأمبراطور بالاعدام . ومرة أخرى حين أراد أبرهه أن يغزو مكة بالفيل ، وكتاها منيتا بفشل ذريع .

لا ندري إن كان يزدجرد كان يدرك تلك الاستحالة ، ولكن الذي لا شك فيه أن المسلمين كانوا يعلمون أن تهديد يزدجرد لم يكن أكثر من صياغ . وإذا كانوا في حملات سابقة بأعداد قليلة قد استطاعوا أن يهزموا جيوش الامبراطورية العجوز المرة تلو المرة ، فكيف لو انتقل الميدان إلى ديارهم ؟ ليكون حينذاك أكثر قدرة على إيقاع الهزيمة بعدهم . غير أنهم كانوا على يقين من أن ذلك العدو كان أعجز من أن ينقل المعركة من دياره إلى ديارهم .

نسوق هنا الاستطراد بمناسبة أن رأينا أحد كتابنا المحدثين ينطلي عليه تهويش يزدجرد فكتب يقول :

« ... كانت ^(١) القادسية من أهم المعارك التي خاض المسلمون غمارها ضد أعدائهم . ومبعد أهميتها أن الفرس كانوا قد قرروا غزو بلاد العرب إذا كتب لهم النصر ... »

نعود فنكر أن تخطيط المسلمين قام دائمًا على أن يحتموا بصحرائهم إذا دارت الدائرة عليهم حيث يعجز عدوهم عن ملاحقتهم فيها . هذا الاعتبار الحق في استراتيجية المسلمين لا ينبغي أن يغيب عن أذهاننا .

الوقد يعود

خرج الوفد من عند يزدجرد وعاصم يحمل وقر التراب من الإيوان والدار حتى أتى راحلته ^(٢) فحمله عليها ثم أسرعوا في السير حتى أتوا سعداً بالقادسية وسبقهم عاصم فمر بباب قديس وقال :

« بشرروا الأمير بالظفر . ظفرنا إن شاء الله » .

(١) الفتح العربي للعراق وفارس ١٩٣ .

(٢) الراحلة : ناقة الركوب . والأثنتان أثنتان وفدوها على المدائن على ظهور الحيل وليس على الأبل . ونرى هذا لبسًا في الرواية .

ثم مضى حتى جعل التراب في حجره ثم رجع فدخل على سعد فأخبره الخبر،
قال سعد :

« أبشروا فقد والله أعطانا الله أقاليد ملوكهم ». .
ثم وصل سائر الوفد .

المجوس يتشاركون

وعاد جلساء يزدجرد ينظرون فيما صنع وما كان من قبول المسلمين لحمل التراب
وتشاركونه من ذلك على عادة الفرس ، فقد رأوا فيه أن الملك أعطاهم أرض
ملكه وسلمهم ترابها فاشتذ ذلك عليهم . وانفلت رستم من معسكره بسبابط إلى
يزدجرد الملك يسأله عما كان من أمره مع الوفد وكيف رآهم . فقال له الملك :
« ما كنت أرى أئن في العرب مثل رجال رأيتم . دخلوا علىيّ وما أنت
بأعقل منهم ولا أحسن جواباً منهم ... »
وأخبره بحديثهم حتى قال :

« لقد صدقني القوم .. لقد وعد القوم أمراً ليدركته أو لم يمتن عليه . على
أني وجدت أفضلهم أحمقهم ، لما ذكروا الجزية أعطيته تراباً ، فحمله على رأسه
فخرج به ولو شاء اتفق بغيره وأنا لا أعلم ! »

وفطن رستم لآفات الملك إدراكه فقال : « أهلاً الملك إنه لاعقلهم ». .
وتطير رستم من ذلك فخرج من عند يزدجرد كثيراً غضبان . وكان منجماً
كاهناً فبعث في أثر الوفد وقال لأهل ثقته وخاصة :
« إن أدرككم الرسول تلافينا أرضنا ، وإن أعجزوه سلبكم الله أرضكم
وابناءكم ». .

فرجع الرسول من الحيرة بفواتهم ، قال رستم :
« ذهب القوم بأرضكم غير ذي شك ، ما كان من شان ابن الحجامة الملك !
ذهب القوم بفاتيح أرضنا ». .

فكان ذلك ما زاد الله به أهل فارس غيظاً وتشاؤماً . (تشاركونه من أخذ
التراب أن يكون نذيراً بأخذ الأرض) .

يوم الحيتان

وفي ^(١) بين خروج وفد سعد إلى يزدجرد ورجوعه من عنده ، بعث سعد سرية عليها قائد الطلائع سواد بن مالك التميمي إلى النجف ^(٢) فاستأق منها ثلاثة دابة بين بغل وحمار وثور . وكان الصيادون قد فرغوا من تجميع كميات كبيرة من سمك صادوه ، فحمله سواد على الدواب وعاد بهما نحو القادسية ، وبلغ الخبر إلى آزادمرد بن آزادبه مرزبان الحيرة – وفي بلوغ هذا الخبر إلى آزادمرد ما يؤكد بشكل عملي نقض أهل الحيرة لعهدهم مع خالد ورجوعهم علما للفرس كما كتب سعد إلى عمر – .

فخرج آزادمرد ليلاً في خيله يطلب سواداً ومن معه ويعترضه . وشاهد سواد آزادمرد يحده في أثره ، وقدر أنه سوف يدركه ، فقد كان آزادمرد في خيل وكان سواد لا يتجاوز بطبيعة الحال سرعة الحمير والبغال والثيران التي يستأقها ، فكلف من سرتته من يبلغها المسلمين بالقادسية وما هو وفرسان معه إلى آزاد مرد فالتقوا على قنطرة السيلانين وظل يقاتلهم وينعمهم من اجتياز

(١) الطبرى ٣ / ٥٠٢ من شى عن عمرو عن الشعبي .

(٢) في الأصل « إلى النجف والفرض إلى جنبها » والفرض جمع فرضة وهي موارد الاستقاء من الأنهر ، ويطلق لفظ الفرض على الأراضي الاممالة بالسكان حول الأنهر . وفي مختار الصحاح فرضة النهر : ثلمته التي يستقى منها ، وفرضة البحر أيضاً محطة السفن . ونظن أن المقصود هنا النجف (وليس النجف) .

القنطرة حتى اطمأن إلى أن الفنية قد نجحت فانسحبا واتبعوها فأبلغوها المسلمين وصبعوا بها العسكر . فقسم سعد السمك بين الناس وقسم الدواب ونقل الخنس إلا ما رُدّ منه على المجاهدين ، وكان في الفنية سبياً فأسهم عليه [بالقرعة] . هذا اليوم من أيام الغارات التموينية عُرف بيوم الحيتان . وكان العرب يقولون الحيتان ويقصدون به السمك .

وبعث سعد سرية من تم الباب عليها مالك بن ربعة التميمي [تم الباب ثم الواثلي] ومعه المساور بن النعسان التميمي الرئيسي . فأغاروا على الفيوم – على حوالي ٢٥٠ كيلو متراً شملاً – وأغلب الظن أنهم سلكوا طريقاً في جوف الصحراء . فأصابوا إبلاً لبني تغلب والنمر فاستولوا عليها وعلى من فيها وعادوا بها إلى سعد فنحرت الإبل في الناس وأخصبوا بها .

وبعث على النهرين ^(١) عمرو بن العاص الفهري من المسلمين الأوائل الذين هاجروا إلى الحبشة ثم إلى المدينة ومن شهد بدرأ ، بعثه في سرية فوجدوا على باب ثوراء موashi كثيرة ، فسلكوا أرض شيني وهي نهر زياد يجده الأنبار ، فعادوا بها إلى عسكر المسلمين .

(١) كانت كورة (إقليم) بقيادة الأعلى ستة طسسيج (نواحي) هي بابل وخرطمية والفلوجة العليا والفلوجة السفلية والنهرين وعين التمر . (المسالك والمالك ٨ ، المخرج وصنمة الكتابة ٢٣٦) .

رستم يتحرک

جيش رستم

نزل رستم بسراط وجمع السلاح وآلات الحرب وأدواتها ، وعبأ جيشه
 يجعل^(١) :

٤٠٠٠	مقدمة عليها جالنوس .
٣٠٠٠	ميمنة عليها هرمزان .
٣٠٠٠	ميمرة عليها مهران بن بهرام الرازي .
٢٠٠٠	مؤخرة عليها بيرزان .
٨٠٠٠	تابع للخدمات .

هذه مائة وعشرون^(٢) ألفاً من المقاتلين خلاف التبع. نذهب الى أن نصفهم
[ستين ألفاً] كان من الفرسان^(٣) ونصفهم [ستين ألفاً] كان من المشاة .

(١) الطبرى ٣/٤٠٤ س ش س عن النضر بن السري الضبي عن ابن الرفيل عن أبيه .
« ٣/٥٠٥ « « عن محمد وطلحة وزياد وعمر وياستادهم .

(٢) فتوح البلدان ٦٣٤ .

(٣) في الطبرى ٣/٥٠٥ س ش س عن هشام بن عروة (بن الزبير بن العوام) عن عائشة
أم المؤمنين - وكانت خالته أنس رستم زحف لسعد وهو بالقادسية في ستين ألف. وفيه ٣/٥٧٣
عن ابن حميد عن سلمة عن ابن اسحق عن وهب بن كيسان عن عبدالله بن الزبير قال: «... وأقبل
رستم في جموع فارس ستين ألفاً ما أحصى لنا في ديوانه سوى التبع والرقيق حتى نزل القادسية...»
ونذهب الى أن الذي يحصى في الديوان إنما هو من كان من الفرسان الأشراف أما المشاة الذين
كانوا من الفلاحين يحصون على عجل فلم يكن لهم عند سادة فارس أي اعتبار ، ولم يكن

وبالرغم مما كان عليه رستم فقد أراد أن يصطعن الشجاعة أمام الملك فقال له:
«إن فتح الله علينا القوم يكون في زمان وجهنا إلى ملوكهم في دارهم حتى نشغلهم
في أصلهم وببلادهم إلى أن يقبلوا المسالمة أو يرضوا بما كانوا يرضون به».

هوا جس

ورستم في مقامه هذا بساط مر^{١١} به وفدى سعد إلى يزدجرد ذهاباً إلى المدائن
وإياباً منها ثم علم بما كان من شأنهم مع الملك فرأى رؤيا كرهها وأحس بالشر منها
وكره الخروج ولقاء المسلمين فاختلف عليه رأيه واضطرب . وعاد يسأل الملك
أن يضي جالوس ويقيم هو حتى ينظر ما يصنعون . وقال له :

«إن غلاء جالوس كفناي ، وإن اسمي أشد عليهم من اسمه ، فإن ظفر
فهو الذي نريد وإن يكن الأخرى وجهت مثله ودفعنا هؤلاء القوم إلى يوم ما ،
فإنما لا أزال مرجواً في أهل فارس مالما هزم ، ينشطون ولا أزال مهيباً في
صدر العرب ولا يزالون يهابون الإقدام مالما أباشرهم ، فإن باشرتهم اجترأوا
آخر دهرهم وانكسر أهل فارس آخر دهرهم »^{١٢} .
فأبى الملك .

= لهم أي أجر أو غيره فلا معنى لقيدهم في ديوان (انظر الطريق إلى المدائن - النظام الحربي لفارس).
أما الجيش بأكمله فكان مائة وعشرين ألف مقاتل فرسانه ومشاته وذلك بخلاف التبعy الذين
يقومون بأعمال الخدمة كإعداد الطعام وخلف الخيال والبالغ . فمن محمد وطلحة وزياد بإسنادهم
أن رستم خرج من المدائن في ستين ألف متبع (هم الفرسان) وأنه خرج من سطاط في مائة
وعشرين ألفاً كلهم متبع ، وأن هذا العدد هو الذي كان في القادية (الطبرى ٥٠٥/٣) .
وذكر الرفيل (الفارسي) أنهم خرجوا من سطاط في مائة وعشرين ألفاً (الطبرى ٥٠٥/٣) .
وكان الرفيل نفسه واحداً منهم . وذكر الشعيب أنهم كانوا مائة وعشرين ألفاً في القادية .
(الطبرى ٣/٥٣٥) .

وهذا التخريج يوفق بين ما تناقض من أخبار عن تعداد جيش رستم فمن قال ستين ألفاً إنما
قصد الفرسان الأشراف الذين كانوا عباد الجيش ، ومن قال مائة وعشرين ألفاً إنما عنى الجيش
بعد انضمام المشاة إليه وكأنه من الفلاحين ، ومن قال مائتي ألف فقد أضاف إليهم الخدم
والتابع والرقيق .

(١) الطبرى ٣/٥٠٤ من شهاد عن النضر بن السري الصبى عن ابن الرفيل عن أبيه .

رسالة يتبعها

وعاد رسمٌ إلى سباتٍ ينلوكاً فيها ولا يتحرك منها . وكتب إلى أخيه كتاباً
وإلى رؤوس أهل فارس^(١) :

« من رسم إلى بندوان مربزان الباب ، وسهم أهل فارس الذي كان لكل كون يكون فيفضّل الله به كل جناد عظيم شديد ، ويفتح به كل حصن حصن ، ومن يليه . »

وقد كان من رأيي مدافعتهم ومطاؤلتهم حتى تعود سعادتهم نحوها فأبى الملك ». الملك

ولاحظ يزدجرد أن رستم يتلکأ فأمره بالتحرك من ساپاط فعاد رستم يكتب إلى أخيه بمثل الكتاب الأول ثم زاد فيه مما ساقه إليه تنجيمه : « ... فإن السمكة قد كدرت الماء . وإن النعائم قد حسنت . وحسنت الْزُّهْرَةُ واعتدل الميزان ، وذهب بهرام .

ولأرى هؤلاء القوم إلا سيظهرون علينا ويستولون على ما يلينا . وإن
أشد ما رأيت أن الملك قال لتسيرن إليهم أو لأسيرن أنا بنفسى فأنا سائر إليهم ^(٢) .
وخرج رستم من سماط فلقمه جابان على قنطرتها فتشاكم ^(٣) .

قال جابان : « ألا ترى ما أرى ؟ »
قال رست : « أما أنا فأقاد بخشاش وزمام ولا أجد بدأ من الانقياد ».
وأمر رست جالنوس بالتقدم نحو الحيرة ، وقال له : « ازحف زحفاً ولا
تنحذب إلا بأمرى » .

(١) الطبرى / ٥٠٥ شى عن محمد وطلحة وزياد وعمرو ياسنادهم .

(٢) « « « « « عن الصلت بن بهرام عن رجل .

(٣) « « عن محمد وطلحة وزياد وعمرو بإسنادهم . / ٣ ٥٠٧ »

وبلغ جالنوس النجف فضرب عسکره وأقام فسطاطه بها .
ونزل رستم بكوثى . وكتب وهو بكوثى إلى جالنوس وآزادمرد :
« أصيبيا لي رجلا من جند سعد » .

فركبا بذنوبها في سرية من مائة رجل طليعة حتى انتهوا إلى القادسية فأصابا
رجالاً وجداه قبل القنطرة فاختطفاه ، وأحس المسلمون بما حدث فانطلقوا في
أثرهم فأعجزوهم وأفلتوا به إلا ما أصاب المسلمون من أخرياتهم . وانتهى جالنوس
وآزادمرد إلى النجف فأرسلوا الرجل إلى رستم وهو ما زال بكوثى .

قال له رستم : « ما جاءكم وماذا تطلبون ؟ »

قال : « جئنا نطلب موعد الله » .

قال : « وما هو ؟ »

قال : « أرضكم وأبناءكم ودماءكم إن أبيتم أن تسلموا » .

قال رستم : « فإن قتلتكم قبل ذلك ؟ »

قال : « في موعد الله أن من قتل منا قبل ذلك أدخله الجنة وأنجز لمن بقي
منا ما قلت لك ، فتحن على يقين » .

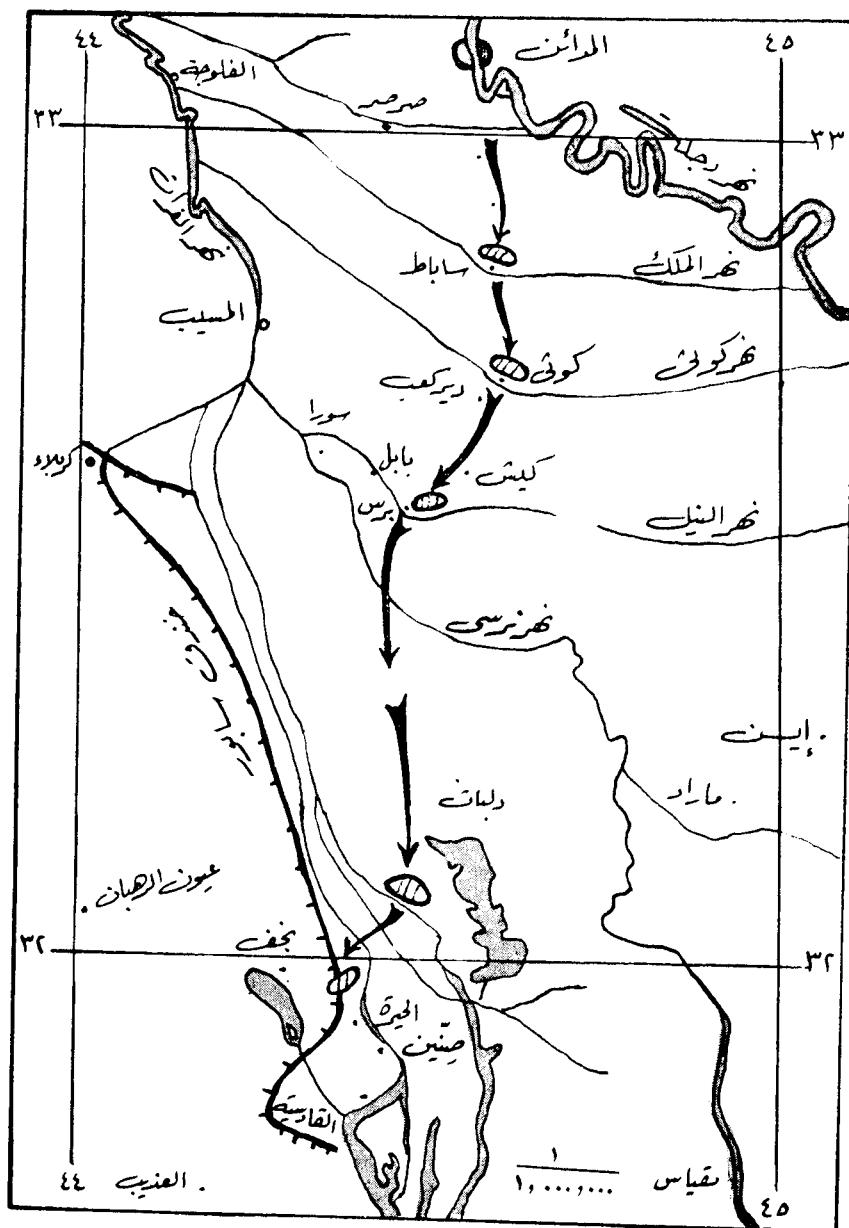
قال رستم : « قد وضعنا إداً في أيديكم ! »

قال : « ويحك يا رستم ! إن أعمالكم وضعتكم فأسلمكم الله بها فلا يغرنك ما
ترى حولك ، فإنك لست تجاذل الإنس ، وإنما تجاذل القضاء القدر » .
فاستشاط رستم غضباً وأمر به فضربت ^(١) عنقه .

اغتصاب

وخرج رستم من كوثى حتى نزل في بُرنس . فقصصت جنوده الناسَ أموالهم
واعتدوا على حرماهم فوقعوا على نسائهم وشربوا المخمر ، فضجَّ الأهالي – وهم
من الجوس – إلى رستم يشكرون ما يلقون في أموالهم وأبنائهم . فقام رستم
فيهم فقال :

(١) الطبرى / ٣ / ٥٠٧ مث عن التصرى بن السرى عن ابن الرفيل عن أبيه .



خریطة رقم (٤) تحرك رسم

« يا معاشر أهل فارس ، والله لقد صدق العربي . والله ما أسلمنا إلا أعمالنا .
والله للعرب في هؤلاء وهم لهم ولنا حرب » أحسن سيرة منكم . إن الله ينصركم
على العدو وي يكن لكم في البلاد بحسن السيرة و كف الظلم والوفاء بالعهود
والإحسان . فاما إذا تحولتم عن ذلك إلى هذه الأعمال فلا أرى الله إلا مغيثاً ما
بكم ، وما أنا بأمن أن ينزع الله سلطانه منكم » .

ثم بعث رجاله فاعتقلوا له نفراً من يشكى منه فضرب أعناقهم . ثم ركب
ونادى في الناس بالرحيل فخرج ونزل بإزاء دير الأعور .

ثم خرج منها فانصب إلى الملاطاط فعسکر بين الفرات وبين النجف فيما بين
النجف إلى الحورنق إلى الغربين . ونصب سرادقة إلى جانب الدير .

متهمون

ودعى بأهل الحيرة ليناقشهم الحساب . فلما دخلوا عليه أرغى وأزيد وتوعدهم
وهم بهم فقال لهم ^(١) :

« يا أعداء الله . فرحمت بدخول العرب علينا بلادنا ، وكتتم عيوناً لهم علينا ،
وقويتموهن بالأموال » .

ثلاثتهم وجهاً لهم . فأصابهم الرعب واتقوه بابن بقيلة وقالوا له : « كن
أنت الذي تتكلمه » . فتقدم ابن بقيلة إلى رستم وقال : « أما أنت وقولك إنا
فرحنا بمجيئهم فماذا فعلوا وبأي ذلك من أمورهم نفرح ؟ إنهم ليزعمون أنا عبيد
لهم ، وما هم على ديننا ، وإنهم ليشهدون علينا أنا من أهل النار .

وأما قولك إنا كنا لهم عيوناً ، فما الذي يحوجهم إلى أن تكون عيوناً لهم
وقد هرب أصحابكم منهم وخلوا لهم القرى ، فليس ينفعهم أحد من وجه أرادوه
إن شاؤوا أخذوا يينينا أو شهاداً .

وأما قولك إنا قويناهم بالأموال ، فإنما صانعواهم بالأموال عن أنفسنا إذ لم

(١) الطبرى ٣ / ٥٠٨ س ش س عن عمرو عن الشعبي والمقدام الحارثي عن ذكره .

تنعونة مخافة أن تُسْبَى وأن تُخْرَب وقتل مقاتلتنا ، وقد عجز عنهم من لقيهم منك فكنا نحن أعجز .

ولعمري لأنتم أحب اليانا منهم وأحسن عندنا بلاء فامتعونا منهم نكن لكم أعواناً فإنما نحن بنزلة علوج السود [العجم] عبيد من غالب .
فلا تجتمع علينا اثنين .. أن تعجز عن نصرتنا وتلومنا على الدفع عن أنفسنا وببلادنا .

أحسن ابن بقيلة الجواب واقتنع به رستم فقال من حوله: «صدقكم الرجل». وسكت عنهم . وفي الواقع أن موقف عرب العراق كان تماماً كما ذكر ابن بقيلة فهم لم يفرحوا بالغزو الإسلامي ولم يعيشو .

بات مع الملائكة

وبات رستم بحوار الدير تطارده هواجسه فرأى في المنام ^(١) أن ملكاً جاء حتى دخل عسکر فارس فختم السلاح أجمع ! ومشك رستم في مقامه ذاك بعض الوقت حتى إذا اطمأن أمر جالتوس أن يسير من النجف فسار بالمقعدة حتى نزل بينها وبين السيلحين . وارتخل رستم يحننه من الدير فنزل النجف مكان المقدمة . وكان ما زال يتباطأ في مسيره حق لقد قطع ما بين المدائن الى سباط ومنها الى القادسية [مسافة ١٨٥ كم] قطعها في أربعة أشهر بعدل كيلومتر ونصف في اليوم ، لا يقدم ولا يقاتل على أمل أن يضجر المسلمين بمكانتهم وأن يفقدوا حماستهم ويجهدوا فينصرفوا ، وهو يتلافى قتالهم مخافة أن يتتحقق تنبئمه فيلقي ما لقى من قبله ، لو لا أن الملك كان من ورائه دانياً يستعجله وينهضه من كل منزل ينزله فيقدمه حتى أقحمه القادسية .
ولما نزل رستم النجف عاودته أحلامه المزعجة ، فرأى الملك الذي ^(٢) رآه

(١) الطبرى ٣ / ٥٠٩ من شمس عن النضر بن السري عن ابن الرفيل عن أبيه .

(٢) المصدر السابق .

الطبرى ٣ / ٥١٦ من شمس عن مجالد عن الشعبي .

في حلمه السابق ومعه النبي ﷺ وعمر ، دخلوا معسكر الفرس فأخذ الملك سلاحهم فختمه بختم ثم حزمه ودفعه إلى النبي فدفعه النبي إلى عمر . فأصبح رسم وقد ازداد حزناً . ورأى أحد من معه ذلك – وكان يدعى الرثيفي – فراغب في الإسلام ، وكان ذلك الحلم هو الذي دعاه إلى الإسلام . وعن طريق الرفيل هذا بلغنا كثير من وقائع هذه الأحداث التي كانت تقع في الجانب الفارسي .

ثبات على الخطبة

وأدرك عمر مما يجري أن الفرس يطألون المسلمين فعاد يؤكّد على سعد خطته ويهدّيه وإلى المسلمين أن ينزلوا حدود أرضهم وأن يطألوهم أبداً حتى يرغوهم على الخروج إليهم حيث اختاروا الميدان . وأقسام المسلمين بالقادسية واطمأنوا وقد وطّنوا أنفسهم على الصبر والطاولة فكانوا يغيرون على السواد فانتسّفوا ما حولهم فحوّوه وهم مقيمون حتى يفتح الله . كان ذلك في يونيو ويوليو وأغسطس (حزيران وتموز وآب) وهو موسم يحدّون فيه القمع والحبوب الصيفية بعد جنحها وكذلك التمور .

ولم يكن عهد المسلمين أن يكتروا في ميدان قتال دون قتال ، فقال بعضهم سعد : « لقد ضاق بنا المكان فأقدم » .

ولاشك أن صاحب هذا القول لم يكن يدرك خطبة قيادته ، وهذا يدلّنا على أن الخطبة كانت سرّاً لدى القيادة لم تفصح عنها لعامة الجيش .

وزجر سعد من كلامه بذلك قائلاً :

« إذا كفيت الرأي فلا تكتنفوا ، فإنما لن نقدم إلا على رأي ذوي الرأي ، فاسكتوا ما سكتنا عنكم »^(١) .

من المبادىء المسلم بها اليوم وتأخذ به الدول كقاعدة من قواعد الأمن مبدأ يقول : « المعرفة على قدر الحاجة » يقوم على اعتبارين :

(١) الطبرى ٢ / ١٠٥ ش ش عن محمد بن قيس عن موسى بن طريف .

- ١ - خطأ تكليف الفرد بعمل مع إحاطته بقدر أقل مما يلزمه لأدائه .
- ٢ - خطورة حصول الفرد على معلومات تزيد عن حاجته لأداء العمل المنوط به .

المعرفة على قدر الحاجة يعني قدرة الفرد على تأدية العمل المكلف به بأقل قدر ممكن من المعلومات ، وذلك خوفاً من تسرب المعلومات والخطف إلى العدو ، وأن الفرد غير المسؤول عن معلومات معيشة مسؤولية باشرة لا يشعر بنفس المسؤولية التي يشعر بها نحو المعلومات التي هو مسؤول عنها مباشرة بحكم تكليفه . ولقد كان الجندي المسلم مثالياً في جنديته ولم يكن معنى هذا إهانة القواعد السليمة بل كان الصواب في إعهاها دائماً . وإن اقتناع كل فرد ببدأ المعرفة على قدر الحاجة يمثل نضج الفرد وأحد الدعامات الهامة لقطع السبل على العدو نحو ما يفيده من معلومات . وإن قدرأً كبيراً من المعلومات – التي تسمى بالمعلومات العارضة – يتسلطه الأعداء كييفها اتفق من سقطات الألسنة والثرثرة التي لا داعي لها . ولا شك أن خير أمان لذلك هو الكتابان وألا يعرف الفرد أكثر مما يلزمـه ، فالمعرفة على قدر الحاجة .

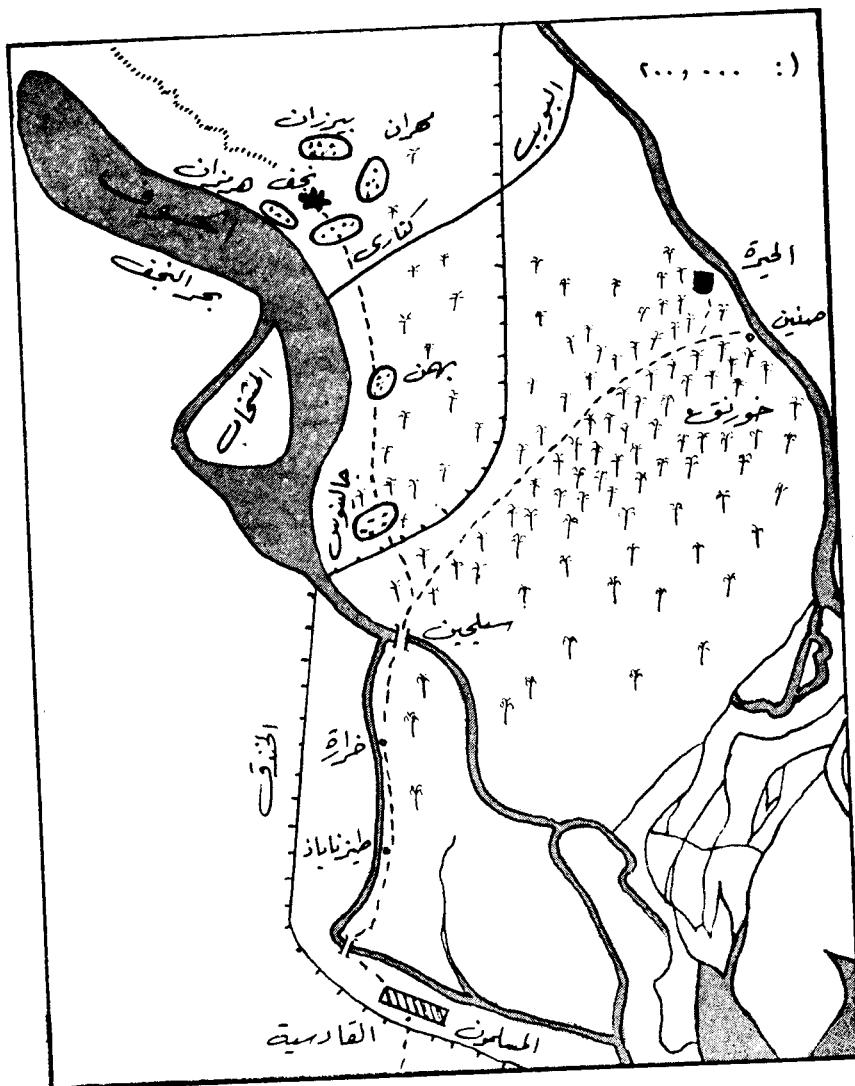
بذلك أخذ سعد .

زحف السلاحف

وتوقف رستم فترة أخرى وهو بالنجف وجدد تعبئة قواته ^(١) .
فكان هو بالنجف .

وهرمزان على ميمنته .
ومهران على ميسرتـه .
وجالنوس على المقدمة بين النجف والسيـلـينـينـ .
وبـهـمـنـ جـادـوـيـهـ بـيـنـ رـسـتـمـ وـجـالـنـوسـ .
وبـيرـزانـ عـلـىـ المؤـخـرـةـ .

(١) الطبرـيـ ٣ / ٥١٠ سـ شـ سـ عـنـ مـحـمـدـ وـطـلـاحـةـ وـزـيـادـ بـإـسـنـادـهـ .



خرطة رقم (٥) موقع الجيشهين قبل المواجهة

وزاد بن بهيش صاحب فرات سريا على المشاة .
وكتاري على المجردة [الخيل] .

وكان الجنديين ذلك مائة وعشرين ألفاً، فيهم ستون ألف متبع ومن الستين ألفاً خمسة عشر ألف شريف من أشرافهم .

هرمزان – قائد اليمنة – كان صاحب تستر ^(١) . وسيأتي له ذكر كثير .

ومهران – قائد الميسرة – بن بهرام جوبين صاحب الثورة المشهورة الذي ثار على هرمز الرابع وأسقطه عام ٥٩٠ م. وقد كان بهرام من قواد الفرس المشهود لهم على مرّ التاريخ الفارسي غير أنه لم ينجح في حربه ضد بيزنطة فانتزع هرمز القيادة منه بشكل فيه إهانة له فثار بهرام حتى سقط هرمز وقتل ودخل بهرام المدائن وتوّج نفسه غير أن الأمر لم يستقر له ففر إلى تركيا حيث قتل . ومهران هو ابن ذلك القائد التاجر . وقد مرّ بنا ذكر مهران في حملة خالد بن الوليد إذ كان قائد الحامية الفارسية في عين التمر حين هاجمها خالد ثم انسحب منها دون قتال لما هزم خالد عقة . ويفهم من صفتة بأنه مهران بن بهرام الرازي من أهل الري جنوب بحيرة قزوين .

وجالنوس قائد المقدمة من ذكره في حملة أبي عبيد . فهو الذي أرسله رستم مددًا لجبابان ونرسى فانهزمًا قبل أن يدركها وبلغت فلوتها إليه في باقسياتا ، ثم التقى بهم أبو عبيد وهزمهم وفرّ جالنوس . وقد غضب منه رستم غضبًا شديدًا وأعاده على مقدمة بهمن جاذوته في موقعة الجسر . والآن يعود رستم ويجعله على مقدمته .

أما زاذ بن بهيش قائد مشاة الفرس في القادسية فهو الذي سبق أن صالح خالد بن الوليد على الجزية وكتب خالد له معاهدة بذلك في ربيع الأول عام ١٢ هـ بعد سقوط الحيرة . نقض عهده وخرج مع رستم يحارب المسلمين . وحين يبرز لنا اسم « زاذ بن بهيش صاحب فرات سريا » ، فلأنما يعني الرجل وإقامته . ونظن أن قيادته لل مشاة قد جاءته نتيجة أن إقليم فرات سريا قد ساهم بتصييب

(١) الكامل لل McBride ٩٨/١

وافر في المهددين المشاة من الفلاحين الذين هم شعب فرات سريا فيما بين دجلة والفرات .

وتقديم رستم مرحلة أخرى فارتتحل من النجف ونزل مكان بهمن جاذبيه بينما ارتحل هذا فنزل مكان جالنوس وارتتحل جالنوس إلى طينز تاباذ فنزل بهما وقد خيله أمام مكانه هذا نحو القادسية .

غارة تموينية

والفرس ^(١) في مواقفهم تلك بعث سعد سواد بن مالك التميمي قائد الطلائع وحيضة بن النعيم البارقي - الذي وفدي على عمر فأمره على قبائل السراة وأنفذه مع سعد - بعثها سعد في مائة ^(٢) ومائة فأغاروا على النهرين ^(٣) . وكان سعد قد نهاهما إذ بعثها أن يعنينا ويبعدا كثيراً .

وأسرعت عيون رستم تنقل اليه أخبارهم فأرسل اليهم خيلاً . وبالمثل بلغ سعداً أن خيله أوغلت وبعدت ، فدعا عاصم بن عمرو التميمي وجابر بن أبي سبرة الأنصاري فأرسلها في آثارهم يقتضانهم فسلكها نفس طريقها ، وقال سعد لعاصم : « إن جمعكم قتال فأنت عليهم » .

فلقاهم عاصم وجابر بين النهرين وأصطيميا ^(٤) وقد أحاطت بهم خيل رستم تريد استخلاص ما بين أيديهم من غنيمة .

قال سواد حمضة :

« اختر إما أن تقيم لهم وأستاق الغنيمة ، أو أقيم لهم وتستاق الغنيمة » .

قال حمضة :

« أقم [أنت] لهم ونهم عنّي وأنا أبلغ لك الغنيمة » .

(١) الطبرى ٥١١ / ٣ س ش عن محمد بن قيس عن موسى بن طريف .

(٢) في الأصل مائة مائة (يعنى عشرة آلاف) والمعقول أن يكون صوابها كا أثبنا .

(٣) من بهقباذ الأعلى ، وهذه هي الفارة الثانية على النهرين .

(٤) لم نهتدى إلى موضعها .

فأقام لهم سواد وانفلت حمضة بالفنائين [لم تذكر المصادر طبيعتها ونحسبها كانت مواشى]. فلقيه عاصم بن عمرو فظن حمضة حين رآها على بعد أنها خيل أخرى من خيول الفرس فالحرف عن طريقها ، ولكنها ما لبثا أن تعارفا ، فساق حمضة غنيمتها نحو القادسية ومضى عاصم إلى سواد . وكان الفرس في أثناء ذلك قد استطاعوا استنقاذ بعض الغنيمة وما زال سواد ملتحما بهم . ولم يهدهم تفكيرهم إلى مثل ما هدى سواداً تفكيره ، فلو ذهب بعضهم بما استنقذوا وثبت بقيتهم للقتال لفازوا بها ، ولكنهم ظلوا جميعاً في التحام والغنيمة معهم حتى بلغهم عاصم وجابر في خيولها ، فما إن رأهم المحوس حتى ولوا الأدبار تاركين ما كانوا قد استرجعوا فاستردها منهم المسلمون وعادوا إلى سعد بننصرهم على عدوهم وبالفنائين وبالسلامة لم يفقد منهم أحد .

وعاشرة استكشافية

وبعث سعد طليحة^(١) بن خويلد الأسدى وعمرو^(٢) بن معدى كرب الزبيدي بعثهما سعد في غير قوة من خيل كالطليحة في « دورية » استكشافية ، فكان طليحة وحده مكلفاً بعسكر رستم وكان عمرو في خمسة من أصحابه مكلفاً بعسكر جالнос . وأمرهم أن يصيروا له رجالاً منهم ليستخبره .

كان ذلك صبيحة اليوم الذي أمر رستم فيه جالнос وبهمن جاذو به بالتقدم نحو القادسية ، والمسلمون يعلمون أن جيوش المحوس بالتجف لا يشعرون بخروجهم^(٣) منها . فلما تجاوز طليحة وعمرو قنطرة القادسية لم يسيرا إلا فرسخاً وبعض فرسخ [حوالي ٧ كم] حتى رأوا خيلاً عظيمة وقوات المحوس تتحرك بسلاحيها قد ملأوا الطفوف^(٤) .

(١) انظر ترجمة طليحة بن خويلد في آخر الكتاب تحت عنوان « ترجمة مشاهير قادة الفتح ».

(٢) عمرو بن معدى كرب قدمنا تعريفاً به في وقد سعد إلى يزدجرد .

(٣) الطبرى ٣ / ١١ س ش عن محمد بن قيس عن موسى بن طريف .

(٤) الطف ما أشرف من الأرض على ريف العراق ، وجمعها طفوف .

(٤) أسد الغابة ٢ : ٨ عن مراصد الاطلاع .

قال بعضهم : « ارجعوا إلى أميركم فإنه سر حكم وهو يرى أن القوم بالنجد
فأخبروه الخبر ». .

وقال بعضهم : « ارجعوا لا ينذر ^(١) بكم عدوكم ». .
فقال عمرو : « صدقتم ». .

وقال طليحة : « كذبتم ، ما بعثتم لتخبروا عن السر [سر جنود
الجوش] وما بعثتم إلا للخبر ». .
قالوا : « فما ت يريد » ?

قال : « أريد أن أخاطر القوم أو أهلك ». .

قالوا : « أنت رجل في نفسك غدر ولن تفلح بعد قتل عكاشة بن محسن
فارجع بنا ». .

فأبى وفارقه . وبلغ سعداً وهو بالقادسية خبر رحيلهم فبعث في آثارهم
قيس بن هبيرة الأنصاري وأمّره على مائة وقال له : « إن لقيت قتالاً فأنت عليهم ». .
وخرج قيس حتى لقي عمراً وقد فارقه طليحة ومضى وحده لما يريد . وسأل
قيس عن طليحة فقال عمرو : « لا علم لي به ». . وساروا جميعاً حتى أشرفوا على
النجد من جهة الجوف .

قال عمرو : « أريد أن أغير على أدنى عسکرهم ». .

قال قيس : « في هؤلاء » ؟

قال : « نعم ». .

قال قيس : « لا أدعك والله وذاك ، أتعرض المسلمين لما لا يطيقون » ؟ !

قال عمرو : « وما أنت وذاك » ؟

قال قيس : « إني أمرت عليك ، ولو لم أكن أميراً لم أدعك وذاك .
وشهد الأسود ^(٢) بن يزيد في نفر معه .

(١) نذر الجيش فلاناً جعله نذيراً . نذر به علمه فحذرها واستعد لها ، يقال نذروا بالعدو .

(٢) أنظر ترجمة الأسود بن يزيد في آخر الكتاب تحت عنوان « ترجمة مشاهير قادة الفتح ».

« إن سعداً قد استعمله عليك وعلى طليحة إذا اجتمعتم » .
 قال عمرو : « والله يا قيس إن زماناً تكون على فيه أميراً لزمان سوء^(١) .
 لئن عاد صاحبك الذي يبعثك لتلهم لفارقنه » .
 قال قيس : « ذاك اليك بعد مرتك هذه » .

رجعا إلى سعد بخبر زحف المجروس إليهم وببعض الأسرى منهم وبأفراط
 غنموها . وشكاكل واحد منها صاحبه . أما قيس فشكاكا عصيان عمرو وأما
 عمرو فشكاكا غلظة قيس .

قال سعد : « يا عمرو الخير والسلام أحب إلى من مصاب مائة [من المسلمين]
 بقتل ألف [من العجم] . أتعمد إلى حلبة فارس . فتصادمهم بائنة ؟ إن كنت
 لأراك أعلم بالحرب مما أرى ! »
 قال عمرو : « إن الأمر لك أقتل » .

أما طليحة فقد ترك أصحابه ومضى وحده يعارض^(٢) المياد على الطفوف
 حتى بلغ معسكراً رسم فتسلل إلى داخله ليلاً وبات فيه يحوسه وينظر ويتوسم ،
 فلما كان آخر الليل أتى أفضل من قوس في ناحية المعسكراً وفيها فرس لم يرَ في
 خيلهم مثله ، وفساطط أبيض لم ير مثله ، فسل سيفه وقطع به مقواد الفرس
 [لجامه] وربطه بقود فرسه ثم مشى بفرسه وخرج يعدو به . وأحسن الفرس

(١) في الرواية أن عمراً قال لقيس : « لأن أرجع عن دينكم هذا إلى ديني الذي كنت عليه وأقاتل عليه حتى أموت أحب إلى من أن تتأمر على ثانية » ، أسقطنا هذه العبارة من النص لمخالفتها المقول ، إذ أن عمراً كان من سبق لهم ردة وتابوا عنها ورجعوا إلى الإسلام ، وبسبب ردته حرم من الجهاد في عهد أبي بكر . ثم حسن إسلامه وبهذه الصفة سمح له ولغيره من أصحاب الردة أن يخاهموا في عهد عمر . فلم يكن من المقبول عقلاً أن يصدر عنه مثل هذا القول ، ولو قاله لكان لسعد معه شأن ، ولو تجاوز سعد لما تجاوز عمر . هذه العلة تدعونا إلى إسقاط العبارة من النص لمخالفتها للمعلوم بالاستفاضة وإجماع الرواة .

(٢) يعارض يجانب – عارض سار حياله – عارض الرجل أخذ في عرض من الطريق أي ناحية .

ما حدث فتنادوا وركبوا الصعبية والذلول وتمجل بعضهم فلم يسرج فرسه وخرجوا يهدون في أثره .

ولحقة فارس منهم مع الصباح فلما أدر كه وصوب اليه رمحه ليطعنه عدل طليحة فرسه ومال به عن تصويب الفارسي فانصب الفارسي بين يديه وصار أمامه ، فكر عليه طلحة وطعنه برمي فقسم ظهره ، وانطلق يudo بفرسه فلحق به أعمامي آخر ففعل به مثل ما فعل بالأول وانطلق يudo ، فلحق به ثالث وقد رأى مصرع صاحبيه وها ابنا عمه فازداد حنقاً ، فلما لحق بطلحة وبوأ له الرمح ليطعنه عدل طليحة فرسه فانصب الجوسى أمامه وكر عليه طلحة وقد شرع رمحه ودعا إلى الأسر ، وأدرك الجوسى أنه مقتول فاستسلم . وكان قد اقتربا من معسكر المسلمين ، فأمره طليحة أن يركض بين يديه وهو يسوقه من خلفه برمي وهو على فرسه فامثل للأمر .

وأقبل جم آخر من العجم يهدون في آثارها فرأوا فارسيهم وقد قتلا وشاهدوا الثالث يركض مستسلاماً أمام طليحة وقد أوشكوا على دخول معسكر المسلمين فاحجموا ونكصوا ثم عادوا من حيث أتوا .

لما علم المسلمون بزحف المجنون عليهم تبعاً للقتال . وجاء طليحة على فرسه يسحب وراءه الفرس التي غنم وأسيره يudo بين يديه ودخل عسكر المسلمين ففزعوا منه ثم أجازوه حين عرفوه ، فدخل على سعد .

قال له سعد : « ويحك ما وراءك ؟ »

قال طليحة : « دخلت عساكرهم وجستها منذ الليلة وقد أخذت أفضفهم توسيماً وما أدرني أصبت أم أخطأت وها هؤلاً فاستخبره » .

مسلم الفارسي

وأقيم الترجمان بين سعد والأسير .

فقال الأسير : « أتؤمنني على دمي إن صدقتك ؟ »

قال : « نعم الصدق في الحرب أحب اليها من الكذب » .

قال : « أخبركم عن صاحبكم هذا قبل أن أخبركم عن قبلي . باشرت المروءة
وغيثتها وسمعت بالأبطال ولقيتها منذ أنا غلام إلى أن بلغت ما ترى ، ولم أر ولم
أسمع بثل هذان . إن رجلاً قطع عسكرين لا يحترىء عليهما الأبطال إلى عسرين
فيه سبعون ألفاً يخدم الرجل منهمخمسة والعشرة إلى ما هو دون ، فلم يرض أن
يخرج كذا دخل حتى سلب فارس الجندي وهتك أطناه بيته فأندبه ، فأندبه به
فطلبناه ، فأدركه الأول وهو فارس الناس يعدل ألف فارس فقتله ، فأدركه
الثاني وهو نظيره فقتله ، ثم أدركته ولا أظن أنني خلقت بعدي من يعدلني وأنا
الثالث بالقتيلين وها ابنا عمي ، فرأيت الموت فاستأسرت » .

ثم أخبره عن جيش فارس بأن الجندي مائة وعشرون ألفاً وأن الأتباع مثلهم
خدم لهم . يعني أنهم كانوا جمِيعاً ٢٤٠ مائتين وأربعين ألفاً .

وأسلم الأسير فسماه سعد « مسلماً » ، وشهد مع المسلمين القادسية وكان من
أهل البلاء . وعاد مسلم إلى طليحة فقال له :

« لا والله لا تهزمون ما دمتم على ما أرى من الوفاء والصدق والإصلاح
والمؤاساة . لا حاجة لي في صحبة فارس » .

خاتمة المخزو

قال (١) سعد لقيس بن هبيرة الأستدي : « اخرج يا عاقل ، فإنه ليس وراءك
من الدنيا شيء تحنو عليه حتى تأتيني بعلم القوم » .

فخرج قيس ثم سرح سعد في أثره عمرو بن معدى كرب وطليحة بن خوبيل
فلحقا به وقد حاذى قنطرة القادسية فانضمما إليه ، وانتهوا إلى خيل كثيرة بإزاره
القنطرة تأتي من جهة عسكريهم قدمها أمامه جالنوس .

وصاح قيس بن هبيرة : « قاتلوا عدوكم يا مشر المسلمين » .
 وأنشب القتال فظلووا يتبارزون ساعة ثم حمل عليهم فأصاب منهم اثنى عشر

(١) الطبرى ٣ / ٥١٤ مس ش مس عن محمد بن قيس عن موسى بن طريف .

قتيلًا وثلاثة أسرى وأصاب منهم بعض الغنائم وعادوا بذلك إلى سعد فقال : « هذه بشرى إن شاء الله إذا لقيتم جعهم الأعظم وحدّهم فلهم أمثالها ». أراد سعد بإشراف عمرو وطلحة مع قيس بن هبيرة الأسدى في سريته تلك أن يعفّى على آثار ما كان في السرية السابقة . ودعاهما سعد بعد رجوع السرية . فقال لها : « كيف رأينا قيساً ؟ »

قال طلحة : « رأيناه أكمانا » .

وقال عمرو : « الأمير أعلم بالرجال منا » .

قال سعد : « إن الله تعالى أحينانا بالإسلام وأحياناً به قلوبناً كانت ميتة وأمات به قلوبناً كانت حية . وإنني أحذركما أن تؤثروا أمر الجاهلية على الإسلام فتموت قلوبكم وأنتم حيّان . إلزماً السمع والطاعة والاعتراف بالحقوق ، فما رأى الناس كأقوام أعزهم الله بالإسلام » .

وجهًا لوجه

آخر الطريق

نزل رستم السيلحين وبات بها فلما أصبح من غده قدّم جالتوس^(١) فنزل تجاه القنطرة في مواجهة زهرة بن الحوية والقنطرة بينها. وبذلك وقف جيش رستم بن فرخزاد وجيش سعد بن أبي وقاص وجهًا لوجه.

ونزل بهمن جاذويه منزل جالتوس بطيسناباذ.

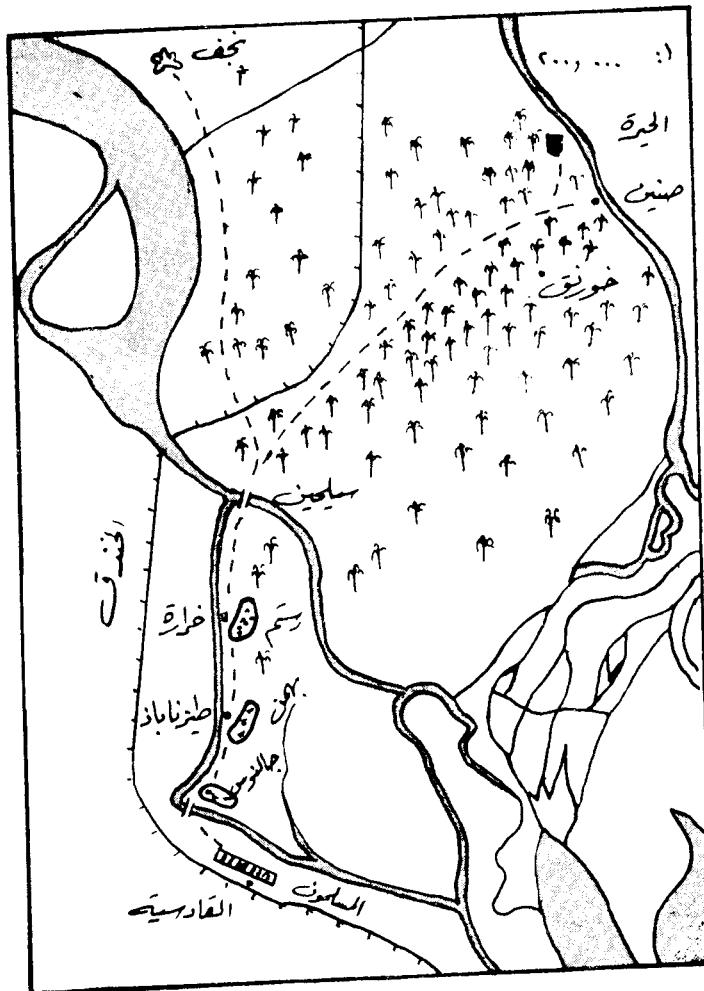
ونزل رستم بن معه من ميمنته وميسرة ومؤخرة منزل ذي الحاجب بهمن جاذويه بالحرارة.

ثم قدم بهمن جاذويه حق إذا بلغ العتيق تيسير، فلما كان تجاه قدس [الحصن الذي على خندق القدسية وهو الذي اتخذه سعد مقرأ له] خندق خندقاً غير أنه لم ينزل فيه وإنما ارتحل جالتوس فنزل عليه حتى يظل في المقدمة. وبقيت للفرس خيل تجاه القنطرة خلف العتيق، بينما زهرة والمقدمة على الجانب الآخر من القنطرة أمام العتيق.

وصلت السلحقة

وأقبل رستم في قواته فوقف بهم أمام عسكر سعد من وراء العتيق، ولا بد أن سعداً حينذاك كان ينظر إليهم من أعلى قدّيس يرقبهم ويقدرهم ويفحصهم

(١) الطبرى ٣ / ٥١٥ س ش عن محمد وطلحة وعمرو وزياد وشاركتهم المحالد وسعيد ابن المربان.



خريطة رقم (٦) موقع ما قبل المعركة

فيري أعداداً من الجنود والخيول والأفيال لم تجتمع من قبل قط في حرب العراق .
وأنزل رسم جنوده فيما زالوا يتلاحقون وهو ينزلهم منازلهم ويحدد لهم أماكنهم
حق أعمموا ودخل الليل من كثراهم .

وبات رستم وعسکره تلك الليلة من وراء العتيق والمسلمون مسكون عنهم لا يحركون ^(١) ساكناً. لا شك أن العجم المجوس حال وصوفهم إلى نهر العتيق لم يكونوا على التعبئة والمصالف الذي يمكنهم من الالتحام بالمسلمين فيما لو هاجومهم حينذاك، ولكن هل كانت من الصواب أن يشنّ المسلمون هجومهم عليهم وهم يصلون تباعاً؟ إنه إغراء ولو فعلوه لكان ذلك خروجاً عن الخططة المرسومة ولا يحمل بقائد في الميدان أن يخرج عن خطته المدروسة المرسومة لاستهواه إغراء عرضي غير مدروس. ولو حدث ذلك فدارت الدائرة على المسلمين – وهو احتمال في الحرب جائز – لساء موقفهم أياماً سوءاً إذ يكون العتيق وراء ظهورهم ومستنقعات الماء عن أيامهم وعن شمائهم، ولأعواد يوم الجسر نفسه على مقاييس أكبر.

هواجس أخرى

وأصبحوا من ليتهم تلك وهم بشاطئ العتيق ، فغدا منجم رستم على
رستم بحمل رأه من الليل !

قال : « رأيت الدلو في السماء دلوأً أفرغ ماوئه ، ورأيت السمكة في ضحاض من الماء [الضحاض من الماء: قريب القمر - الضحل] تضطرب ، ورأيت النعائم والزَّهرة تزدهر ». .

قال : « ويحك هل أخبرت بها أحداً ؟ »

قال: «لا».

قال : « فاكتمها ! »

أف لهؤلاء المحبون . كانوا يتبعون الأحلام والتنبؤات يومئذ به حتى في أشد حالات الجد ، حتى لقد كان رسم يبكي مما يرى وما يراه من جموده ^(٢) .

(١) الطبرى / ٣٥١٥ س ش من عن محمد وطلحة وعمرو وزياد وشاركم الجمال وسعيد ابن المرزبان .

٢) الطبرى ١٦٣ س ش من الشعبى .

بين رستم وزهرة

في هذا اليوم أصبح رستم راكباً في خيله ، فنظر إلى المسلمين ^(١) ، ثم سار جنوباً بشرق محاذاً العتيق نحو خفان يستعرض المسلمين وينظر إليهم حتى بلغ إلى آخر عسكرهم ، فرجع وسار حتى بلغ القنطرة وهو يتأملهم ، وصعد على شيء مرتفع يشرف منه عليهم . ثم نزل واتجه نحو القنطرة فوقف عليها وراسل زهرة فخرج اليه حتى وقف معه ، فحدثه رستم حديثاً يريد به الصلح على أن يرجع المسلمون عنهم مقابل جعل يحمله لهم . قال فيما قال :

« أنت جيرانا وقد كانت طائفة منكم في سلطانا ، فكنا نحسن جوارهم ونکف الأذى عنهم ونولهم المرافق الكثيرة ونحفظهم في أهل باديتهم فدعهم في ذلك معاش » ...

وظل يعرض لزهرة بالصلح تليحاً لا تصرح ^أ .

قال زهرة : « صدقت . قد كان ما تذكر ، وليس أمرنا أمر أولئك ولا طلبتنا طلبتهم . إنما نأكم لطلب الدنيا وإنما طلبتنا وهمتنا الآخرة . كنا كذا ذكرت يدين لكم من ورد عليكم منا ويضرع اليكم يطلب ما في أيديكم ، ثم بعث الله تبارك وتعالى علينا رسولاً فدعانا إلى ربه فأجبناه . فقال لنبيه عليه ^{صلوات الله} إني قد سلطت هذه الطائفة على من لم يدِن بديني ، فلأنها منتقمة لهم منهم وأجعل لهم القلبة ما داموا مقرين به . وهو دين الحق لا يرغب عنه أحد إلا ذل ولا يعتصم به أحد إلا عز » .

قال رستم : « وما هو ؟ »

قال زهرة : « أما عموده الذي لا يصلح منه شيء إلا به فشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، والإقرار بما جاء من عند الله تعالى » .

قال : « ما أحسن هذا ، وأي شيء أيضاً ؟ »

(١) الطبرى ٢/١٧ هـ ش عن النصر عن ابن الرفيل عن أبيه .

قال : « وإخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة الله تعالى » .

قال : « حسن ، وأي شيء أيضاً؟ »

قال : « والناس بنو آدم وحواء إخوة لأب وأم » .

قال رستم : « ما أحسن هذا . أرأيت لو أني رضيت بهذا الأمر وأجبتك إليه ومعي قومي ، كيف يكون أمركم أترجمون؟ »

قال : « إيه والله ثم لا نقرب بلادكم أبداً إلا في تجارة أو حاجة » .

قال : « صدقتنى . والله أما أن أهل فارسمنذ ولی أردشير لم يدعوا أحداً يخرج من عمله من السفينة ، كانوا يقولون إذا خرجوا من أعمالهم تعددوا طوراًهم وعادوا أشرافهم » .

قال زهرة : « نحن خير الناس للناس ، فلا نستطيع أن نكون كما تقولون . نطيع الله في السفلة ولا يضرنا من عصى الله فينا » .

انصرف رستم فدعا حاشيته وتدارسوه هذا الحديث فسخنوا^(١) منه وأنفوا . قال رستم : « أبعدكم الله وأسحقكم . أخزى الله آخرنا^(٢) وأجبتنا » . وكان الرفيف الذي تقدم ذكره ورغم في الإسلام حاضراً ذلك الاجتماع مع هؤلاء القوم الذين ذاكرهم رستم . يقول الرفيف هنا : « فلما انصرف رستم ملت إلى زهرة فكان إسلامي و كنت له عديداً [أي معدوداً معه] وفرض لي فرائض أهل القادسية » .

رسل إلى رستم

وأرسل رستم رجلاً إلى زهرة^(٣) يقول له :

(١) في الأصل « فجموا منه » بنفس المعنى .

(٢) الخرع : الرخاوة في الشيء ، وقد خرع الرجل أي ضعف فهو خرع - مختار الصحاح .

(٣) الطبرى ٣ / ٥١٨ س ش س عن محمد وطلحة وعمرو وزياد بإسنادهم .

« ٣ / ٥٢١ » « ٣ / ٥٢٤ » عن أبي عثمان النهدي .

« ٣ / ٥٢٤ » « ٣ / ٥٢٤ » عن محمد عن عبيد الله عن ثاون عن ابن عمر .

و ٣ / ٥١٧ و ٣ / ٥٢٤ « ٣ / ٥٢٤ » عن النضر عن ابن الرفيف عن أبيه . =

« إن رستم يقول لكم أرسلوالينا رجلاً نكلمه ويكلمنا ». وانصرف . فأرسل زهرة إلى سعد بذلك ، وأرسل سعد إلى المغيرة بن شعبة ويسر بن أبي رهم وعرفجة بن هرثة وحذيفة بن حصن وربيعى بن عامر وقرفة (١) ابن زاهر التىمى الواثىى ومذعور بن عدى العجلى والمضارب بن يزيد العجلى ومبعد بن مرة العجلى وكان من دهاء العرب ، فجاؤوا إليه وكانوا جميعاً من يثق سعد بدينهم ورأيهم .

قال : « إني مرسلكم إلى هؤلاء القوم فما عندكم ؟ » قالوا جميعاً : « تتبع ما تأمرنا به وننتهي إليه . فإذا جاء أمر لم يكن منك فيه شيء نظرنا أمثل ما ينبغي وأنفعه للناس فكلمناهم به ». .

قال سعد : « هذا فعل الحَزَمَة . اذهبوا فتهيأوا » .

قال ربيعى بن عامر : « إن الأعاجم لهم آراء وآداب ، ومتى نأتمهم جميعاً يروا أننا قد احتفلنا بهم ، فلا تردهم على رجل ». فالأوه جميعاً على ذلك .

فقال ربيعى : « فسر حوني » .

فبعثه سعد إلى هذه الوفادة .

ربيعى بن عامر

خرج ربيعى ليدخل على رستم عسکره فاحتىجزه الذين على القنطرة وأرسلوا إلى رستم بمجيئه ، فاستشار عظماء قومه . قال :

الطبى ٣ / ٥٢٤ س ش س عن مجالد عن الشعبي . وسعيد بن المربان .
« ٣ / ٥٢٥ » « عن عبيدة عن شقيق وقد شهد القادسية غلاماً بعدما احتم .
« ٣ / ٥٢٦ » « عن عمارة بن القعاع الضبي عن رجل من يربوع شهدما .
« ٣ / ٥٧٤ عن ابن حميد عن سلمة عن ابن إسحاق عن وهب بن كيسان عن عبدالله ابن الزبير .

الإصابة ٧٢٨٤ - ٨٤٤١ .

(١) ذكره ابن حجر باسم قرقرة بن زاهر التىمى - الإصابة ٧٢٨٤ .

« ما ترون ، أنباهي أم تهاون ؟ »

فأجمعوا على التباهي ^(١) ، فأظهروا الزبرج وبسطوا البسط والنارق ^(٢) ولم يتركوا شيئاً ، ووضع لرستم سرير الذهب وأليس زينته ووضعت الأغاط ^(٣) والوسائل المنسوجة بالذهب . وأقبل ربعي على فرس له زباء ^(٤) قصيرة ومعه سيف بجلو مصقول وغمده لفافة ثوب بالورمح تلثم حده بسير من جلد غير مدبوغ ومعه حجفة [ترس] من جلود البقر ليس فيه خشب ولا عقب على وجهها أديم [جلد] أحمر مستدير مثل الرغيف ، ومعه قوسه ونبله . فلما انتهى إلى رستم ووصل إلى أول البسط قيل له انزل فتجاهل ذلك وحمل فرسه على البساط فلما وقفت عليه نزل عنها وربطها بوسادتين فشقها ثم أدخل الحبل فيها فلم يستطعوا أن ينهوه وإنما أروه التهاون . وأدرك ربعي ما أرادوا فأرادوا استحراجهم .

كان على ربعي درع له كأنها إضافة ^(٥) ، ورداوه عباءة بعيدة قد شقها وتدرّع بها فشدها على وسطه بشيء ما غنمته من الفرس في معاركه السابقة ، وقد شد رأسه بعمامته وكان أكثر العرب شعراً ، وعمامته نسعة ^(٦) بعيدة ولرأسه أربع ضفائر قد قمن قياماً كأنهن قرون الوعول .

قالوا له : « ضع سلاحك » .

قال : « إني لم آتكم فأضع سلاحي بأمركم . أنتم دعوتوني فإن أبitem أن آتكم إلا كما أريد وإلا رجمت » .

فأخبروا رستم فقال : « ائذنا له ، هل هو إلا رجل واحد » .

(١) في الأصل : التهادن ، ونعتقد الصواب التباهي فهو الذي فعلوه .

(٢) النارق : وسائل صغيرة للاتقاء .

(٣) الأغاط : نوع من البسط .

(٤) الأزب : كثير شعر الوجه والأذنين ، والأنثى زباء . وداهية زباء : أي عظيمة .

(٥) الاضافة : القدير . ووجه الشبه في توجها وسهولة حركتها مع حركة الجسم ولا يكون ذلك إلا في دروع الحلق المسرود .

(٦) النسعة : سير أو حبل عريض طوبل تشد به الرحال .

وأقبل ربعي يتوكأ على رمحه - ومكان زُجّه فصل - يقارب الخطوط ويزج
النارق والبسط بزج رمحه فما ترك لهم غرفة ولا بساطاً إلا أفسده وتركه منتهكاً
محرقاً. فلما دنا من رستم تعلق به الحرس فجلس على الأرض ورکر رمحه بالبسط.
قالوا : « ما حملك على هذا ؟ »

قال : « إنا لا نستحب القعود على زينتكم هذه » .

قال رستم : « ما جاء بكم ؟ »

قال ربعي : « الله ابتعثنا والله جاء بنا ليخرج من شاء من عبادة العباد إلى
عبادة الله ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ،
فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه، فمن قبل منا ذلك قبلنا ذلك منه ورجعنا
عنه وتركناه وأرضه يليها دوننا . ومن أبي قاتلناه أبداً حتى نقضي إلى
موعد الله » .

قال رستم : « وما موعد الله ؟ »

قال : « الجنة لمن مات على قتال من أبي ، والظفر لمن بقي » .

فقال رستم : « قد سمعت مقالتكم فهل لكم أن تؤخروا هذا الأمر حق تنظر
فيه وتنتظروا ؟ »

قال : « نعم ، كم أحب إليكم ؟ أيماماً أو يومين ؟ »

قال : « لا بل حتى نكاتب أهل رأينا ورؤساء قومنا » .
وأراد مقاربته ومدافعته .

قال ربعي : « إن مما سن لنا رسول الله ﷺ وعمل به أئمننا أنت لا ننكر
الأعداء من آذاننا ، ولا نؤجلهم عند اللقاء أكثر من ثلاثة ، فنحن متذمدون
عندكم ثلاثة فانظر في أمرك وأمرهم ، واختر واحدة من ثلاثة بعد الأجل «
اختر الإسلام وندعك وأرضك .

أو الجزاء [الجزية] فنقبل ونكشف عنك ، وإن كنت عن نصرنا غنياً تركناك
منه وإن كنت إليه محتاجاً منعناك .

أو المبايعة [الحرب] في اليوم الرابع .

ولسنا نبُدُوك فِيمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْيَوْمِ الرَّابِعِ إِلَّا أَنْ تَبْدَأَنَا، أَنَا كَفِيلٌ لَكَ بِذَلِكَ
عَلَى أَصْحَابِي وَعَلَى جَمِيعِ مَنْ تَرَى ۚ ۖ

قال : « أَسِدِمْ أَنْتَ ؟ ۖ

قال : « لَا وَلَكِنَّ الْمُسْلِمِينَ كَالْجَسَدِ بِعِصْمِهِ مِنْ بَعْضٍ يَحِيرُ أَدْنَاهُمْ عَلَى أَعْلَاهُمْ ۖ ».
وَانْفَرَدَ رَسْتَمْ بِرَؤْسَاءِ أَهْلِ فَارِسٍ ۖ

فَقَالَ : « مَا تَرَوْنَ؟ هَلْ رَأَيْتُمْ كَلَامًا قَطُّ أَوْضَحَ وَلَا أَعْزَزَ مِنْ كَلَامِ هَذَا الرَّجُلِ؟ ۖ »

قَالُوا : « مَعَاذَ اللَّهِ لَكَ أَنْ تَبْلِي إِلَى شَيْءٍ مِنْ هَذَا وَتَدْعُ دِينَكَ لِهَذَا الْكَلْبِ
أَمَا تَرَى إِلَى ثِيَابِهِ؟ ۖ »

قَالَ : « وَيَحْكُمُ لَا تَنْتَظِرُوْنَا إِلَى الثِّيَابِ وَلَكُنْ أَنْظَرُوْنَا إِلَى الرَّأْيِ وَالْكَلَامِ
وَالسِّيَرَةِ. إِنَّ الْعَرَبَ تَسْتَخْفُ بِاللِّبَاسِ وَالْمَالِكَ وَيَصُونُونَ الْأَحْسَابَ. لَيْسُوا مِثْلَكُمْ
فِي الْلِّبَاسِ وَلَا يَرَوْنَ فِيهِ مَا تَرَوْنَ ۖ ». ۖ

وَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَتَنَاهُلُونَ سَلَاحَهُ وَيَعْيَانُونَهُ وَيَزْهَدُونَ فِيهِ ۖ

فَقَالَ لَهُمْ : « مَهْ لَكُمْ إِلَى أَنْ تُرْوَنِي فَأُرْيِكُمْ؟ ۖ »
فَأَخْرَجَ سِيفَهُ مِنْ خَرْقَهُ كَأَنَّهُ شَلَةُ نَارٍ ۖ . فَقَالُوا لَهُ : « أَغْمَدْهُ ۖ » فَغَمَدَهُ ۖ .
ثُمَّ وَضَعُوا لَهُ تُرْسًا وَوَضَعُ لَهُ حَجْفَتَهُ فَرَمَى تَرْسَهُمْ بِسَبِّهِ فَخَرَقَهُ وَرَمَوا
حَجْفَتَهُ بِسَبِّهِ فَسَلَمَتْ ۖ .

فَقَالَ لَهُمْ : « يَا أَهْلَ فَارِسٍ إِنَّكُمْ عَظَمْتُمُ الطَّعَامَ وَاللِّبَاسَ وَالشَّرَابَ وَإِنَّا
صَفَرَنَا هُنَّ ۖ ». ۖ

ثُمَّ تَرَكُوهُمْ وَرَجَعُوا إِلَى مَعْسَكِهِمْ إِلَى أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى الْأَجْلِ الَّذِي مَنَحَهُمْ لَهُمْ
وَهُوَ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ ۖ .

حَذِيفَةُ بْنُ مَحْصَنٍ

فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْفَدِ بَعْثَتُ الْفَرَسَ : « أَنْ ابْعَثَ إِلَيْنَا ذَلِكَ الرَّجُلَ ۖ ». ۖ
فَبَعَثْتُ سَعْدَ الْيَهْمَ حَذِيفَةَ بْنَ مَحْصَنٍ وَهُوَ مِنَ الْأَزْدِ وَلَهُ تَارِيخٌ مَعْرُوفٌ ۖ . كَانَ
مِنْ قَوَادِ أَبِي بَكْرٍ لِقَتَالِ الْمُرْتَدِينَ وَقَدْ وَجَهَ أَبَوَ بَكْرٍ وَمَعَهُ عَكْرَمَةُ بْنُ أَبِي جَهَلٍ

لقتال مرتد الأزد في عمان ، فدعاه حذيفة إلى الإسلام فأسلموا كلهم إلا أهل دبا فولاه أبو بكر عليهم ، ومات أبو بكر وحذيفة أميرهم . وكان من أصحاب الأيام بالعراق فكان مع المثنى بن حارثة وقد شهد معه البويب ثم كان على المقدمة في غارات المثنى على أسواق الشمال وأغار مع المثنى على تكريت .

وأقبل حذيفة على رستم في زي يشبه زي ربعي الذي ذهب به بالأمس حتى إذا كان على أدنى البساط قالوا له : « انزل » .

قال : « ذلك لو جئتم في حاجتي ، فقولوا لملوككم أله الحاجة أم لي ؟ فإن قال لي فقد كذب ورجعت وتركتكم ، فإن قال له لم آتكم إلا على ما أحب » .
فقال رستم : « دعوه » .

فدخل حذيفة بفرسه حتى بلغ رستم وهو على سريره .
فقال له رستم : « انزل » .

قال : « لا أفعل » . وأبى .

قال رستم : « ما بالك جئت ولم يجيء صاحبنا بالأمس ؟ »

قال : « إن أميرنا يحب أن يعدل بيننا في الشدة والرخاء فهذه نوبتي » .

قال : « ما جاء بكم ؟ »

قال : « إن الله عز وجل من علمنا بدينه وأرنا آياته حتى عرفناه وكنا له منكرين .

ثم أمرنا بدعاء الناس إلى واحدة من ثلاث فأئمها أجابوا إليها قبلناها :
الإسلام وتنصرف عنكم .

أو الجزاء وتنعمكم إن احتجتم إلى ذلك .
أو المنابذة » .

فقال رستم : « أو الموادعة إلى يوم ما » .

قال حذيفة : « نعم . ثلاثة من أمس » .

ولم يجد رستم عنده إلا ذلك فرده وأقبل على أصحابه فقال :
« ويحكم ، ألا ترون ما أرى ؟ جاءنا الأول فغلبنا على أرضنا وحقّر ما

نعلم وأقام فرسه على زبرِ جِنَا وربطه به فهو في ين الطائر ذهب بأرضنا
وما فيها اليهم مع فضل عقله . وجاءنا هذا اليوم فوق علينا فهو في ين الطائر
يقوم على أرضنا دوننا » .

وظل رستم يحذثهم بمثل هذا حتى أغضبهم وأغضبوه .

المغيرة بن شعبة

فلا كان الغد أرسل رستم إلى سعد أن يبعث إليه رجلاً فبعث إليه المغيرة بن
شعبة . وجاء المغيرة إلى القنطرة فأجازه زهرة إلى جانوس فأبلغه إلى رستم
فحجزوه حتى استأذنوا له ، ولم يغيرة شيئاً من شاراتهم وزيارات الذي كانوا
عليه ، وعليهم التيجان والثياب المنسوجة بالذهب وبسطهم على غلوة ^(١) . ودعا
رستم ترجمانه وكان عربياً من أهل الحيرة اسمه عبدُود . وأقبل المغيرة يمشي وله
أربع ضفائر ، وفرق رأسه أربع فرق من بين يديه إلى قفاه وفرق ما بين
أذنيه ^(٢) ، وجاء حتى جلس مع رستم على سريوه ووسادته ، فنخر أخو رستم !
ووتب الفرس فترزوه وأنزلوه ومقتهو ^(٣) .

قال المغيرة لأخي رستم : « لا تنخر ، فما زادني هذا شرفاً ولا نقص أخاك .
كانت تبلغنا عنكم الأحلام ولا أرى قوماً أسفه منكم . إننا معشر العرب سواء
لا يستعبد بعضاً إلا أن يكون محارباً لصاحبها فظننت أنكم تواسون
قومكم كما نتواسي ، وكان أحسن من الذي صنعتم أن تخبروني أن بعضكم
أرباب بعض وأن هذا الأمر لا يستقيم فيكم فلم نصنعه ، ولم آتكم ولكن
دعوتوني . اليوم علمت أن أمركم مض محل وأنكم مغلوبون وأن ملكاً لا يقوم
على هذه السيرة ولا على هذه العقول » .

(١) الغلوة : عشر ميل ، حوالي ١٨٥ متراً .

(٢) الطبرى ٣ / ٥٧٤ من حديث ابن إسحاق .

(٣) مقتوه : زغدوه ، ومنت الرجل : ضربه ضرباً غير مبرح . ترتر الشيء : حركه
وزعزعه .

وإذا كان المفيرة يعرف الفارسية حينذاك فهو لم يظهر معرفته بها فكان
الترجمان يترجم مقالته . قال له المفيرة :
« ويحك يا عبد . أنت رجل عربي فأبلغه عني إذا أنا تكللت كما تبلغني
عنه ».

بينما قالت السفلة من المحوس : « صدق والله العربي ». .

وقالت الدهاقن : « والله لقد رمى بكلام لا يزال عبيداً يتذعون اليه ، قاتل الله أو تلينا ، ما كان أحقهم حين كانوا يصغرون أمر هذه الأمة ». .

من الطبيعي حين تفقد أمة سحرية التعبير أن تميل إلى سماع ما يذيعه أعداؤها لا سيما إذا كان حقاً. وأراد رستم أن يمحو آثار ما حدث فقال وهو يمازحه : « يا عربى إن الحاشية قد تصنع ما لا يوافق الملك فيترافق عنها مخافة أن يكسرها عما ينبغي من ذلك فالأمر على ما تحب من الوفاء وقبول الحق ». ثم أشار إلى السهام التي معه وقال :

«ما هذه المغازل التي معك؟ لا تروا أن هذه المغازل تغنى عنكم شيئاً».

قال : «ما ضر الجمرة الا تكون طويلة » .

تم راماهم كما فعل ربعي في أمسه الأول .

قال رستم : « ما بال سيفك رثاء ». .

قال : « رث الكسوة حديد المضربة » .

شم عاطاہ سیفہ لیراہ۔

قال رستم : « تكلم أم أو تكلم ؟ »

قال المغيرة : « أنت الذي بعثت المنافقين »

وتكلمت رستم فحمد قومه وعظهم أمر هم وطهّله مقاولاً

« لم نزل متمكّنين في البلاد ظاهرين على الأعداء أشرافاً في الأمم ، فليس أحد من الملوك مثل عزنا وشرفنا وسلطاناً ، فلننصر على الناس ولا نُنصرون »

(١) من المعروف أن سهام الفرس كانت طويلة وكانت يسمونها فشاراً.

علينا إلا اليوم واليومين أو الشهر والشهرين للذنوب ، فإذا انتقم الله فرضيَ ردَّ
البنا عزنا وَجَعَنَا لعدونا شر يوم هو آت عليهم . ثم لم يكن في الناس أمة أصغر
عندنا أمراً منكم . كنتم أهل قشف ومعيشة سيئة وشقاء وجهد . لا نراكم
 شيئاً ولا نعدكم ، وكنتم تأتوننا من بين تاجر وأجير وواحد ، وكنتم إذا قحطت
أرضكم وأصابتكم السنة استفثنتم بناحية أرضنا فنأمر لكم بالشيء من التمر
والشعير ثم نرددكم .

فأكلتم من طعامنا وشربتم من شرابنا واستظللتم من ظلالنا ، فذهبتم
فدعوتكم أصحابكم ثم أتيتمونا بهم ، وإنما مثلكم مثل رجل كان له حائط
[بستان] من عنب فرأى فيه نعلبًا واحدًا فقال : ما نعلب واحد ، فانطلق
النعلب فدعا الشعالب إلى الحائط فلما اجتمعن فيه جاء الرجل فسد الجحر الذي
دخلن منه ثم قتلن جميعاً .

وقد علمت أنه لم يحملكم على ما صنعتم إلا ما أصابكم من الجهد في بلادكم ،
فارجعوا عن عamكم هذا فإنكم قد شغلتمونا عن عمارة بلادنا وعن عدونا ونحن
نوقر لكم ركائبكم ^(١) فحاماً وغراً ، فإنما آمر لأميركم بكسوة وبغل وألف درهم
وآمر لكل رجل منكم بوقر تمر وبثوبين وتنصرفون عننا فإني لست أشتري أن
أقتلكم ولا آسركم ، فارجعوا عن عافاكم الله !

وتكلم المفيرة بن شعبة فحمد الله وأثنى عليه وقال :

« إن الله خالق كل شيء ورازقه ، فمن صنع شيئاً فإنما هو يصنعه والذى
له . وأما الذى ذكرت به نفسك وأهل بلادك من الظهور على الأعداء والتمكן
في البلاد وعظم السلطان في الدنيا فنحن نعرفه ولسنا ننكره ، فالله صنعه بكم
ووضعه فيكم وهو له دونكم .

وأما الذى ذكرت فيما من سوء الحال وضيق المعيشة واختلاف القلوب
فتحن نعرفه ولسنا ننكره ، كنا في مثله أو أشد منه ، أفضلنا في أنفسنا عيشاً

(١) أي نحمل لكم ركائبكم . والوقر : الملح الثقيل .

الذى يقتل ابن عمه ويأخذ ماله فـأـكـلهـ ، نـأـكـلـ المـيـتـةـ والـدـمـ والـعـظـامـ ، وـالـهـ اـبـلـلـاـنـاـ بـذـلـكـ وـصـيـرـنـاـ إـلـيـهـ وـالـدـنـيـاـ دـوـلـ ، وـلـمـ يـزـلـ أـهـلـ شـدـائـهـاـ يـتـوـقـعـونـ الرـخـاءـ حـتـىـ يـصـيـرـوـاـ إـلـيـهـ ، وـلـمـ يـزـلـ أـهـلـ رـخـائـهـاـ يـتـوـقـعـونـ الشـدـائـهـ حـتـىـ تـزـلـ بـهـمـ وـيـصـيـرـوـاـ إـلـيـهـ .

ولـوـ كـتـمـ فـيـآـتـاـكـ اللهـ ذـوـيـ شـكـرـ كـانـ شـكـرـ كـمـ يـقـصـرـ عـمـاـ أـوـتـيـتـمـ وـأـسـلـكـمـ ضـعـفـ الشـكـرـ إـلـىـ تـغـيـرـ الـحـالـ . وـلـوـ كـنـاـ فـيـاـ اـبـلـيـنـاـ بـهـ أـهـلـ كـفـرـ كـانـ عـظـيمـ مـاـ تـابـعـ عـلـيـنـاـ مـسـتـجـلـبـاـ مـنـ اللهـ رـحـمـةـ يـرـفـهـ بـهـ عـنـاـ . وـلـكـنـ الشـأـنـ غـيـرـ مـاـ تـذـهـبـونـ إـلـيـهـ أـوـ كـتـمـ تـعـرـفـوـنـاـ بـهـ .

إـنـ اللهـ تـبـارـكـ وـتـعـالـىـ بـعـثـ فـيـنـاـ رـسـوـلـاـ وـأـنـزـلـ عـلـيـهـ الـكـتـابـ ، فـدـعـانـاـ إـلـىـ اللهـ وـإـلـىـ مـاـ بـعـثـهـ بـهـ فـصـدـقـهـ مـاـ مـصـدـقـ وـكـذـبـ مـاـ آـخـرـ ، فـقـاتـلـ مـنـ صـدـقـهـ مـنـ كـذـبـهـ حـتـىـ دـخـلـنـاـ فـيـ دـيـنـهـ مـنـ بـيـنـ مـوـقـنـ بـهـ وـبـيـنـ مـقـهـوـرـ حـتـىـ اـسـتـبـانـ لـنـاـ أـنـ صـادـقـ وـأـنـهـ رـسـوـلـ مـنـ عـنـدـ اللهـ . فـأـمـرـنـاـ أـنـ نـقـاتـلـ مـنـ خـالـفـنـاـ

حـتـىـ قـالـ : « . . . فـكـانـ مـاـ رـزـقـنـاـ اللهـ عـلـىـ يـدـيـهـ حـبـةـ تـبـتـ فـيـ أـرـضـكـ هـذـهـ ، فـلـمـ أـذـقـنـاـهـ عـيـالـنـاـ قـالـوـاـ لـاـ صـبـرـ لـنـاـ عـنـهـ فـجـعـلـنـاـ لـنـطـعـمـهـ أـوـ نـمـوتـ » .

فـقـالـ رـسـتـمـ : « إـذـاـ تـوـتـونـ أـوـ تـقـتـلـوـنـ » .

قـالـ المـغـيـرـةـ : « إـذـاـ يـدـخـلـ مـنـ قـتـلـ مـنـاـ الـجـنـةـ وـيـدـخـلـ مـنـ قـتـلـنـاـ مـنـكـمـ النـارـ وـيـظـفـرـ مـنـ بـقـيـ مـنـاـ بـقـيـ مـنـكـمـ . فـنـحـنـ خـيـرـكـ بـيـنـ إـحـدـيـ ثـلـاثـ خـلـالـ ، إـلـىـ إـلـاسـلـامـ وـلـكـمـ فـيـهـ مـاـ لـنـاـ وـعـلـيـكـمـ فـيـهـ مـاـ عـلـيـنـاـ ، لـيـسـ فـيـهـ تـفـاضـلـ بـيـنـنـاـ ، أـوـ الـجـزـيـةـ عـنـ يـدـ وـأـنـتـ صـاغـرـوـنـ . . . »

فـلـمـ يـفـهـمـهـ رـسـتـمـ فـسـأـلـ : « مـاـ صـاغـرـوـنـ ? »

قـالـ المـغـيـرـةـ : « أـنـ يـقـوـمـ الرـجـلـ مـنـكـمـ عـلـىـ رـأـسـ أـحـدـنـاـ بـالـجـزـيـةـ يـحـمـدـهـ أـنـ يـقـبـلـهـ مـنـهـ ، وـإـنـ اـحـتـجـتـ إـلـيـنـاـ نـمـنـعـكـ . فـكـنـ لـنـاـ عـبـدـاـ تـؤـدـيـ الـجـزـيـةـ عـنـ يـدـ وـأـنـتـ صـاغـرـ وـإـلـاـ السـيـفـ إـنـ أـبـيـتـ . وـإـلـاسـلـامـ أـحـبـ إـلـيـنـاـ مـنـهـ » .

فـاـسـتـشـاطـ رـسـتـمـ غـضـبـاـ وـقـالـ : « مـاـ كـنـتـ أـظـنـ أـنـيـ أـعـيـشـ حـتـىـ أـسـعـ مـنـكـمـ هـذـاـ مـعـشـرـ الـعـرـبـ » . وـخـرـجـ عـنـ مـاـ يـنـبـغـيـ أـنـ يـكـوـنـ مـنـ أـخـلـقـيـاتـ سـادـةـ الـدـوـلـ

وما يجوز من مستوى التفاوض بين الأمم فهبط إلى مستوى السُّوقة والدُّهاء
ونخر نخرة ، ثم نسي أحلامه وتنجيمه فحلَّ بالشمس .

« لا يرتفع لكم الصبح غداً حتى أفرغ منكم وأقتلكم أجمعين . لا صلح بيننا
وبينكم » .

وخرج المغيرة من مجلس رستم ، فلما صاروا وحدهم قال لهم رستم :

« أين هؤلاء منكم ؟ ما بعد هذا ؟ ألم يأتكم الأولان فحسركم واستحرجكم ،
ثم جاءكم هذا فلم يختلفوا وسلكوا طريقاً واحداً ولزموا أمراً واحداً . هؤلاء
والله الرجال صادقين كانوا أم كاذبين . والله لئن كان بلغ من إبرهم وصونهم لسرهم
أن لا يختلفوا فما أبلغ فيما أرادوا منهم . لئن كانوا صادقين ما يقوم لهؤلاء
شيء » .

فلجوا وجادلوا ، قال : « والله إني لأعلم أنكم تصفون إلى ما أقول لكم وإن
هذا منكم رثاء » .

فازدادوا لجاجة .

وأرسل ^(١) رستم مع المغيرة رجلاً وقال له إذا قطع القنطرة ووصل إلى
 أصحابه فناده : « إن الملك كان منجماً قد حسب لك ونظر في أمرك فقال إنك
غداً تفقأ عينك » فقال له الرجل ذلك .

فقال المغيرة : « بشرتي بخير وأجر ولو لا أن أجاهد بعد اليوم أشهاهكم من
الشر كين لتنميت أن الأخرى ذهبت أيضاً » .

فرآهم يضحكون من مقالته ويتعجبون من بصيرته . ورجع الرجل إلى
رستم بذلك .

فقال رستم : « أطيعوني يا أهل فارس وإن لرأى الله فيكم نعمة لا تستطعون
ردها عن أنفسكم » .

وكان خيول الفرس تتحرش بخيول المسلمين ، تلتقي على القنطرة لا تلتقي

(١) الطبرى / ٣٥٢٤ من شهادتى عن النضر بن الرفيل عن أبيه .

إلا عليها ، الفرس يبدؤون والملعون مسكون عنهم الأيام الثلاثة لا يبدؤونهم
ولكن يصدونهم ويردعونهم .

سأدر الوفد

ثم بعث سعد إلى رستم ^(١) بقية ذوي الرأي فيما عدا ربعي وحديفة والمغيرة
فكانوا ستة ، سرّجوا حتى جاءوه .

فقالوا له : « إن أميرنا يقول لك إن الجوار يحفظ الولاة ، وإنني أدعوك إلى
ما هو خير لنا ولك ، العافية أن تقبل ما دعاك الله إليه ونرجع إلى أرضنا وترجع
إلى أرضك وبعضا من بعض إلا أن دارك لكم وأمركم فيكم ، وما أصبت مـا
وراءكم كان زيادة لكم دوننا وكـنا لكم عـونا على أحد إن أرادكم أو قـوي عليـكم .
وأتقـ الله يا رـستـم ولا يـكونـ هـلاـكـ قـومـكـ عـلـىـ يـدـيـكـ فإـنـهـ لـيـسـ بـيـنـكـ وـبـيـنـ

أن تـغـيـطـ بهـ إـلـاـ تـدـخـلـ فـيـهـ وـتـطـرـدـ بـهـ الشـيـطـانـ عـنـكـ » .
قال رـستـمـ : « إـنـيـ قدـ كـلـمـ مـنـكـ نـفـرـاـ وـلـوـ أـنـهـ فـهـواـ عـنـيـ رـجـوـتـ أـنـ تـكـوـنـواـ

قدـ فـهـمـتـ . وـإـنـ الأـمـثـالـ أـوـضـحـ مـنـ كـثـيرـ مـنـ الـكـلـامـ ، وـأـسـأـرـبـ لـكـ مـثـلـكـ

تـبـصـرـواـ ..
إـنـكـ كـنـتـ أـهـلـ جـهـدـ فـيـ الـمـعـيـشـةـ وـقـشـفـ فـيـ الـهـيـثـةـ ، لـاـ تـتـنـتـفـعـونـ وـلـاـ تـنـتـصـفـونـ

فـلـ نـسـيـ جـوـارـكـ وـلـمـ نـسـأـ مـوـاسـاـتـكـ ، تـقـحـمـونـ الـمـرـةـ بـعـدـ الـمـرـةـ فـنـمـيرـكـ [ـنـوـنـكـ]

ثـمـ نـرـدـكـ ، وـتـأـتـوـنـ أـجـرـاءـ وـتـجـارـأـ فـتـحـسـنـ الـيـكـ .

وـقـدـ أـصـابـ أـنـاسـ كـثـيرـ مـنـكـ مـنـ أـرـضـنـاـ مـاـ أـرـادـوـاـ ثـمـ كـانـ مـصـيـرـهـ القـتـلـ ^(٢)
وـالـهـرـبـ ، وـمـنـ سـنـ هـذـاـ لـكـ [ـيـقـصـدـ الـفـرـسـ] خـيـرـ مـنـكـ وـأـقـوىـ . وـقـدـ رـأـيـتـ

أـنـمـ كـلـمـاـ أـصـابـوـاـ شـيـئـاـ أـصـيـبـ بـعـضـهـمـ وـنـجـاـ بـعـضـهـمـ وـخـرـجـ مـاـ كـانـ أـصـابـ [ـيـقـصـدـ

الـزـحـوـفـ السـابـقـةـ ثـمـ اـنـسـحـابـهـ] .

(١) الطبرى ٣ / ٥٢٥ سـ شـ سـ عـنـ مـعـدـ وـطـلـحـةـ وـزـيـادـ .

(٢) يـقـصـدـ يـوـمـ الـجـسـرـ . الطـبـرـىـ ٣ / ٥٢٦ سـ شـ سـ عـنـ عـمـارـةـ بـنـ الـقـعـقـاعـ الضـيـ عنـ رـجـلـ

مـنـ يـرـبـوـعـ شـهـدـهـ .

فَلَمَا تَطَاعَتْ بَطْعَانَاهُ وَشَرَبَتْ شَرَابَنَا وَأَظْلَكَمْ ظَلَنَا وَصَفَتْ لَقَوْمَكْ فَدَعَوْتُوْمَ ثُمَّ أَتَيْتُوْنَا بِهِمْ . وَإِنَّا مِثْلَكُمْ فِي ذَلِكَ وَمِثْلَنَا كَمِثْلِ رَجُلٍ كَانَ لَهُ كَرْمٌ فَرَأَى فِيهِ ثُلْبَانًا فَقَالَ وَمَا ثُلْبَانٌ ! فَانْطَلَقَ الشَّعْلُبُ فَدَعَا الشَّعَالَبَ إِلَى ذَلِكَ الْكَرْمِ فَلَمَّا اجْتَمَعَنْ عَلَيْهِ سَدَّ عَلَيْهِنْ صَاحِبُ الْكَرْمِ الْجَحْرُ الَّذِي كَنْ يَدْخُلُنَّ مِنْهُ فَقُتْلُهُنْ . إِنَّا مِثْلَكُمْ مِثْلُ ثُلْبَانٍ دَخَلَ جَحْرًا وَهُوَ مَهْزُولٌ ضَعِيفٌ إِلَى كَرْمٍ فَكَانَ فِيهِ يَأْكُلُ مَا شَاءَ اللَّهُ فَرَآهُ صَاحِبُ الْكَرْمِ وَرَأَى مَا بِهِ فَرَحَّهُ ، فَلَمَّا طَالَ مَكْثَتُهُ فِي الْكَرْمِ وَسَمِنَ وَصَلَحَتْ حَالَهُ وَذَهَبَ مَا كَانَ بِهِ مِنَ الْهَزَالِ أَشِرَّ فَجَعَلَ يَعْبَثُ بِالْكَرْمِ وَيَفْسُدُ أَكْثَرَ مَا يَأْكُلُ . فَاشْتَدَ عَلَى صَاحِبِ الْكَرْمِ فَقَالَ لَا أَصْبَرُ عَلَى هَذَا مِنْ أَمْرِ هَذَا ، فَأَخْذَ لَهُ خَشْبَةً وَاسْتَعَانَ عَلَيْهِ غَلَمانَهُ فَطَلَبُوهُ وَجَعَلَ يَرَاوِغُهُمْ فِي الْكَرْمِ فَلَمَّا رَأَى أَنَّهُمْ غَيْرَ مَقْلَعِينَ عَنْهُ ذَهَبَ لِيُخْرُجَ مِنَ الْجَحْرِ الَّذِي دَخَلَ مِنْهُ فَنَشَبَ ، اتَّسَعَ عَلَيْهِ وَهُوَ مَهْزُولٌ وَضَاقَ عَلَيْهِ وَهُوَ سَمِنٌ . فَجَاءَهُ وَهُوَ عَلَى تَلْكَ الْحَالِ صَاحِبُ الْكَرْمِ فَلَمْ يَزِلْ يَضْرِبُهُ حَقَّ قَتْلِهِ . وَقَدْ جَتَّمْ وَأَنْتَمْ مَهَازِيلْ وَقَدْ سَمِنْتُمْ شَيْئًا فَانْظَرُوْنَا كَيْفَ تَخْرُجُوْنَ !

وَمِنْ أَمْثَالَكُمْ فِيَا تَصْنَعُونَ مِثْلَ جَرْذَانَ أَلْفَتْ جَرَةَ فِيهَا حَبَّ وَفِي الْجَرَةِ ثَقْبٌ ، فَدَخَلَ الْأُولَى فَأَقْبَامَ فِيهَا وَجَعَلَ الْآخِرَ يَنْقَلِنَّ مِنْهَا وَيَرْجِعُنَّ وَيَكْلِمُهُ فِي الرَّجُوعِ فَيَأْبَى . فَانْتَهَى سَمِنُ الَّذِي فِي الْجَرَةِ [أَيْ بَلْغَ نَهَايَةِ السَّمِنِ] فَاشْتَاقَ إِلَى أَهْلِهِ لِيَرِيهِمْ حَسَنَ حَالَهُ فَضَاقَ عَلَيْهِ الْجَحْرُ وَلَمْ يَطْقُ الْخَرْوَجَ فَشَكَّ الْقَلْقَلُ إِلَى أَصْحَابِهِ وَسَأَلُوهُمُ الْخَرْجَ . فَقَلَنَ لَهُ مَا أَنْتَ بِخَارِجٍ مِنْهَا حَقَّ تَعْوِدَ كَمَا كَنْتَ قَبْلَ أَنْ تَدْخُلَ ، فَكَفَّ وَجَوَّعَ نَفْسَهُ وَيَقِيَ فِي الْخُوفِ حَقَّ إِذَا عَادَ كَمَا كَانَ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَهَا أَتَى عَلَيْهِ صَاحِبُ الْجَرَةِ فَقَتَلَهُ . فَأَخْرَجُوا وَلَا يَكُونُ هَذَا لَكُمْ مَثَلًا .

إِنْ رَجُلًا وَضَعُ سَلَّاً وَجَعَلَ طَعَامَهُ فِيهِ فَأَتَى جَرْذَانَ فَخَرَقُوا سَلَّهُ فَدَخَلُوا فِيهِ فَأَرَادَ سَدَّهُ فَقَبِيلَ لَهُ لَا تَفْعَلْ إِذَا يَخْرُقُنَّهُ ، وَلَكِنَّ انْقَبَ بِجَيَالِهِ ثُمَّ اجْعَلَ فِيهِ قَصْبَةً مَجْوَفَةً فَإِذَا جَاءَتِ الْجَرَذَانَ دَخَلُوا مِنَ الْقَصْبَةِ وَخَرَجُوا مِنْهَا فَكَلَمَا طَلَعَ عَلَيْكُمْ جُرَذٌ قُتِلَتُهُ . وَقَدْ سَدَدَتِ عَلَيْكُمْ فَإِيَاكُمْ أَنْ تَقْتَحِمُوا الْقَصْبَةَ فَلَا يَخْرُجُ مِنْهَا أَحَدٌ إِلَّا قُتُلَ .

وما دعاكم إلى ما صنعتم ولا أرى عدداً ولا عدداً !؟

لم يخلق الله خلقاً أوجع من ذباب ولا أضر أما خلأكم يا معاشر العرب ، ترون
الهلاك ويدليكم فيه الطمع . وسائل ضرب لكم مثلكم . إن الذباب إذا رأى العسل
طار وقال من يوصلني إليه وله در همان حتى يدخله لا ينهنه أحد إلا عصاه ، فإذا
دخله غرق ونشب وقال من يخرجني وله أربعة دراهم .

وقد علمت أن الذي حللكم على هذا الحرص والطمع والجهد فارجعوا عن
عماكم هذا وامتاروا حاجتكم ولكم العود كلما احتجتم ، فإني لا أشتري أن
أقتل لكم » .

فرغ رستم من ثورته العقيمة وأجابه ^(١) الوفد فقال قائلهم :

« أما ما ذكرتم من سوء حالنا فيما مضى وانتشار أمرنا [عدم اجتماعه] فلما
تبلغ كنهه . يموت الميت منا إلى النار ويبقى الباقى منا في بؤس ، في بينما نحن في
أسوأ ذلك بعث الله فينا رسولاً من أنفسنا إلى الإنس والجن ، رحمة رحم بها من
أراد رحته ، ونفقة ينتقم بها من رد كرامته . فبدأ بنا قبيلة قبيلة فلم يكن أحد
أشد عليه ولا أشد إنكاراً لما جاء به ولا أجهد على قتله ورد الذي جاء به من
قومه ثم الذين يلوفهم ، حتى طابقناه على ذلك كلنا ، فنصبنا له جميعاً وهو وحده
فرد ليس معه إلا الله تعالى فأعطي الظفر علينا ، فدخل بعضنا طوعاً وبعضنا
كرهاً ثم عرفنا جميعاً الحق والصدق لما أثنا به من الآيات المعجزة ، وكان ما أثنا
به من عند ربنا جهاد الأدنى فالأدنى فسرنا بذلك فيما بيننا نرى أن الذي قال
لنا ووعدنا لا يخترم عنه ولا ينقض حتى اجتمعت العرب على هذا ، وكانوا من
اختلاف الرأي فيما لا يطيق الخلاق تأليفهم .

نعم أتيناكم بأمر ربنا نجاهد في سبيله وتنصفونه لأمره ونتنجز موعوده
وندعوكم إلى الإسلام وحكمه ، فإن أجبتمونا تركناكم ورجعنا وخلفنا فيكم
كتاب الله ، وإن أبيتم لم يحل لنا إلا أن نعاتيكم القتال أو تقتدوا بالجزي

(١) الطبرى ٣ / ٥٢٨ س ش عن محمد وطلحة بأسنادها وزياد معها .

[الحزية] . فإن فعلتم وإلا فإن الله قد أورثنا أرضكم وأبناءكم وأموالكم ، فاقبلاوا نصيحتنا ، فوالله لإسلامكم أحب اليها من غناهاكم ، ولقتالكم بعدُ أحب اليها من صلحكم .

وأما ما ذكرت من رثائنا وقتلتنا فإن أدانتنا الطاعة وقتلتنا الصبر . وأما ما ضربتم لنا الأمثال ، فإنكم ضربتم للرجال والأمور الجسام وللجد الهمز . ولكننا سنضرب مثلكم . إنما مثلكم مثل رجل غرس أرضاً واختار لها الشجر والحب وأجرى إليها الأنهار وزينها بالقصور ، وأقام فيها فلاحين يسكنون قصورها ويقومون على جناتها ، فخلال الفلاحون في القصور على ما لا يحب وفي الجنان بمثل ذلك ، فأطال نظرتهم فلما لم يستحبوا من تلقاء أنفسهم استعتبرهم فكابروه ، فدعوا إليها غيرهم وأخرجتهم منها ، فإن ذهباً عنها تخطفهم الناس وإن أقاموا فيها صاروا خولاً لهؤلاء يملكونهم ولا يملكون عليهم ، فيسومونهم الحسق أبداً .

ووالله إن لو لم يكن ما نقول لك حقاً، ولم يكن إلا الدنيا لما كان عما ضررنا به من لذيد عيشكم ورأينا من زبر جكم من صبر ولقارعناكم حتى نغلبكم عليه».

نهاية المفاوضات

إلى هنا وقد جاءت هذه المفاوضات إلى نهايتها . وفي الواقع أنه لم يكن لأي مراقب أن يتوقع لها منذ البداية غير هذه النهاية .

قال رستم : « أتعبرون علينا أم نعبر اليكم ؟ »
قالوا : « بل اعبروا علينا » .

وخرجوا من عنده عشياً ، فأرسل سعد إلى وحدات المسلمين أن يقفوا موقفهم . وأرسل إلى رستم يسمح له بالعبور ويقول له :
« شأنكم والعبور » .

وبدأت جموع الفرس تتجه نحو القنطرة ليعبرواها ، وكان سعد في مقامه الطويل بموقع القادسية قد اعترض أن يمتحن في يده بهذه القنطرة لأهيتها البالغة . فهي مخرج سهل للمجوس حين تدور عليهم الدائرة لم يشاً أن يتربكها لهم حتى لا يتأخّر لهذا الجيش الضخم أن ينسحب إلى موقع آخر فيصمد في معارك تالية . المطلوب إبادة هذا الجيش - أو إبادة أكثر ما يمكن منه - لا مجرد دفعه إلى الوراء . الهدف تحطيم القوة العسكرية لفارس لاكتساب قطعة من الأرض ، فإذا أبى هذا الجيش افتحت الأرض من ورائه ، أما اكتساب الأرض مع بقاء الجيش سليماً فإنه يكر في هجمات مضادة مرة بعد مرة ما دام متاسكاً سليماً كذلك رسم عمر خطته ، ولقد مربنا فيما كتب إلى سعد « ... ثم الزم مكانك

فلا تبرحه فإنهم إذا أحسوك أنقضتهم يجمعهم الذي يأتي على خيلهم ورجلهم وحدهم وجدهم فإن أنت صبرت لعدوك واحتسبت لقتاله ونويت الأمانة رجوت أن تنصروا عليهم ثم لا يجتمع لكم مثلهم أبداً إلا أن يجتمعوا وليس معهم قلوبهم ... » وفي رسالة أخرى « ... فإن منحك الله أدبارهم فلا تنزع عنهم حتى تقتتحم عليهم المدائن فإنه خرابها إن شاء الله ». هذه عبرية الحرب لل الخليفة ومن واجب قائد الميدان « الفيلد مارشال ». أن ينفذ هذا ويتحققه ، وإذا فلن يترك لهم القنطرة وقد استحوذ عليها .

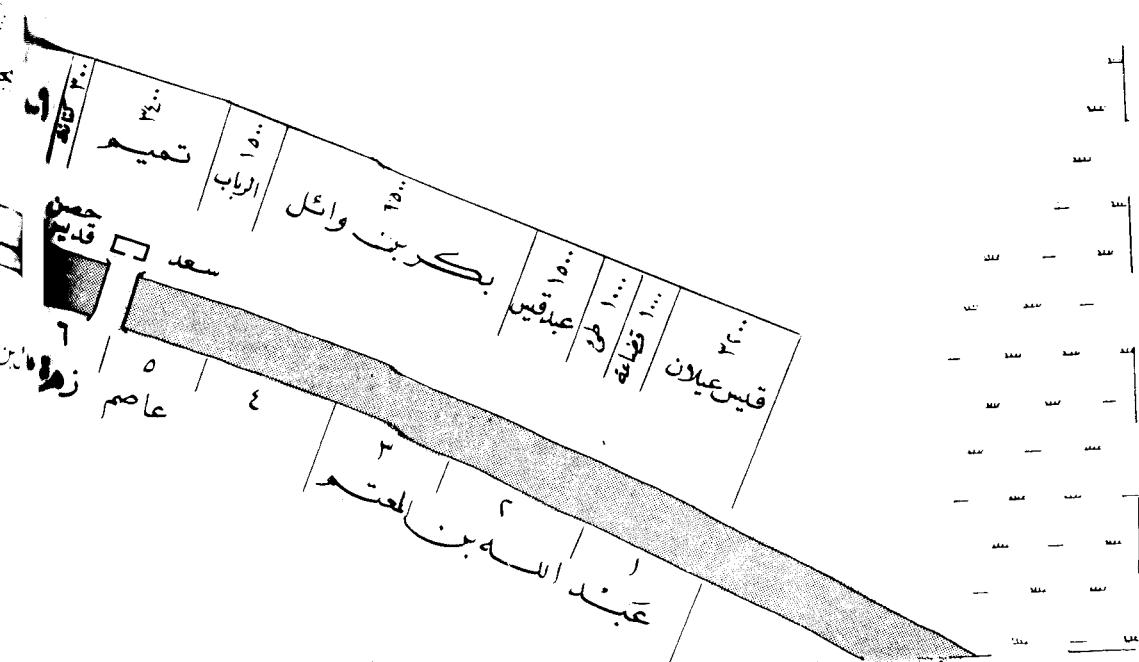
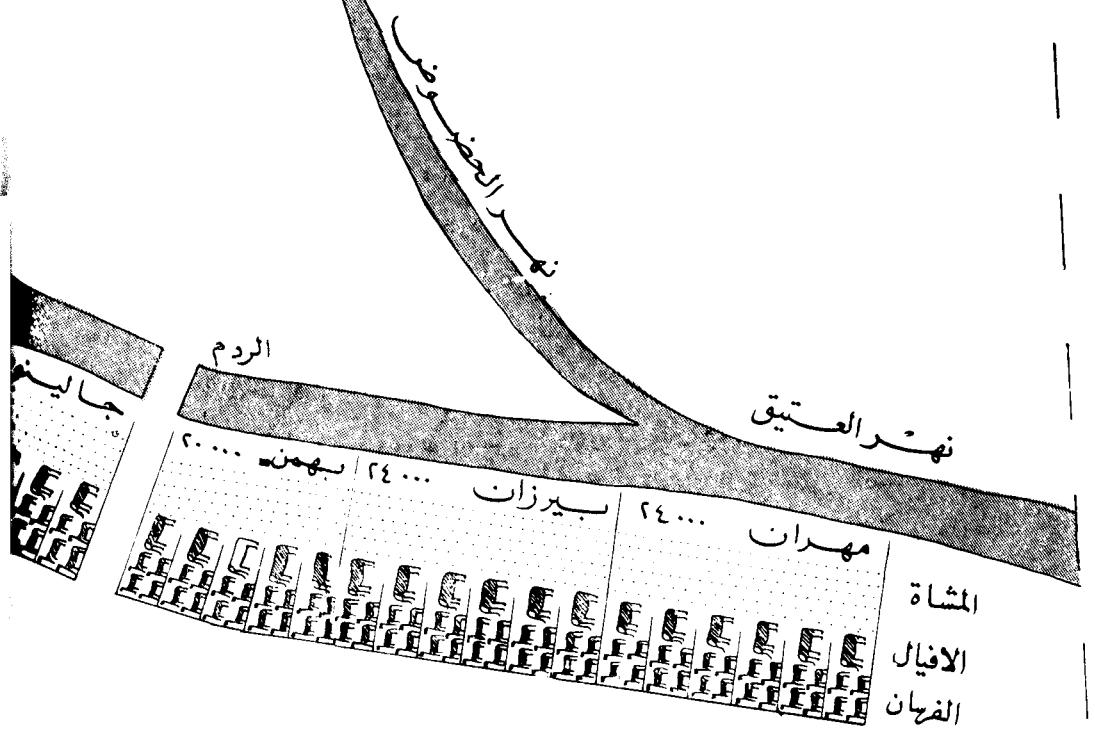
فأرسل سعد إلى العجم ردأ على إرادتهم عبور القنطرة يقول : « لا ولا كرامة ، أما شيء قد غلبناكم عليه فلن نرده عليكم ، تتكلفوا معبراً غير القنطرة » .

فبات المحسون يردمون العتيق^(١) بالزرع وبالتراب وبالقصب [البوص والغاب والاكياك] ويزادع رواحلهم وأمتعتهم طوال الليل حتى الصباح فجعلوه طريقاً واسعاً منبسطاً واستئتم لهم بعدهما ارتفاع النهر من اليوم التالي . كان ذلك أمام قديس قصر القادسية وحصنها .

(١) يبدو أن النهر كان أشبه بخندق حال من الماء كعادة أنهى تلك المنطقة في الصيف .
الطبرى ٣ / ٥٢٩ من ش من عن محمد عن عبيد الله عن نافع وعن الحكيم .

١: ١٠٠٠ متر = ١ سم

معركة القادسيّة (١)



نحو العتائق

۱۳۸۱...
نمایان

١٠٠	فتن
٧٦	العنان
٦٦	الثورة
٥٣	العناد
٤٣	العناد
٣٣	العناد
٢٣	العناد
١٣	العناد
٠٣	العناد

دوقت سایبور
١٠ / ٩ / ٨
شرجیل بن اسماعیل

أوْهَاث

الخميس ١٣ شعبان ١٩٥٥ - سبتمبر (أيلول) ٦٣٦ م

عِبُود

نام رستم وراح الأتباع من جيشه يردمون العتيق . ومع أصوات المعاول أغفى رستم فعاوذه أحلامه ورأى ذلك الحلم المتكرر . رأى ملكاً ينزل من السماء فيأخذ قسيّ أصحابه فيختم عليها ثم يصعد بها إلى السماء . فاستيقظ مهوماً بخزوناً ، ودعا خاصته فقص عليهم ما رأى ، ثم انفعل فقال :

« إن الله ليعظنا لو أن فارس تركوني أتعظ ! أما ترون النصر قد رفع عنا وترون الريح مع عدونا ، وأنا لا نقوم لهم في فعل ولا منطق ، ثم هم يريدون مغابلة بالجبرية [بالإرغام] . »

ثم شرعوا يعبرون العتيق باتفاقهم حسب تعبتهم فرقة وراء فرقة ، كلما عبرت فرقه أخذت ^(١) مواقعها وصفت صفوتها .

وألقى رستم جانباً هواجسه وتشاؤمه وعمل بالواجب عليه من الظهور بما يليق بقائد شجاع يستعرض لياقته وفروسيته ، فأمر بفرسه فأسرج وأتي به إليه فوثب فوقه فإذا هو عليه لم يمسه ولم يضع رجله في الركاب .

ثم قال : « غداً ندقهم » .

قال له رجل : « إن شاء الله » .

قال رستم بكل كفره : « وإن لم يشاً ^(٢) ! إنما ضغا الثعلب حين مات الأسد

(١) الطبرى ٣ / ٥٢٩ من ش ش عن محمد وطلحة وزياد وعمرو بأسنادهم .

(٢) « ٣ / ٥٢٩ « « عن الأعشى .

— يذكرهم بوت كسرى برويز — قد خشيت أن تكون هذه سنة القرود .
 ونصب لرستم سرير أمام العتيق وضرب عليه طيارة [نظنها سرادةً مفتوحةً]
 أو مظلة تصدق الريح أطراها] وجلس رستم على هذا السرير يباشر إشرافه على
 تعبئة جيشه ووضع فرقه في أماكنها وصف صفوفها . ونصبت إلى جوار رستم
 على يمين سريره راية فارس الكبدي « درفش كابيان » على خشب موصولة
 طوال ^(١) . كان مع رستم في هذا الحشد ثلاثة وثلاثون فيلاً جعل في القلب ثانية
 عشر فيلاً منها ، عليها الصناديق الخشبية فيها الرجال . وجعل في الميمنة ثانية
 فيلاً وفي الميسرة سبعة وكلها عليها الصناديق فيها الرجال . كان الميدان محدوداً
 بحدود تحصره وليس فيه مجال لمقادمة ومؤخرة . كان هرمزان على ميمنة رستم
 فوضع قوات المقدمة وعليها جالوس بينها . وكان مهران على ميسيرته فوضع
 رستم بيرزان وقواته من الطلائع بينها . وخشى رستم أن يترك لل المسلمين فرصة
 الالتفاف من وراء العتيق فوضع خيلاً من وراء القنطرة حيث كانت خيل المسلمين
 أمامها فبقيت القنطرة بين خيلين من خيول المسلمين والجوس كل منها تغلقها على
 الطرف الآخر .

سلاح الاشارة

أما عن الاتصال بالمداين فقد وضع له يزدجرد نظاماً جديداً مستحدثاً بدلاً
 من نظام البريد التقليدي ، وقد بدأ ذلك من يوم بُعث رستم من المداين ، فقد
 وضع رجلاً على باب الإيوان وأمره بلزم مكانه ذاك فلا يبرحه ، ووضع رجلاً آخر
 من الدار حيث يسمعه الرجل الأول الذي على باب الإيوان ، وثالثاً خارج الدار
 حيث يسمعه الرجل الثاني وهكذا على كل « دعوة » [وهي مسافة السمع] .
 فلما نزل رستم بسراط قال الذي بها « قد نزل » فأعادها الذي يليه ليبلغ بها
 الذي بعده وهكذا حتى قالها الذي على باب الإيوان . وهكذا كان كلما نزل

(١) ذكرناها بإفاضة في الجزء الأول من « الطريق إلى المداين » ، ص ٩٣ ، فصل الأعلام والروايات من باب عدة الحرب .

رسم أو ارتحل أو حدث أمر صاح به الذي عنده ثم الذي يليه حتى تبلغ من بباب الإيوان ، فنظم ما بين العتيق والمدائن رجالا وترك نظام البريد . هذه الطريقة التي كان عليها أن تغطي مسافة تبلغ حوالي ٢٢٠ كيلومتراً بين القادسية والمدائن تقديرنا أنها كانت تحتاج إلى حوالي ٢٠٠٠ [ألفين] من الرجال ذوي السمع الحاد والعقائير العالية ، ونقدر أن الجملة المكونة من أربع كلمات كانت تصل من القادسية إلى المدائن في حوالي أربع ساعات في حين كان يصل البريد في حوالي ثلاثة أيام .

هذا في حين كان سعد يعتمد في اتصاله بعمر على أن يبعث إليه كل يوم بريداً . وكان الناس في كافة شبه الجزيرة فيما بين العذيب إلى عدن وفيما بين الأبلة وأيلة [العقبة] يتبعون باهتمام بالغ ما يكون من أمر القادسية حتى أن كان الرجل ليزيد الأمر فيقول لا أنظر فيه حتى أنظر ما يكون من أمر القادسية^(١) . وكان عمر يخرج كل يوم حين يصبح حتى ينتصف النهار يستخبر الركبات عن أهل القادسية^(٢) .

مصادف

وأخذ المسلمون مصافهم فأدخل سعد المقدمة وعليها زهرة بن حوية التميمي ، وكذلك المؤخرة وعليها عاصم بن عمرو التميمي في الوسط بين ميمنة عبد الله بن المعتن وبين ميسرة شرحبيل بن السمط . وكل الطرّاد [المبارزة] إلى صاحب الطلائع سواد بن مالك الأسدية ، وشغل المسافات والفجوات فخلط بين الجندي في القلب والجنوب . ونادي منادي سعد في جيشه :

« ألا إن الحسد لا يحل إلا على الجهاد في أمر الله يا أهلا الناس ، فتحاسدوا وتعابروا على الجهاد » .

(١) الطبرى / ٣ / ٥٨٣ س ش من عن محمد والملقب وطلحة .

(٢) « « « « عن مجالة بن سعيد .

رأينا فيما سبق أهمية القائد العام في المعركة . ولقد اعتاد المسلمين دائمًا أن يحدوه بينهم على صهوة جواده كواحد منهم . كذلك كان خالد و كذلك كان المثنى والعقاع و عاصم والأقرع وغيرهم . أما اليوم فقد تحالفت الأمراض والأدواء على سعد فأصابته بعرق النسا^(١) و يحبوب و دمامل منعه من الركوب بل حتى من الجلوس فلم يستطع أن يركب ولا أن يجلس فاعتل القصر وأكب من فوقه على وسادة في صدره يشرف على الناس ، وأسفل منه في الميدان خليفة خالد بن عرفة يرمي إليه من أعلى بالرفاع فيها أمره و نهيه . وكان آخر صفوف المسلمين إلى جانب القصر^(٢) .

شغب

والفرس في مصافهم ، وال المسلمين في ضفوفهم ، ومن الجائز أن تبدأ المعركة في أي لحظة بأمر يصدره قائد أي من الفريقين اختلف الناس على خالد بن عرفة وكان من شعب عليه واعتراض قوم من وجوه الناس .
ورأى سعد أن الأمر لا يحتمل هذا وأنه يحتاج إلى حزم .
فقال : « أحملوني وأشرفوا بي على الناس ».

(١) عرق النسا مرض يطلق على إصابة عصب الطرف السفلي الأسفلي Siatic nerve وهو يتكون من الأعصاب القطنية والمعجزية التي تبدأ في أسفل العمود الفقري وتتجمع وتكون العصب الذي يتد لبعض الوقت على جانب العمود الفقري في أعلى الحوض ثم يتوجه خلف عظمة الحوض ويأخذ مجراه خلف الفخذ وخلف بطن الرجل ثم إلى أصابع القدم . فإذا تهاب هذا العصب فإن المريض به يحس بالم شديد يبدأ من أسفل العمود الفقري في الظهر إلى خلف الفخذ والساقي إلى أصابع القدم . ويزداد هذا الألم بالحركة والمشي ويقل عند النوم على الظهر دون حركة (العربي ١٣٥ - فبراير ١٩٧٠) .

(٢) الطبرى ٣ / ٥٣٠ من شمس عن محمد وطلحة وزياد ببياناتهم .

٣ / ٥٣١ « » عن القاسم بن الوليد الهمداني عن أبيه عن أبي نمار .

٣ / ٥٧٣ عن ابن حميد عن سلمة عن ابن اسحق عن وهب بن كيسان عن عبد الله بن الزبير .

فارتقوا به فأكب على وجهه مطعماً عليهم وصفهم أسل حائط قد ينس .
فخطبهم وقال : « .. أَمَّا وَاللَّهُ لَوْلَا أَنْ عَدُوكُمْ بِخُصُورِكُمْ لَجَعَلْتُكُمْ نَكَالاً لَغَيْرِكُمْ » .

ثم أمر بالشاغبين فحبسو ، وكان من حبس أبو محبج الثقي ، حبسهم سعد وقيدهم في القصر .

فقال جرير بن عبد الله البجلي يؤازر سعداً : « أَمَا إِنِّي بِإِيمَانِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَنْ أَسْعَى وَأَطْبِعَ لِمَنْ وَلَاهُ اللَّهُ الْأَمْرُ وَإِنْ كَانَ عَبْدًا حَبْشِيًّا » .
وقال سعد : « وَاللَّهِ لَا يَعُودُ أَحَدٌ بَعْدَهَا يَحْبِسُ الْمُسْلِمِينَ عَنْ عَدُوكُمْ وَيَشَاغِلُهُمْ وَهُمْ بِإِزْاْهِمِ إِلَّا سَنَتَ سَنَتَ يَؤْخُذُهَا مِنْ بَعْدِي » .

سكن الناس بعد ذلك ولزموا الطاعة فخطبهم سعد . حمد الله وأثنى عليه

ثم قال : « إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ لَا شَرِيكَ لَهُ فِي الْمُلْكِ وَلَيْسَ لِقُولِهِ خَلْفٌ .
قَالَ جَلَ ثَنَاؤُهُ ، وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرْثَا عِبَادِي الصالحون .

إِنَّ هَذَا مِيراثُكُمْ وَمَوْعِدُ رَبِّكُمْ وَقَدْ أَبَاحَهَا لَكُمْ مِنْذِ ثَلَاثَ حِجَّاجَ ، فَأَنْتُمْ تَطْعَمُونَ مِنْهَا وَتَأْكُلُونَ مِنْهَا وَتَقْتُلُونَ أَهْلَهَا وَتَجْبِيُّونَهُمْ وَتَسْبُوُهُمْ إِلَى هَذَا الْيَوْمِ بِمَا نَالَ مِنْهُمْ أَصْحَابُ الْأَيَّامِ مِنْكُمْ .

وَقَدْ جَاءَكُمْ مِنْهُمْ هَذَا الْجَمْعُ ، وَأَنْتُمْ وَجْهُ الْعَرَبِ وَأَعْيَانُهُمْ وَخِيَارُ كُلِّ قَبْيلَةٍ وَعِزٌّ مِنْ وَرَاءِكُمْ ، فَإِنْ تَزَمَّدُوا فِي الدُّنْيَا وَتَرْغُبُوا فِي الْآخِرَةِ جَمْعُ اللَّهِ لَكُمُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَا يَقْرَبُ ذَلِكَ أَحَدًا إِلَى أَجْلِهِ ، وَإِنْ تَفَشُّوا وَتَهْنُوا وَتَضَعُفُوا تَذَهَّبُ رِيحُكُمْ وَتَوَبُّقُوا ^(١) آخِرَتُكُمْ » .

وَكَتَبَ سعد إِلَى الرَايَاتِ :
« إِنِّي قَدْ اسْتَخَلَفْتُ عَلَيْكُمْ خَالِدَ بْنَ عُرْفُوْطَةَ . وَلَيْسَ يَنْعَنِي أَنْ أَكُونْ

(١) الطبرى ٣ / ٥٣١ السري عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة وزياد بإسنادهم .

مكانه إلا وجيئي الذي يعودني وما بي من الجبون . [الجبون والدمامل] .
فإنني مكب على وجهي وشخصي لكم باد فاسمعوا وأطيعوا فإنه إنما يأمركم
بأمرى ويعمل برأيي » .

وقرىء هذا المنشور على المسلمين فزادهم خيراً وانتهوا إلى رأيه وقبلوا منه
وتحانوا على السمع والطاعة وأجمعوا على عندر سعد والرضا بما صنع .

الحماس للمعركة

ورجع أمير كل جند إلى موقفه من أصحابه وخطب أمير كل قوم أصحابه
وتحاصوا على الطاعة والصبر وتواصوا ^(١) .

قام عاصم بن عمرو ^(٢) في المجردة فقال : « إن هذه بلاد قد أحل الله لكم
أهلها وأنتم تنالون منهم منذ ثلاث سنين ما لا ينالون منكم وأنتم الأعلون والله
معكم إن صبرتم وصدقتموهم الضرب والطعن فلهم أموالهم ونسائهم
وابناؤهم وبладهم .

وإن خرتم وفشلتم والله لكم من ذلك جار وحافظ لم يبق هذا الجم
منكم باقية مخافة أن تعودوا عليهم بعائدة هلاك .

الله الله .. اذكروا الأيام وما منحكم الله فيها .

أولاً ترون أن الأرض وراءكم بسبعين قفار ليس فيها خير [غطاء] ولا
وزر يعقل إليه ولا يتعن به ؟ اجعلوا الآخرة همكم » .

عبر المحسوس نهر العتيق وعبر رستم ثم سار فنزل بين الحصن والعتيق وقد
وافقهم ومؤذن سعد يؤذن لصلاة الغداة . وقد كان رستم حين نزل النجف بعث
عيناً منهم إلى معسكر المسلمين بالقادسية فانغمس فيهم كواحد منهم - ولا بد
أن ذلك العين كان من عرب العراق ، ولم يكن من الفرس - فرأهم يستاكون
عند كل صلاة ثم يصلون فيفترقون إلى مواقفهم ، فرجع إليه فأخبره بخبرهم وما

(١) الطبرى ٣ / ٥٣٥ السري عن شعيب عن سيف عن حلام عن مسعود .

(٢) « » « » « » عن محمد وطلحة وزياد بأسنادهم .

رأى من سيرتهم حتى سأله ما طعامهم ، فقال : « مكثت فيهم ليلة ، لا والله ما رأيت أحداً منهم يأكل شيئاً إلا أن يمسوا عيدانًا لهم حين يمسون وحين ينامون وقبيل أن يصبحوا » .

ف لما أذن مؤذن الغداة رأهم رستم يستاكون فنادى في الجوس أن يركبوا .
فقيل له : « ولم ؟ »

قال : « أما ترون إلى عدوكم قد نودي فيه فتحشحوا [تحركوا] لكم » .
قال عينه ذلك : « إنما تخشحهم هذا للصلة » .

فقال رستم : « باد شهانَ مرَ اندرَ [ويعنيها أقاني صوت بالغداة – يقصد الأذان] أكل عمرَ كبدي أحرق اللهَ كبده . وإنما هو عمر الذي يكلم الكلاب فيعلمهم العقل ، علم هؤلاء حتى ^(١) علوا » .

وأرسل سعد إلى الذين تنتهي إليهم آراء الناس مثل النفر الذين أتوا رستم :
المغيرة بن شعبة وحذيفة بن حصن وبسر بن أبي رهم وعرفجة بن هرثمة وربعي بن عامر وقرفة بن زاهر ومذعور بن عدي والمصارب بن يزيد ومعبد بن مرة ، وإلى أصحاب النجدة مثل طليحة بن خويلد الأسدية وقيس بن هبيرة الأسدية وغالب ابن عبد الله الليثي وعمرو بن معدى كرب الزبيدي وأمثالهم ، وإلى الشعراء مثل الشماخ بن ضرار والخطيبة وأوس بن مغراة وعبيدة بن الطبيب ، وإلى ذوي الفضل منهم من سائر الأصناف فأرسلهم إلى المسلمين في مواقفهم وقال لهم :
« انطلقوا فقوموا في الناس بما يحق عليكم ويحق عليهم عند مواطن البأس فإذاكم من العرب بالمكان الذي أنت به ، وأنتم شعراء العرب وخطباؤهم وذوو رأيهم ونجدتهم وسادتهم فسيروا في الناس فذكروهم وحرضوهم على القتال » .
فساروا في المسلمين بما كفوا به .

قال قيس بن هبيرة الأسدية : « أهيا الناس احمدوا الله على ما هداكم له وأبلاكم

(١) الطبرى ٣ / ٥٣٢ س ش س عن حلام عن مسعود .
« عن النضر بن الرفيل . ٣ / ٥٣٢ »

يَزِدْكُمْ ، وَادْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَارْغِبُوا إِلَيْهِ فِي عَادَاتِهِ فَإِنَّ الْجَنَّةَ أَوْ الْفَنِيمَةَ أَمَامَكُمْ ، وَإِنَّهُ لَيْسَ وَرَاءَ هَذَا الْقَصْرِ إِلَّا الْعَرَاءُ وَالْأَرْضُ الْقَفْرُ وَالظَّرَابُ^(١) الْخُشْنُ وَالْفَلَوَاتُ الَّتِي لَا يَقْطُعُهَا الْأَدْلَةُ .

وقال غالب بن عبد الله : « أَيُّهَا النَّاسُ احْمَدُوا اللَّهَ عَلَى مَا أَبْلَكُمْ وَسُلُوهُ يَزِدْكُمْ وَادْعُوهُ يَبْحِبُكُمْ ، يَا مَعَاشِرَ مَعَدَّ مَا عَلَّتُكُمُ الْيَوْمُ وَأَنْتُمْ فِي حَصُونَكُمْ [يُعْنِي الْخَيْلَ] وَمَعْكُمْ مَنْ لَا يَعْصِيَكُمْ [يُعْنِي السَّيْوِفَ] ، وَادْكُرُوا حَدِيثَ النَّاسِ فِي غَدٍ فَإِنَّهُ بِكُمْ غَدًّا يُبَدِّأُ عَنْهُ ، وَبَنْ بَعْدِكُمْ يُشَتَّتِي » .

وقال ابن الْهُذَيْلِ الْأَسْدِي : « يَا مَعَاشِرَ مَعَدَّ اجْعَلُوا حَصُونَكُمْ السَّيْوِفَ وَكُوْنُوا عَلَيْهَا كَأْسُودَ الْأَجْمَ وَتَرْبِدُوا لَهُمْ تَرْبِدَ النَّمُورَ ، وَادْرُعُوا الْعَجَاجَ^(٢) . وَنَقُوا بِاللَّهِ ، وَغَضُوا الْأَبْصَارَ ، فَإِذَا كَلَّتِ السَّيْوِفُ فَإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ ، فَأَرْسَلُوا عَلَيْهِمُ الْجَنَادِلَ [الْمَحْجَارَةَ] فَإِنَّهَا يَؤْذِنُ لَهَا فِيمَا لَا يَؤْذِنُ لِلْحَدِيدِ فِيهِ » .

وقال بسر بن أبي رهم الجُهْنَيِّ : « احْمَدُوا اللَّهَ وَصَدَقُوا قَوْلَكُمْ بِفَعْلِ فَقَدْ حَمَدْتُمُ اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ لَهُ وَوَحْدَتُمُوهُ وَلَا إِلَهَ غَيْرُهُ وَكَبَرْتُمُوهُ وَأَمْتَمْتُمْ بَنْبَيْهِ وَرَسْلَهُ فَلَا تَعْتَنُ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ، وَلَا يَكُونُ شَيْءٌ بِأَهْوَانِ عَلَيْكُمْ مِنَ الدُّنْيَا إِنَّهَا تَأْتِي مِنْ تَهَاوُنِهَا وَلَا تَمْلِئُوا إِلَيْهَا فَتَهْرُبُ مِنْكُمْ لِتَعْمَلُ بِكُمْ وَانْصُرُوا اللَّهُ يَنْصُرُكُمْ » .

وقال عاصم : « يَا مَعَاشِرَ الْعَرَبِ انْكُمْ أَعْيَانُ الْعَرَبِ وَقَدْ صَدَّتُمُ الْأَعْيَانَ مِنَ الْعَجَمِ ، وَإِنَّمَا تَخَاطِرُونَ بِالْجَنَّةِ وَتَخَاطِرُونَ^(٣) بِالْدُّنْيَا ، فَلَا يَكُونُ عَلَى دُنْيَا هُمْ أَحْوَطُ مِنْكُمْ عَلَى آخِرَتِكُمْ . لَا تَحْدِثُوا الْيَوْمَ أَمْرًا تَكُونُونَ بِهِ شَيْئًا عَلَى الْعَرَبِ غَدًّا . » .

وقال ربيع بن البلاد السعدي : « يَا مَعَاشِرَ الْعَرَبِ قَاتَلُوا لِلَّدِينِ وَالْدُّنْيَا

(١) ظَرَابٌ جَمْعُ ظَرَبٍ وَهِيَ الرَّابِيَّةُ الصَّغِيرَةُ . وَالْخُشْنُ التَّلُّ .

(٢) الْعَجَاجُ الْمَبَارُ ، وَالْمَدْخَانُ أَيْضًا . وَالْعَجَاجُ كُلُّ ذِي صَوْتٍ مِنْ قَوْسٍ وَرِيحٍ وَخَوْمَةٍ (مُخْتَارُ الصَّحَاجِ) .

(٣) الْحَطَرُ السَّبِقُ الَّذِي يَتَرَاهُنَّ عَلَيْهِ - مُخْتَارُ الصَّحَاجِ . يَعْنِي تَسَابِقُونَ عَلَى الْجَنَّةِ وَيَسَابِقُونَ عَلَى الدُّنْيَا . وَصَدَّتُمْ : قَصْدَتُمْ .

وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السهوات والأرض أعدت للمتقين . وإن عظيم الشيطان عليكم الأمر فاذكروا الأخبار عنكم بالمواسم ما دام للأخبار أهل » .

وقال ربعي بن عامر : « إن الله قد هداكم للإسلام وجمعكم به وأراكم الزيادة وفي الصبر الراحة » فعدوا أنفسكم الصبر تعتادوه ولا تعودوها الجزع فتعتادوه ». وقام كلهم بمثل هذا الكلام وتوافق المسلمون وتعاهدوا واهتاجوا لكل ما كان ينبغي لهم . وفعل أهل فارس فيما بينهم مثل ذلك وتعاهدوا وتوافقوا واقترنوا بالسلسل . وكان المقتربون في صفوف الفرس ثلاثين ألفاً .

أوضاع الجيشين

وقد نظم رstem جيشه في الميدان كالتالي :

١٢٠٠٠ مقاتل [بصرف النظر عن التبع] معهم ٣٠ فيلا [بصرف النظر عن ثلاثة أفيال للملوك لا تقاتل] ، مع كل فيل ٤٠٠٠ مقاتل ^(١) من المشاة والفرسان . ذهبنا فيما سبق إلى أن نصفهم كان فرساناً . وكان آخر صفهم على حافة العتيق ، المشاة في الخلف والأفيال أمامها وأمام الأفيال الفرسان . ثم كانت تبعتهم كاً أوضحتنا في الخريطة (ص ١٢٠) ، وهي كالتالي :

هرمزان على اليمونة - ٧ أفيال ١٤٠٠٠ فرسان ١٤٠٠٠ مشاة - جند الأهواز .

جالتوس على يساره - ٦ أفيال ١٢٠٠٠ فرسان ١٢٠٠٠ مشاة - جند الباب .
بهمن في الوسط - ٥ أفيال ١٠٠٠٠ فرسان ١٠٠٠٠ مشاة - جند همدان .
بيرزان على يساره - ٦ أفيال ١٢٠٠٠ فرسان ١٢٠٠٠ مشاة - جند نهاوند وسجستان .

(١) الطبرى ٣٥ / ٣ من شىء عن مجالد عن الشعبي .
فتح البلدان ٦٣٤ .

مهران على الميسرة - ٦ أفيال ١٢٠٠٠ فرسان ١٢٠٠٠ مشاة - جند الري والجبل .

وكان سرير رستم طيارته وإلى يمينه راية فارس الكبرى (درفش كابيان) يقع في قطاع بهمن جاذوبه .

وكان صف المسلمين مع حائط قديس ، والخندق ^(١) من ورائهم ، وكانت تعبيتهم كأو許حناها في الخريطة (ص ١٢٠) ^(٢) . وكان عامة ما يتقوون به البراذع - براذع الرجال - وقد أعرضوا فيها الجريدة يتربون بها عن أنفسهم ، وعصب من لم يكن له وقارية رؤوسهم ^(٣) بالأنساع [الجلد] أنساع الرجال ، يطوي الرجل نساع رحله على رأسه يتقي به ، والفرس عليهم دروع الحديد واليلامق [اليلمق: ثوب محشو] .

أدبي تكبيرات

وأرسل سعد أمراً إلى جيشه « إلزموا مواقفكم . لا تحر كوا شيئاً حتى تصلوا الظهر ، فإذا صلتم الظهر فإني مكثت تكبيره فكبروا وشدوا شسوع نع لكم واستعدوا واعلموا أن التكبير لم يعطه أحد قبلكم واعلموا أنما أعطيتكم تأييداً لكم .

إذا كبرت الثانية فكبروا وتهيؤوا ولتسنم عدكم .

إذا كبرت الثالثة فكبروا ولينشط فرسانكم الناس ليبرزوا وليطاردوا .

إذا كبرت الرابعة فشدوا النواجد على الأضراس واحملوا فارحفوا جميعاً حتى تخالطوا عدوكم وقولوا لا حول ولا قوة إلا بالله » ^(٤) .

(١) الطبرى ٣ / ٥٣٠ س ش س عن حلام عن مسعود بن خراش .

(٢) هذه الخريطة (ص ١٢٠) سنوضح في الباب الأخير أنس رسماً .

(٣) الطبرى ٣ / ٥٥٣ س ش س عن عمرو بن الريان عن اسماعيل بن محمد .

(٤) الطبرى ٣ / ٥٣٥ س ش س عن محمد وطلحة وزياد بإسنادهم .

« « « عن عمرو بن الريان عن مصعب بن سعد .

« « « عن ذكرياء عن أبي اسحق .

وكان عمر قد ألزم سعداً غلاماً وكان من القراء . فلما صلوا الظهر أمر سعد الغلام أن يقرأ سورة الجهاد - وهي سورة الأنفال - وكان المسلمون يتعلمونها كلهم . فقرأ على أقرب الكتائب إليه فقرئت في كل كتبية . فهشت قلوب الناس وعيونهم وعرفوا السكينة مع قراءتها ^(١) .

الطراد «المبارزة»

فلما فرغ القراء كَبِير سعد من فوق القصر فكَبِير الأقربون إليه الذين يلوونه وكبر الناس بتكبير بعض فتحشحش الناس [تحر كوا حاما].

ثم كبر الثانية فاستم الناس ووقفوا مستعدين .

ثم كبر الثالثة فبز أهل النجدة من الفرسان فأتشبوا القتال ، وخرج لهم فرسان من الجحوس فتباذلوا الطعنات والضربات . وكان أول من قتل أعمجياً يوم القادسية ربعة ^(٢) بن عثمان بن ربعة أحد بنى نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن ابن منصور [يعني كان في الميمنة] .

وخرج أمام صفوفبني أسد ، غالب بن عبد الله الأسدية وهو ينشد :

قد عَلِمْتُ واردةً المصالح ذات اللَّبَانِ وَالْبَنَانِ الْوَاضِعِ
أَنِّي سَمَّاًمُ الْبَطْلِ الْمُشَايِحِ وَفَارِجُ الْأَمْرِ الْمُهْمَ الْفَادِحِ ^(٣)

فخرج إليه هرمز وكان من ملوك الباب على رأسه تاج ، فأسره غالب أسرأ فجاء به سعداً فأدخله عليه وانصرف إلى مبارزة جديدة .

وخرج عاصم بن عمرو أمام مواقعبني تم و هو يقول :

قد عَلِمْتُ بِيَضَاءِ صَفَرَاءِ اللَّبَبِ مِثْلَ اللَّاجِينَ إِذْ تَعْشَاهُ الْذَّهَبِ

(١) الطبرى ٣ / ٥٣٦ السري عن شعيب عن سيف عن حلام عن مسعود بن خراش .
« » « » عن محمد وطلحة وزياد بإسنادهم .

(٢) فتوح البلدان ٦٤٦ .

(٣) المصالح : موقع السلاح . الباب : الصدر . البناء : استعارة لقوائم الخيل . سام : الذي آتى بالسموم .

أني أمرؤ لا من يعينه السبب مثلي على مثلك يغريه العتب ^(١)
 فطارد رجلاً من العجم فهرب منه وتبعده عاصم حتى خالط صفهم فالتحق
 بفارس معه بغل فترك الفارس البغل واعتصم بأصحابه فاحتسم بهم ، واستقام
 عاصم البغل والرُّحْل حتى بلغ صف المسلمين فكشف عن الغنيمة فإذا ذلك الرجل
 كان طباخ رستم وإذا ذلك الذي كان معه طعامه من الأخبصة والمسلل المعقود
 فأتى به سعداً ورجع إلى موقفه ، فلما نظر فيه سعد قال انطلقوا به إلى أهل
 موقفه .

وقال : « إن الأمير قد نكلكم هذا فكلوه ».
 وأعطاه لهم ، فتندى عاصم ومن معه يومها بقداء رستم .
 وهذه المبارزات دائرة بين الفرسان على طريقة الكر والفر ، وصفوف المشاة
 متكتبة في انتظار التكبيرية الرابعة من سعد ، قام قائد مشاة بني نهد من قضاة
 وكان اسمه قيس بن حذيم بن جرثومة يخطب فيمن معه .
 قال : « يا بني نهد انهدوا ، إنما سيمتم نهدأ لتفعلوا ».
 هذا أمر منه لجنه بالتحرّك قبل أن يأمر القائد العام بذلك فبعث إليه خالد
 ابن عرفة [خليفة سعد] يقول :
 « والله لتكفُّشن أو لأولئِنَّ عملك غيرك ».
 فكفَّ الرجل .

وخرج فارس من الفرس يصبح « مَرْد وَمَرْد » يعني رجل لرجل يطلب
 المبارزة . وكان ذلك أمام القطاع الذي تشغله ^(٢) يحيلة وكيدة ، وكان عمرو بن
 معدى كرب الزبيدي يسير بفرسه بين الصفين يحرض المسلمين ويحسّهم ويقول :
 « يا مشر المهاجرين [المجاهدين] كونوا أسوداً فإنما الأسد من أغنى شأنه .

(١) بيضاء صفراء اللب يقصد بها فرسه ، السبب : الرسالة كتابة عن نفسه بنفسه أنه يدخل
 بدون وسيلة القتال ، كما عتبوا على في شتى عليك يغريني ذلك بك .

(٢) نفس المصدر ، الطبرى ٢ / ٥٣٧ من ش من عن اسحاعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي
 حازم (البجلي) قال مر بنا عمرو بن معدى كرب وهو يحضر الناس بين الصفين ... الخ .

إن الرجل من هذه الأعاجم إذا ألقى مزراقه [فقد قوسه] فإنما هو تيس ..
وقف ذلك العجمي بين الصفين وكان من أساورتهم لا يكاد تسقط له نشابة ،
فرمى عمراً بنشابة فأصابت سية قوسه وهو متتكبها [معلقها في منكبه وراء
ظهره] فالتقت إليه عمرو ثم حل عليه فبارزه ثم اعتنقه وأمسكه من حزامه
وسحبه من فوق فرسه فحمله وضعه بين يديه على فرسه هو ثم عاد به إلى
صفوف المسلمين فلما اقترب منهم كسر عنقه ورماه على الأرض ونزل إليه فذبحه
من حلقه بالسيف وأخذ سبليه سوارين من ذهب ومنطقة من ذهب ويلقاً من
ديباج وعاد يقول للمسلمين :
« هكذا فاصنعوا بهم » .

قالوا : « يا أبا ثور من يستطيع أن يصنع كما تصنع ! » .

التحام

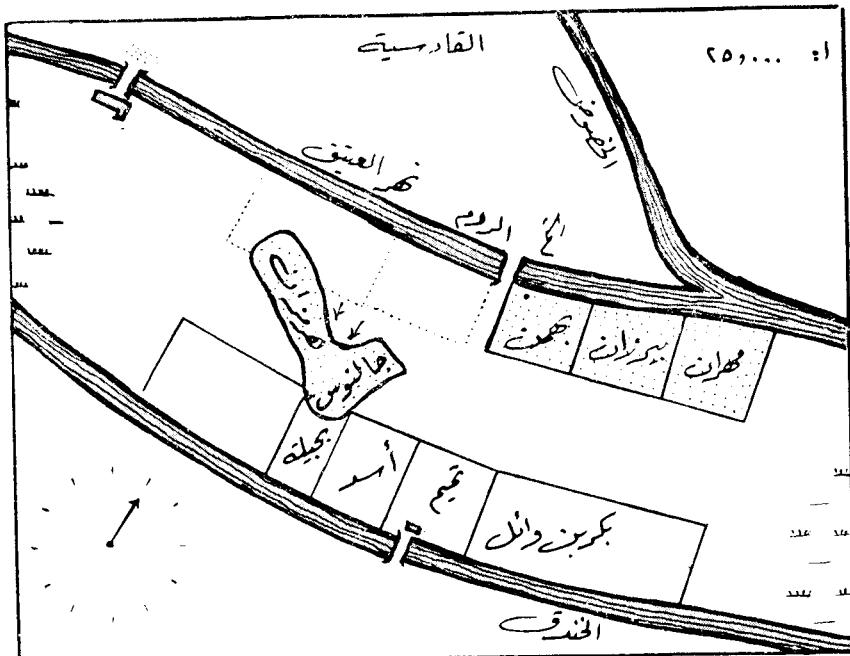
ثم وقع حادث مؤسف فريد من نوعه ، فقد خرج من صفوف المسلمين رجل
من ثقيف ارتد ولحق بالجوس ، فأخذوا رأيه عن يوجهون إليه هجومهم فأحالم
على يحيلة وأخبرهم أن بأس المسلمين في الجانب الذي به يحيلة ^(١) .

فوجه الفرس إلى الوجه الذي فيه يحيلة ثلاثة عشر فيلاً هي كل جناحهم
الأيمن بقيادة هرمزان وجالنوس [يعني ٥٢٠٠٠ مقاتل] . وألقت هذه القوة
الكبيرة بثقلها على يحيلة ، وألقوا تحت أرجل خيولها حسك الحديد ورشقون
بالنشاب فكانه المطر عليهم . وربط العجم خيلهم بعضها إلى بعض لثلا يفروا ،
هذا وسائل المسلمين والفرس على مواقفهم .

وفرقت الأفيال ما بين الكتائب فنفرت خيول المسلمين وثبت مشاتهم بغير
اعتقاد على الخيل حتى كاد الجوس أن يطحونا يحيلة ومن كان معهم في مواقفهم من

(١) الطبرى ٣ / ٥٧٦ عن ابن حميد عن سلطة بن محمد بن اسحق بن اسماعيل بن أبي خالد
مولى يحيلة عن قيس بن أبي حازم البجلي وكان من شهد القادسية مع المسلمين .

النخع و سدأء و كندة . وأرسل سعد إلى بني أسد وهم ثلاثة آلاف على ميمنة
يجيلة يقول لهم :
« ذَبَّبُوا عَنْ يَجِيلَةِ وَمِنْ لَاقِهَا مِنَ النَّاسِ » .



خربيطة رقم (٨) القادسية (٢)

الزحف

فقام ^(١) طليحة بن خويلد [الذي كان صاحب ردة بنى أسد ثم عاد إلى الإسلام وحسن إسلامه وبلاوه] ، قام في قومه من بنى أسد فقال : « يا عشيرتاه ، إن المنوّه باسمه [يقصد أسدًا — هو] الموثق به وإن هذا لو علم أن أحدًا أحق باغاثة هؤلاء منكم استغاثهم . ابتدؤهم الشدّة وأقدموا عليهم إقدام الليوث الحَرَبة ، فإنما سميت أسدًا لتعلموا فعله .

شدوا ولا تصدوا [يعني اهجموا ولا تتفدوا مدافعين] وكرروا ولا تفروا .

لله در ربيعة ، أي فَرَّيْ يَفْرُونْ وأي قَرْنْ يُفْنُونْ ، هل يصل إلى مواقفهم !

فأغنووا غناء مواقفهم أغانكم الله .

شدوا عليهم باسم الله .

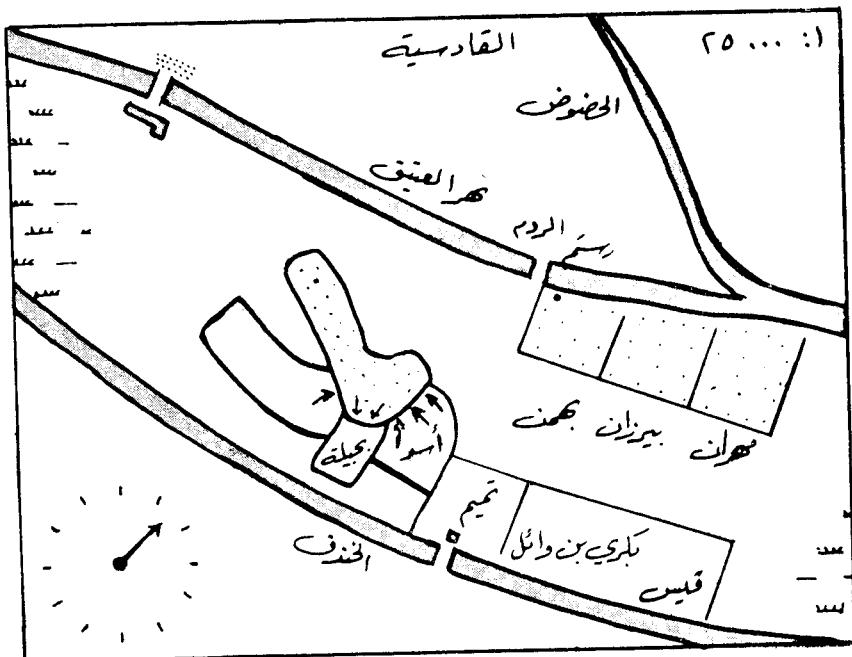
وخرج حمال بن مالك الأسدى والربيل بن عمرو وغالب بن عبد الله الليثى [ليث من كنانة وكنانة إخوة أسد و كانوا ثلاثة أخذوا مواقفهم مع أسد] كل خرج من كنيته نحو الفيلة . قال المعرور بن سويد وشقيق بن سلمة الأسديان :

الطبرى / ٣ ٥٣٨ س ش س عن محمد وطلحة وزياد .
» « عن محمد بن قيس عن موسى بن طريف .

«فَشَدُوا وَاللَّهُ عَلَيْهِمْ فَمَا زَالُوا يَطْعَنُونَهُمْ وَيُضَرِّوْنَهُمْ حَتَّىٰ حُبِسُنَا الْفِيْكَلَةَ عَنْهُمْ فَأَخْرَتْ [وَفِي أَنْتَاهِ ذَلِكَ] خَرْجَ لَطْبِيْحَةِ عَظِيمٍ مِّنْهُمْ فَبَارَزَهُ فَمَا لَبِثَ طَبِيْحَةٌ أَنْ قُتِلَهُ».

والتقى طليحة يحالوس وجهاً لوجه فضربه طليحة ضربة على رأسه فشققت
مغفرة طولاً^(١) ولم تنفذ إلى رأسه . وقال :

أنا ضربت الجالنوسَ ضربَةً. حين جيادُ الخيلَ وَسْطَ الْكَتَّةِ. (٢)



خريطة رقم (٩) القادسة (٣)

١) فتوح البلدان ٦٤٢ و ٦٤٧

(٢) الكبة : الكوكبة ، وهي الحاشية .

يقول الرواة: « وإن على كل فيل عشرين رجلاً ». ونرى في هذا الرقم مبالغة في نظرنا فليأ يتسع لحمل عشرين رجلاً.

بالغة فلما نظر فيها نظر فلما يلسع من سرير رب
وكانت بطولة بني أسد في هذا المجمع مثار إعجاب المسلمين وهم ينظرون
إليهم ، وكانوا يتسابقون إلى البطولة والفاء فقام الأشعث بن قيس الكندي
[زوج أم فروة أخت أبي بكر الصديق] في قومه من كندة فقال :
دِيْ مَعْشَرْ كَنْدَةَ اللَّهَ دَرْ بَنِي أَسْدِ أَيْ فَرِيْ يَفْسُرُونْ وَأَيْ هَذِهِ يَهْدُونْ
عن موقفهم !

عن موقفكم !
منذ اليوم أغنى كل قوم ما يليهم وأنتم تنتظرون من يكفيكم البأس .
أشهد ما أحسنت إسوة قومكم العربمنذ اليوم وإنهم ليُقتلون ويقاتلون
وأنتم جثة على الرُّكَب تنتظرون » .
[ارجع للأناقة في القتال]

وأنت جثة على رب سترون [ارجع وكانت المبارزة جثوا على الركب من الأساليب الدفاعية في القتال] . فوثب إلى فصل السيف من باب أسلحة العرب من كتابنا الطريق إلى المدائن . فوثب إليه عشرة منهم فقالوا : « عشر الله بجدك ، إنك لتؤيّسنا جاهداً ونحن أحسن الناس موقفاً ، فمن أين خذلنا قومنا العرب وأسانا إسوتهم ، فها نحن معك » . فتحوّل موقف كندة من الدفاع إلى الهجوم فازوا من أمامهم من المجموع ورددوهم إلى الوراء ^(١) .

ورد وهم إلى الوراء .
ولما رأى العجم ما يصنع بنو أسد بالأفيال وجهوا إليهم جالنوس وبهم
جاذويم [٤٤]، مقاتل نصفهم من الفرسان و ١١ فيلاً . كذلك جمع كناري
قائد المجردة [الخيل] فرسانه وألقى بهم ضد أسد . كان هرمزان ملتحماً بمسيرة
المسلمين ، أما سائر المسلمين في القلب والميمنة [كل من عن يمين أسد] فكانوا
ينتظرون التكبير الرابعة من سعد ، وبنو أسد تدور عليهم رحى الحرب ثابتون

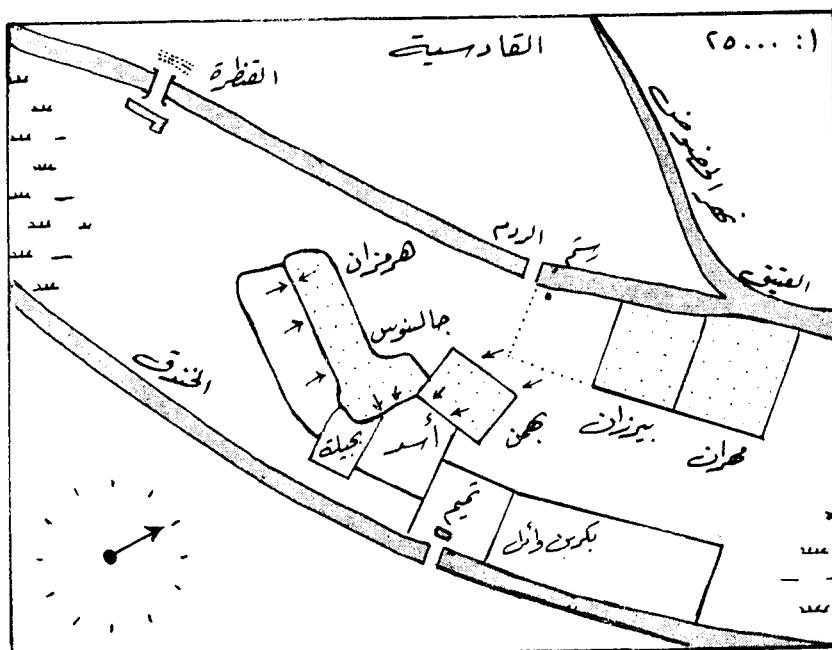
٥٣٨ / ٣ الطبرى (١) موسى بن طريف عن قيس بن محمد بن شمس عن الطبرى .

للمجوس ، فكثير سعد التكبيرة الرابعة فزحف جميع المسلمين ونشطت فيول المحس على طول خط القتال فحملت في الميمنة والميسرة على خيول المسلمين فكانت الخيل تخاف منها فتحجج عنها وتحيد عن طريقها ، وكان فرسانها يلحرون على المشاة أن يمنعوا ظهور الخيل ويردوها إلى الأمام .

وأرسل سعد إلى عاصم بن عمرو من يقول له :

« يا معاشر بنى تم ، ألستم أصحاب الإبل والخيل ! أما عندكم هذه الفيلة من حملة ؟ »

قالوا : « بلى والله » .



خريطة رقم (١٠) القادسة (٤)

ثم نادى في قومه فجمع أفضل من في بني تم من الرماة وآخرين لهم مهارة وخفة حركة في القتال، ووضع خطته على أساس مشاغلة ركبان الفيلة ثم مهاجتها من الخلف في غفلة منهم . قال لهم : « يا معاشر الرماة ذُبُّوا ركبان الفيلة عنهم بالنبل » .
 وقال : « يا معاشر أهل الثقافة استدبروا الفيلة فقطعوا وَضَّبَّها ^(١) ». وخرج معهم يحميهم ويقودهم فشقوا طريقهم نحو الأفياض التي تهاجم بني أسد والرحي تدور عليهم .

(١) الوضن : الأحزنة التي تثبت توابيتها على ظهورها .

وأثنية

كان سعد يرقب ذلك من فوق القصر لا يطيق الجلوس مما به إلا مستوفزاً أو منبطحاً على بطنه ، فكان يتململ ويتقلب لا يصبر على ما يرى . وكانت أمرأته سلمى بنت خصبة أرملة المثنى تنظر معه من فوق القصر وترى ما يرى ، فلما شاهدت ما يصنع جند الباب يقودهم جالنوس وجندي همدان يقودهم بهمن بقبيلة أسد قالت :

« وأثنية ولا مثنى للخيل اليوم » .

وكان سعد قد أضجره ما كان في نفسه وما يرى في أصحابه على مسافة ثلاثة إلى أربعين متر منه ، فلطم وجهها من الفيظ وقال :

« أين المثنى من هذه الكتبة التي تدور عليها الرحي [يعني أسدًا] وعاصرها وخيله؟ »

وأثارت هذه العبارة ذكريات المثنى الزوج الراحل العظيم .

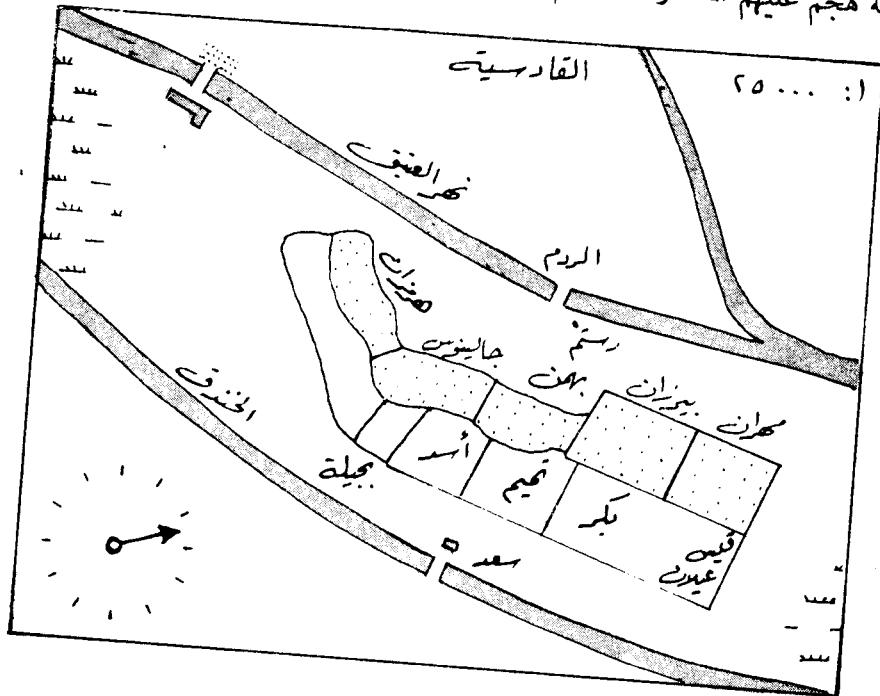
لو كان المثنى حيًّا لكان له هنا مع الأعاجم شأن كشأنه يوم الجسر بالمرودة ويوم البوبيب ويوم بغداد ، ويوم كل يوم لقي المحسوس فيه . ولئن لطمتها سعد بيده فلتلطمها بلسانها وهو الذي تستطيع .

قالت : « أغيرة وجبنا؟! »

تعيره انبطاحه فوق القصر وعدم ركوبه مع جيشه .

قال : « وَاللَّهِ لَا يَعْذِرُنِي الْيَوْمَ أَحَدٌ إِذَا أَنْتَ لَمْ تَعْذِرْنِي وَأَنْتَ تَرَيْنِ مَا يَ
وَالنَّاسُ أَحَقُّ أَلَا يَعْذِرُونِي » ^(١١) .

نتيجة يوم أدهم وأمطر رماة تمي الدين كلفهم عاصم ركبان الأفیال بوابل من سهامهم والتحموا معهم في معركة تراشق ، وفيهم مشغولون بذلك تمكن الآخرون من بلوغ مواقع خلف كل فيل فأخذوا بأذنابها وأربطة توابيتها فقطعوها وارتفع عواء الأفیال فيما بقي للمجوس يومئذ فيل إلا أعرى . وكان كلما سقط صندوق بن فيه هجم عليهم المسلمون فقتلواهم .



خریطة رقم (١١) القادسية (٥)

(١) الطبرى ٣٤٢٥ عن السري عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة .
٣٥٧٥ عن ابن حميد عن سلمة عن ابن اسحق عن عبد الله بن أبي بكر .

فتنفست أسد ، ورددت تيم عنها هجوم العجم إلى مواقفهم الأولى ، ثم اقتتلوا حتى غربت الشمس ودخل بعض من الليل . وكان يوماً مجهداً فرجع المسلمين ورجع المحوس كل إلى مواقعه الأولى وقد قتل من بنى أسد يوم أرمات خمسة وعشرين ألفاً الثالثة ، فحملت بنو أسد عباء ذلك اليوم عن الناس وكان عاصم بن عمرو حامي الناس الذي رد عادية المحوس عنهم .

وقال عمرو بن شاس الأسيدي :

لقد علِمْتُ بنو أَسَدِيْ بِأَنَّا
أَوْلُو الْأَحْلَامِ إِنْ ذَكَرُوا الْمَلُومَةِ^(١)
وَأَنَّا النَّازِلُونَ بِكُلِّ تَفْرِيْ^(٢)
رَلُو لَمْ نُلْفِيْ^(٣) إِلَّا هَشِيْما
مَعَ الْأَبْطَالِ يَعْلُكُنَّ^(٤) الشَّكِيْما
تَرِيْ فِيْنَا الْجِيَادُ مُسَوَّمَاتٍ^(٥)
تَرِيْ فِيْنَا الْجِيَادُ بُمَلْحَاتٍ^(٦)
يَجْمِعُ مُثْلِ سَلْمٍ مُكْفَهِرٍ^(٧)
بِمَثْلِهِمْ تُلَاقِي يَوْمَ هَيْنَجٍ^(٨)
نَفِيْنَا فَارِسًا عَمَّا أَرَادَتْ^(٩)

لماذا أرمات

حملت أيام القادسية أسماء أرمات وأغوات وعماس . ولم يجد أحداً من الرواية أو المؤرخين القدماء ولا من الكتاب المحدثين حاول أن يفسر هذه الألفاظ أو يقوم لها معنى ، وقد ذكر الدكتور محمد حسين هيكل أنه لم يجد لهذه الأسماء

(١) أَوْلُو الْأَحْلَامِ : أَصْحَابُ الْعُقُولِ ، وَالْمَلُومَةِ : الْعُقُولُ .

(٢) نُلْفِيْ : نُجْدِهُ أَوْ نُتَرَكُهُ ، فَهِيَ مِنَ الْأَصْدَادِ .

(٣) يَعْلُكُنَّ : يَضْغُنُ ، وَالشَّكِيْما حَدِيدَةُ الْجَامِ الَّتِي تُوْضَعُ فِي فَمِ الْحَصَانِ .

(٤) بُمَلْحَاتٍ : هَاجَاتٍ ، جَلَحَ الْفَرَسُ عَلَى الْقَوْمِ حَلَّ عَلَيْهِمْ وَهَجَمُ ، تَنْهَنَهُ تَكْفُ وَتَقْنَعُ .

(٥) سَلْمٍ مُكْفَهِرٍ : سَلْمٌ سَاخِنٌ ، كَنْيَةُ الْأَسْمَاءِ الْمُعَرَّكَةِ ، الْقَرْوَمُ : الْلَّحْمُ الْمُكَوَّمُ كَنْيَةُ الْكَثُرَةِ .

(٦) يَرِيمُ مِنَ الْمَكَانِ : يَتَرَكُهُ .

أي تعليل . والكلمات الثلاث ليست أسماء أماكن . وفي اللغة رمت الشيء بالشيء خلطه - وأرمي الحابل في الفرع أبقى فيه شيئاً - وأرمي واسترمي في حالة أبقى وترك - وحبل أرمي ورمي خلق . هكذا في المنجد ، ونستطيع أن نامح هذه المعانٰي في ذلك اليوم ، فقد اختلطت فيه شدته على المسلمين وعلى المحسوس ، ولم تنته المعركة إلى نتيجة حاسمة شأن كل ما سبق من المعارك التي كانت تنتهي في يوم ، بل بقي منها شيء للأيام التالية . هذا ما نذهب إليه في تعليل تلك التسمية والله أعلم .

ليلة الهدأة

توقف القتال بعد العشاء ، وباتت الجبهة في هدوء ، تماجز هؤلاء عن هؤلاء ولذلك سميت ليلة الهدأة . وقد أقاحت هذه الهدأة لبعضهم أن ينفلت أثناء الليل إلى العذيب للقاء أهله ونقل الأخبار إليهم .

وفي مضارب نساء المسلمين بالعذيب جلست النساء بنت عمرو شاعرة بني سليم الخضراء ومعها بنوها أربعة رجال تعظهم وتحرضهم على القتال .

قالت ^(١) : « إنكم أسلتم طائرين وهاجرتم [جاهدتم] مختارين . وقد تعلمون ما أعد الله للMuslimين من الشواب الجزيل في حرب الكافرين . واعلموا أن الدار الباقية خير من الدار الفانية . يقول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَبِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ .

فإن أصبحتم غداً إن شاء الله سالمين فاغدوا إلى قتال عدوكم مستبصرين وبالله على أعدائكم مستنصرين . فإذا رأيتم الحرب قد شرت عن ساقها وأضطررت

(١) الاستيعاب ٢٨٧ نساء - الإصابة ٥٥ نساء - وفي النص أنها قالت : « ووالله الذي لا إله إلا هو إنكم لبني رجل واحد كما أنكم بنو امرأة واحدة ، ما خنت أباكم ولا فضحت خالكم ولا هجنت حسبكم ولا غبرت نسبكم ... » ولكن من المعلوم أن أولاد النساء لم يكونوا أبناء رجل واحد فقد تزوجت مرتين ، الأول عبد العزى بن رواحة وأنجبت منه أبا شجرة ، والثاني مرداين بن أبي عامر وأنجبت منه زيد (وقيل يزيد) ومعاوية وعمرأ (النساء شاعرة بني سليم - د. محمد جابر الحيني ٧٦) . وقد ذهبت الدكتورة بنت الشاطئ إلى أن الرواية موضوعة ، وحسبنا إسقاط هذه الفقرة منها ، ولعل هذه الفقرة في النص أن تكون تسللت إلى قصة النساء من قصة المرأة النجمية بعدها .

لظى على سياقها وحللت [تفجرت] ناراً على أرواقها [جوانبها] ، فتيمموا
وطيسها [وسطها] وجالدوا رئيسها عند احتدام خيسها [جيشهما] تظفروا
بالفن والكرامة في دار الخلد والمقامة ! «
فخرج بنوها قابلين لتصحها عازمين على قولهما فلما أضاء الصبح باكروا
مراكتهم .

وكانت امرأة من النخع لها بنون أربعة شهدوا القتال ذلك اليوم ، فلما بدأ
الصبح ينبلج قالت لهم :

« إنكم أسلتم فلم تبدلوا ، وهاجرتم فلم تثربوا ^(١) ، ولم تتب ^(٢) بكم البلاد
تُقْنِحُوكم السنة ^(٣) . ثم جئتم بأمكم عجوز كبيرة فوضعتها بين أيدي أهل
فارس ، والله إنكم لبنيو رجال واحد كما أنكم بنو امرأة واحدة . ما خنت أباكم
ولا فضحت خالكم . انطلقوا فاشهدوا أول القتال وآخره » .

فانصرفوا عنها مسرعين يشتدون . فلما غابوا عنها رفعت يديها إلى السماء
وهي تقول : « اللهم ادفع عن بنني ^(٤) . »

فرجموا إليها بعد ذلك وقد أحسنوا القتال ما جرح منهم رجل جرحاً .
تلك أمهات لم تتضع حتى فقدت عواطف الأمة ، ولكنها ارتفعت باليانها
إلى مصاف فوق مستوى ما نعهد من الأمهات . كانت كل منهن تعلم أن الموت
حق وأن أحداً لن يموت حتى يستوفي أجله فكانت تضن ببناتها أن يعتد على أحد
منهن يجين أو خور عند الزحف وحين البأس . إذاً كان ذلك هو حال النساء
الأمهات العجائز فكيف إذاً كان حال الرجال ! لعود إليهم في اليوم الثاني .

(١) تعني لم تكن هجرتكم إلى يثرب .

(٢) لم تتب بكم البلاد : لم تلفظكم .

(٣) السنة : القحط والجوع .

(٤) الطبرى ٤٤ / ٥ س ش س عن مجالد عن الشعبي ، ويقول : « فرأيتم بعد ذلك
يأخذون ألفين ألفين من العطاء ثم يأتون أمهات فيلقونه في حجرها فترده عليهم وتقسمه فيهم على
ما يصلحهم ويرضيهم » . وكان عطاء أهل القادسية ألفين حين أنشأ عمر الديوان .

أغواث

الجمعة ١٤ شعبان ١٥ - ٢٠ سبتمبر (ايلول) ٦٣٦ م

صبح جديد

نحن الآت في اليوم الثاني - أغواث - من أيام معركة القادسية . أصبح الصباح والجيشان على تعبئة وقد حل المسلمين شهداءهم وجرحهم من أرض المعركة ، بينما ترك المجنوس حيث قتلهم ملقاء كما هي حيث قتلت . وقد وكل سعد رجلاً ينقلون الجرحى إلى مضارب المسلمين بالعذيب حيث النساء يقمن عليهم يرضنهم إلى قضاء الله عز وجل عليهم . كذلك وكل رجلاً ينقلون الشهداء إلى مُشرقٍ وهو وادٌ بين العذيب وبين عين الشمس فدفنوا في جانبيه القريب من العذيب والبعيد عنها وكانت النساء يحفرن القبور . سبحان الله .. عجباً لامرأة تحفر قبراً لا تدري يدفن فيه بعد قليل زوج أو أخ أو ابن أو أب أو غريب ، إنه شهيد من المسلمين وكفى فكلهم الآن سواه . كان المسؤول عن شؤون الشهداء والجرحى ^(١) حاجب بن زيد الأنصاري من الأوس وكان من شهد أحداً . ووقف المسلمون في الميدان ينتظرون حمل الشهداء والجرحى ، فما أن خرجت ^(٢) بهم الإبل وتوجهت نحو العذيب حتى طلعت نوادي الخيل الآتية من الشام .

(١) الطبرى ٣ / ٥٥٠ من شى عن محمد وطلحة وزياد ياستادهم .
الإصابة ١٣٥٩ وقال حاجب بن زيد بن تميم بن أمية بن خفاف بن بياضة .
(٢) الطبرى ٣ / ٤٤٢ من شى عن محمد وطلحة .

جيش خالد يعود

لقد خرج خالد من العراق في صفر ١٣ هـ. بنصف جيش العراق حينذاك إلى الشام ، فأدرك عمليات الشام . ومن حيث كانت الحالة راكدة في العراق في انتظار القادسية والإعداد لها بينما كانت المعارك دائرة في الشام فقد ترك عمر ذلك الجيش في الشام يخوض معاركها الواحدة تلو الأخرى مع أبي عبيدة بن الجراح . فلما أن لاحت بوادر القادسية وكان المسلمين قد تم لهم فتح دمشق كتب عمر إلى أبي عبيدة بصرف جيش العراق ، أصحاب خالد، إلى العراق – ولم يذكر خالدأ – حينئذ كان أبو عبيدة في خيار بين أن يبعثه مع جيشه أو أن يتمسك به ، فضن به لنفسه حيث كان يعتمد عليه أكبر الاعتقاد فبعث الجيش بدونه إلى العراق . ذلك الجيش كان تسعة آلاف يوم خرج مع خالد ولكن الروايات ^(١) تذكر أن العائدين إلى العراق كانوا ستة آلاف منهم خمسة آلاف عدنانيين من ربيعة ومضر وألف قحطانيين من أبناء أهل حجاز اليمن من مراد وهمدان وغيرهم . وأمرت عليهم هاشم بن عبدة بن أبي وقاص وهو ابن أخي سعد ابن أبي وقاص . وكانت مقدمتهم ألفاً عليها القمعان بن عمرو وقد قدمه هاشم أمامة . وكان على الميمنة قيس بن مكحشون المرادي ، ولم يكن قيس المرادي من شهد فتوح العراق مع خالد وإنما أتاهم وهو باليرموك ثم انضم إلى هذا الجيش المنتقل من الشام إلى العراق . وكان على الميسرة الهزهار بن عمرو ^(٢) العجلي وعلى المؤخرة [الساقة] أنس بن عباس السلمي ^(٣) . ويبعدونا أن هذا الجيش كان هو جيش خالد في جملته لا في تفصيله ، فكما رأينا لقد ذهب الجيش تسعة آلاف وعاد ستة آلاف كذلك كان يحتوي على عناصر لم تكن منه حين غادر العراق مع خالد .

(١) الطبرى ٣ / ٥٤٣ س ش س عن محمد وطلحة .

(٢) الطبرى والإصابة ٨٩٥٩ .

(٣) الطبرى والاصابة ٢٧١ ، وكانت أنس صاحبأ قدم على رسول الله في سبعيناتة على بنى سليم عام الفتح فاسلوا .

القعقاع في المعركة

وأسرع القعقاع بالمقدمة فسبق أصحابه وطوى المسافة فبلغ القادسية صبيحة يوم أugust^{١١} . وقبل دخولهم إلى القادسية قسم القعقاع أصحابه إلى عشرات — مائة عشرة — كما بلغ عشرة منهم مدى البصر سرعوا في آثارهم عشرة أخرى ، وكان القعقاع في أول دفعة فاتى الناس وسلم عليهم وبشرهم بالجنود

وقال : « يا أهلا الناس إبني قد جئتكم في قوم والله إن لو كانوا بكم كانكم ثم أحسوكم حسدوكم حظوتها وحاولوا أن يطيروا بها دونكم . أهلا الناس اصنعوا كا أصنع » .

مصرع بهمن جاذب

وتقى القعقاع بين الصفين في القطاع الذي يشغل قومه من بني قيم وهو قلب الجيش أمام القصر ثم نادى : « من يبارز ؟ »

أي لياقة بدنية تلك التي تتبع لصاحبها أن يأتي من سفر بعيد مثل هذا ثم يلتقط لحظة وصوله ! واطمأن المسلمين كثيراً لتوارد القعقاع معهم ونزلت عليهم السكينة وقالوا فيه بقول أبي بكر :

« لا يهز جيش فيهم مثل هذا » .

صدق أبو بكر وصدق أيضاً حين قال : « لصوت القعقاع في الجيش خير من

ألف رجل » .

وخرج ذو الحاجب لنداء القعقاع ولم يكن القعقاع قد التقى به من قبل ولا عرفه إلا سمعاً ، فقال له القعقاع : « من أنت ؟ »

قال : « أنا بهمن جاذب » .

فثار الدم في عروق القعقاع وكأنه وجد شيئاً كان يبحث عنه فصاح :

« يا لثارات أبي عبيد وسلط وأصحاب يوم الجسر » .

(١) كان فيهم قيس بن أبي حازم وهو ابن تسع عشرة سنة .

الطبرى ٤٣ هـ / ٣ ش من عن محمد وطلحة .

ثم تبارزا بالسيوف فقتله القعقاع ، فكان بهمن جاذویه قائداً قلب الجوس في
القادسية وقادهم يوم جسر المروحة أول القتلى يوم أغواث .

الطراد والمبارزة

ثم انضم الى القعقاع ثلاثة نفر معاذرته وهم :
نعميم بن عمرو بن عتاب .

وعتاب بن نعيم بن عتاب بن الحارث بن عمرو بن همام .
وعمره بن شبيب بن زنباع بن الحارث بن ربيعة ، أحد بنى زيد .
وكلهم رياحين من بني يربوع بن حنظلة من تميم .

وكان القعقاع يرمي ببصره نحو الطريق وصارت خيله تطلع قطعاً كما
طلعت قطعة كبار القعقاع وكبار المسلمين ثم يحمل على الجوس للمبارزة ويحمل
معه اليربوعيون الثلاثة . وطلت الخيل تطلع وترد دفعات حتى الليل فينشط
المسلمون لذلك ويدب فيهم الأمل وكأن لم يكن بالأمس مصيبة . فبدأ يوم
أغواث ببشرات خففت عنهم وشدّت من أزرهم كثيراً ... توأجد القعقاع ..
ورصول المدد .. ومصرع بهمن جاذویه .. واختفاء الفيلة جميعاً فقد تكسرت
تربتها بالأمس وبدأوا إصلاحها حين أصبحوا واستغرق إصلاحها منهم طوال
يوم أغواث فلم تظهر مرة أخرى حتى كان الغد ولم يقاتل العجم يوم أغواث على
قبل . وفت ذلك كله في عضدهم .

وخرج القعقاع بين الصفين مرة أخرى ونادى : « من يبارز ؟ »

وأراد قادة الجوس أن يستردوه معنوياً لهم وأن يثأروا لهمن جاذویه الذي
كانت جثته ملقاء بين الصفين ينظرون إليها ، فخرج إليه رجلان أحددهما بيزان
قائد مؤخرتهم [٢٤٠٠] اخذاً مواقفهم بين رسم وبين ميسرتهم التي عليها
مهران [والآخر بندوان . فانضم الى القعقاع الحارث بن ظبيان [أحد بنى
تميم اللات من الرباب وكانت صفوهم الى جوار تميم عن يمينها] ، فبارز القعقاع
بيزان فسد عليه القعقاع ضربة سيف قوية فوق عنقه أذرت برأسه . وباز ابن

بيان بندوان فضربه ضربة أطاحت برأسه أيضاً . ثم بزرت فرسان المسلمين للubarza فكان القعقاع يقول لهم :

« يا معاشر المسلمين باشروهم بالسيوف فإنما يقصد الناس بها » .

وتوافق الناس وتشابعوا ^(١) فاجتلدوا بها حتى المساء .

وبرز رجل من الجوس أمام صفوف بكر بن وائل فنادى : « من يبارز ؟ » فخرج له علباء بن جحش العجلي فنفعه ^(٢) علباء فأصابه في صدره وشقّ رئته ونفعه الآخر فأصابه في بطنه وانتشرت أمعاءه وسقطا معه إلى الأرض . أما الجوسي فمات من ساعته وأما علباء فلم يستطع القيام وحاول أن يعيد أمعاءه إلى مكانها فلم يتأت له ومرّ به رجل من المسلمين فقال له علباء : « يا هذا أعني إلى بطيء » . فادخل له أمعاءه فأخذ بصفاقيه ثم زحف نحو صف العجم دون على بطني » . وفأدخل له أمعاءه فأخذ بصفاقيه ثم زحف نحو صف العجم دون أن يلتفت إلى المسلمين وراءه فأدركه الموت على ثلاثة ذراعاً من مصرعه

وهو يقول :

أرجو بها من ربنا ثوابا
قد كنت من أحسن الصرايا
وفاضت نفسه ^(٣) .

وخرج رجل آخر من العجم فنادى : « من يبارز ؟ » فبرز له الأعرف بن الأعلم العقيلي من عامر بن صمعضة من قيس عيلان بأقصى الميمنة فقتله ، فخرج له جوسي آخر فقتله فخرج إليه بعض فرسانهم وأحاطوا به فأوقعوه وسقط سلاحه من يده فأخذوه فغبّر في وجوههم بالتراب حتى رجع إلى أصحابه وهو يقول :

(١) كل قوم أمرهم واحد يتبع بعضهم رأي بعض فهم شيع ، (ختار الصحاح) .

(٢) النفح الضرب إلى خارج الميمن .

(٣) الطبرى ٤٦ / ٣ س عن الفصن عن العلاء بن زياد والقاسم بن سليم عن أبيه .

وَإِنْ يَأْخُذُوا بَزْيٍ فَإِنِّي بُحْرَبٌ
أَخْرُوجُ مِنَ الْفَمَاءِ مُحْتَضِرُ النَّصْرِ
وَإِنِّي لَحَامٌ مِنْ وَرَاءِ عَشِيرَتِي
رَكْبَ لَأَثَارِ الْهَوَى مُحْفَلُ الْأَمْرِ
وَكَانَتْ بَنُو سَلَيْمٍ أَيْضًا مِنْ قَيْسٍ عِيلَانَ فِي الْمَيْمَنَةِ فَخَرَجَ مِنْهَا أَبْنَاءُ الْخَنَسَاءِ
الْأَرْبَعَةِ لِلْقَتَالِ . قَالَ أَوْلَاهُمْ :

يَا إِخْرَقِي إِنَّ الْعَجُوزَ النَّاصِحةَ
قَدْ نَصَحَتْنَا إِذْ دَعَتْنَا الْبَارِحةَ
مَقَالَةَ ذَاتِ بَيَانٍ وَاضْحَاهَ
فَبَا كَرُوا الْحَرْبَ الْفَرَوْسَ الْكَالَّهَ
إِنَّا تَلَقَوْنَا عِنْدَ الصَّائِحَةِ
مِنْ أَلِّ سَاسَانَ الْكَلَابَ النَّاجِحةَ
قَدْ أَيْقَنَوْا مِنْكُمْ بِوَقْعِ الْجَانِحةِ
وَأَنْتُمْ بَيْنَ حِيَاةِ صَالِحةٍ
أَوْ مِيَةَ تُورَثُ خَنِمًا رَابِحَةَ

وَتَقْدِيمَ فَقَاتِلٍ حَتَّى قُتْلُ ، فَحَمِلَ الثَّانِي وَهُوَ يَقُولُ :

إِنَّ الْعَجُوزَ ذَاتَ حَزْمٍ وَجَلْدٍ
قَدْ أَمْرَتْنَا بِالسَّدَادِ وَالرَّشْدِ
فَبَا كَرُوا الْحَرْبَ حَمَاءَ فِي الْعَدْدِ
وَأَمْيَةَ تُورَثُكُمْ عَزَّ الْأَبْدِ
وَالنَّظَرُ الْأَوْفَقُ وَالرَّأْيُ الْسَّدَّدُ
نَصِيحةٌ مِنْهَا وَبِرًا بِالْوَلَدِ
إِمَّا لِفَوْزٍ بَارِدٍ عَلَى الْكَبِيدِ
فِي جَنَّةِ الْفَرْدَوْسِ وَالْعِيشِ الرَّغْدِ

وَقَاتِلٍ حَتَّى اسْتَشْهِدَ . وَحَمِلَ الثَّالِثُ وَهُوَ يَقُولُ :

وَاللَّهُ لَا نَعْصِي الْعَجُوزَ حَرْفَا
قَدْ أَمْرَتْنَا حَدِبَا وَعَطْفَا
نَصِحَا وَبِرَا صَادِقَا وَلَطْفَا
حَتَّى تَلَفُوا أَلَّ كَسْرَى لَفَا
إِنَّا نَرِى التَّقْصِيرَ عَنْكُمْ ضَعْفَا
قَدْ أَمْرَتْنَا حَدِبَا وَعَطْفَا
فَبَادَرُوا الْحَرْبَ الْفَرَوْسَ زَحْفَا
أَوْ يَكْشِفُوكُمْ عَنْ حَمَامَ كَشْفَا
وَالْقَتْلُ فِيْكُمْ نَجْدَةَ وَزُلْفَى

وَقَاتِلٍ حَتَّى اسْتَشْهِدَ . وَحَمِلَ الرَّابِعُ وَهُوَ يَقُولُ :

لَسْتُ لَخَنَسَاءَ وَلَا لِلْأَخْرَمَ
إِنْ لَمْ أَرِدْ فِي الْجَيْشِ جَيْشَ الْأَعْجَمِ
إِمَّا لِفَوْزٍ عَاجِلٍ وَمَفْنَمٍ
وَلَا لِعَمْرٍو ذِي السَّنَاءِ الْأَقْدَمِ
مَاضٍ عَلَى الْهَوَى خَضْمٌ خَضْرَمٌ
أَوْ لَوْفَةَ فِي السَّبِيلِ الْأَكْرَمِ

فقاتل حتى استشهد^(١) . وبلغ الحنساء خبر بناتها الأربعه - وهي التي عاشت حياتها تبكي أخاها صخرأ الذي قتل في الجاهلية - فقالت: «الحمد لله الذي شرّقني بقتلهم ، وأرجو من ربّي أن يحمعني بهم في مستقر رحمته » .

وَحَلَّ الْقَعْدَاءِ ثَلَاثَيْنِ (٢) حَلَّةٌ عَلَى طَرِيقَةِ الْكَرْ وَالْفَرْ قُتِلَ فِيهَا تَلَاثَيْنِ دَارِسٌ
كَلَّا طَلَعَتْ قَطْعَةً كَبِيرًا وَهَجَمَ فَقْتَلَ وَكَانَ يَرْتَجِزُ وَيَقُولُ :
أَزْعَجْهُمْ عَدَا بَهَا إِزْعَاجًا أَطْعَنَّ طَعْنًا صَاتِبًا نَجَاجًا
أَرْجُو بَهْ مِنْ جَنَّةِ أَفْوَاجًا
وَكَانَ آخِرُ مِنْ قَتْلِ الْقَعْدَاءِ يَوْمَ أَغْوَاثٍ بُزُّرْ جُمْهُرُ الْمُهَنْدَسِيِّ وَفِيهِ قَالَ

المعنى :
حياته مثل شعاع الشمس
حياته بالنفس
في يوم أغوات فللين الفرس
حياته بالقوم أشد النكس
حياته مغشري ونفسه
حياته مثل شعاع الشمس

وبارز الأعور بن قطبة **ـ شهر برـازـ سـجـنـسـتـانـ** فقتل كل واحد منها صاحبه،
و محل الأعور إلى العذيب حيث أسلم الروح فقال أخوه الأسود بن قطبة في ذلك:
ـ لـمـ أـرـ يـوـمـ كـانـ أـحـلـ وـأـمـرـ من يوم أغوات إذ افتر الشفر
ـ مـنـ غـيـرـ ضـحـكـ كـانـ أـسـنـوـيـ وـأـبـ

(١) الاستيعاب ٢٧٨ ، والإصابة ٣٥ نساء. وكان عمر بن الخطاب يعطيها أرزاق أرلاダメ الأربعه لكل واحد منهم مائتي درهم (معاشاً) حتى قتل .
.....
.....
.....
.....

(٢) الطبرى / ٣ / ٥٤٧ « « « عن محمد وطلحة وزياد .
(٣) الطبرى / ٣ / ٥٤٦ « « « عن العصمن عن عبد الله .

(٣) حبوبه جياشة بالنفس : منحته طمنة قاتلة تذهب بنفسه ، هداره باهدير . وهو في
مع الصوت ، معشري : عشري .

فعاقيبة جديدة

وغلب على يوم أغوات ابتكار قعاعي طريف وجديد يدلُّ على ما لذلك العبرى من ألمية وابتكار . فقد قصَّ عليه المسلمون ما كان من الأفياط يوم أرماث وكيف خافتها خيول المسلمين . وكما استوحى خالد فكرة كين الولجة من العجم ، كذلك فعل القعقاع يوم أغوات . أراد أن يرهب خيل الفرس ، ولكن أنسى له ذلك وليس لل المسلمين أفيال ؟ عمد إلى بنى عمه من المشاة فجعلهم عشرات كل عشرة بمجموعة فحملهم على إبل قد ألبسوها وجللوها^(١) وبرقوها ببراقع ، وجعل لها خيلاً أطافت بها لتحقيمها وأمرهم أن يحملوا على خيل المحسون يتشبهون بالفيلة ففعلت هذه الإبل يوم أغوات بخيل العجم كما فعل العجم بخيل المسلمين يوم أرماث ، فكانت تلك الإبل لا تطلع على قليل ولا كثير من فرسان المحسون إلا نفرت بهم خيالهم وركبهم فرسان المسلمين يطعنونهم .

ويبدو أن من القبائل الأخرى غير تميم من قد القمعاع فيما فعل ، فكان مما ذكر سعد لعمر أن وصف الحارث بن قوم البهزي من بنى سليم [من قيس عilan في الميمنة] بالشجاعة وقال :

« لم أرَ راكباً مثل الحارث بن قوم ، إنَّه جلل بعيده وبرقهه ثم ركب للفراديس [ربا كان الصواب الكراديس] ففرق بينها فإذا بصرَ بفارس الخط عليه فعانقه ثم قتله ثم وتب على بعيده من قيام »^(٢) .

وكذلك وصف له يعقوب بن حسان الذهلي فقال :

« لم أرَ رجلاً مثل يعقوب ، إنه قد جاء في يوم بخمسة فوارس يختل الرجل منهم حتى يرميه ثم يغلبه على عنايته حتى يأتي به مسلماً »^(٣) .

الزحف

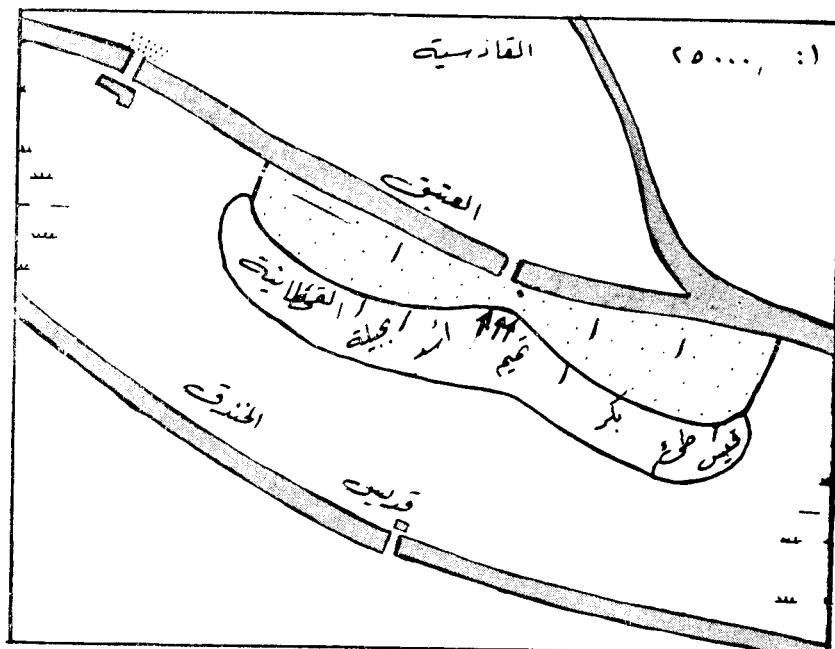
واستمرت المبارزة والطراد بين الفرسان منذ أصبحوا إلى انتصاف النهار .

(١) الجلال : ما يشد على بطن الدابة من صوف .

(٢) الاصابة ، ١٩٢٥ .

(٣) الاصابة ، ٩٤٢٧ .

فليا صلّوا الظهر ترا حف الناس فاقتتلوا بها حثيّاً اثني عشرة ساعة حتى انتصف الليل ، فكانت هذه الليلة تسمى ليلة السواد [والسواد هو النصف الأول من الليل] . وجالت الخيل في القلب وشدد المسلمين ضغطهم عليه واستخدمو في ذلك الإبل المبرقعة فزالت خيل المحوس فيه غير أن مشاهم ثبتت واستمر المسلمين يضغطون على القلب حتى كادوا أن يصلوا إلى رستم لولا أن خيل المحوس كرّت فاستعادت مواقعها . وقتل في ذلك رجل منبني تميم اسمه سواد كان من يحمي العشرة من حماة الإبل جمل يطلب الشهادة ويتعرض لها وظلّ يحمل وتبطئ عليه الشهادة حتى تعرّض لسرير رستم يريده فأصيب دونه ^(١) .



خریطة رقم (١٢) القادسية (٦)

(١) الطبری ٣ / ٤٥ س ش عن القاسم بن سلیم بن عبد الرحمن السعدي عن أبيه .

وَقَدِمَ رَسُولُهُ عَلَى سَعْدٍ يَحْمِلُ أَرْبَعَةَ أَسِيَافَ وَمَعَهُ أَرْبَعَةَ أَفْرَاسَ هَدِيَةً – أَوْ مَكَافَأَةً – مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ يَقْسِمُهَا فَيَمْنُ اِنْتَهِي إِلَيْهِ الْبَلَاءُ إِنْ كَانَ لِقَيْ قَتَالًا. فَدَعَا سَعْدٌ حَمَّالَ بْنَ مَالِكَ وَالرَّبِيلَ بْنَ عُمَرَ وَبْنَ رَبِيعَةَ الْوَالِيَّيْنِ وَطَلِيْحَةَ اِبْنَ خَوِيلَدِ الْفَقْعَسِيِّ – وَكُلُّهُمْ مِنْ بَنِي أَسْدٍ – وَعَاصِمَ بْنَ عُمَرَ الْتَّمِيمِيِّ فَأَعْطَاهُمْ أَسِيَافَ . وَدَعَا الْقَعْقَاعَ بْنَ عُمَرَ وَالْيَرْبُوْعِيْنَ نُعَيْمَ وَعَتَابَ وَعُمَرَ وَبْنَ شَبَّابَ فَحَمَلُهُمْ عَلَى الْخَيْلِ . فَأَصَابَ ثَلَاثَةَ مِنْ بَنِي أَسْدٍ ثَلَاثَةَ أَرْبَاعَ أَسِيَافَ وَأَصَابَ ثَلَاثَةَ مِنْ بَنِي يَرْبُوْعَ مِنْ تِمِّنْ ثَلَاثَةَ أَرْبَاعَ أَفْرَاسَ . وَفِي ذَلِكَ قَالَ الرَّبِيلُ بْنُ عُمَرَ الْأَسْدِيَّ :

لَقَدْ عَلِمَ الْأَقْوَامُ إِنَّا أَحَقُّهُمْ إِذَا حَصَلُوا بِالْمُرْهَفَاتِ الْبَوَارِتِ
وَمَا فَقَثَتْ خَيْلِي عَشِيَّةً أَرْمَثُوا يَنْدُودُونَ رَهْوَأَ عَنْ جَمْعِ الْعَشَائِرِ
لَدُنْ نُعْدُوَةً حَتَّى أَتَى الْلَّيلُ دُونَهُمْ^(١) وَقَدْ أَفْلَحَتْ أَخْرَى الْلَّيَالِ الْغَوَابِ^(٢)

وَقَالَ الْقَعْقَاعُ فِي شَأْنِ الْخَيْلِ :

لَمْ تَعْرِفْ الْخَيْلُ الْعَرَابَ سَوَاءَنَا عَشِيَّةَ أَغْوَاثٍ يَحْنِبُ الْقَوَادِسَ
عَشِيَّةَ رَحْنَا بِالرَّمَاحِ كَأَنَّهَا عَلَى الْقَوْمِ أَلْوَانَ الطَّيْبُورِ الرَّسَارِسِ^(٢)

(١) رَهْوَأَ : عَلَى مَهْلٍ . الْفَدْوَةُ : مِنْ بَعْدِ الْفَجْرِ إِلَى طَلَوْعِ الشَّمْسِ .

(٢) الْخَيْلُ الْعَرَابُ : الْعَرَبِيَّةُ الْأَصِيلَةُ . الرَّسَارِسُ : النَّشِيْطَةُ .

ليلة المساواة

قتال في الليل
وسحب الليل رداءه على الميدان والفريقان ما زالا ملتحمين يتقاذلان ، فكان
الملعون ينتمون يعني ينتمي كل منهم إلى وحدته فيصبح الأسدى يا بني أسد
فيجاوبونه ويقول التميمي واتيه وهكذا حتى لا تختلط صفوهم ويضيعوا
في الظلام .

أبو محجن^(١) في المعركة
وعلا صليل السيف وأصوات المعركة فبلغت مسامع الذين جبسهم سعد في
القصر مقيدين لاعترافهم على خالد بن عرفطة . فصعد أبو محجن الثقفي بعد أن
دخل الليل إلى سعد وهو مشرف من فوق القصر يستعفيه ويسترضيه ويستميجه
أن يفك قيده ويسمح له بالقتال ، فزجره سعد ورده إلى محبسه فنزل إليه . ثم
جاء إلى امرأة^(٢) سعد فقال لها :
« يا سلمى يا بنت آل خصفة ، هل لك إلى خير ؟ »

(١) انظر ترجمة أبي محجن في آخر الكتاب تحت عنوان : « ترجمة مشاهير قادة الفتح » .

(٢) الطبرى ٣ / ٥٤٧ س ش س عن محمد وطلحة وزياد بإسنادهم وشاركتهم ابن مغراط
عن رجل من طيء . وذكر الطبرى رواية عن ابن اسحق أن صاحبة هذه الواقعة هي زبراء أم
ولد سعد (وليس سلمى) .

قالت : وما ذاك ؟

قال : « تخلّين عني وتعيّريني اللقاء ! فله عليه إن سلمني الله أن أرجع إليك حتى أضع رجلي في قيدي ». .
فقالت : « وما أنا وذاك ». .

فرجع إلى مكانه يوسف في قيوده ويقول :

وأترك مشدوداً على وثاقيا
كفى حزناً أن ترتدى الحيل بالقنا
صارع دوني قد تصمُّ المناديا
إذا قمتَ عنّي الحيدُ وغلقت
صارع دوني قد تصمُّ المناديا
وقد كنتَ ذا مالٍ كثيرٍ وإخوةٍ
فقد تركوني واحداً لا أخاً لي
وقد شفّ جسمي أنني كل شارق
أعالج ك بلا مصمتاً قد برانيا
فالله دري يوم أترك مونقاً
ويذهل عنّي أثرني ورجاليا
حبسنا عن الحرب العوان وقد بدلت
أعمال غيري يوم ذاك العواليا
لئن فرحت أن لا أزور الحوانيا
فلله عهد لا أخيس بعهده
فراجعت سلمي نفسها وقالت :

« إني استخرت الله ورضيت بعهده ». .
فأطلقته وقالت : « أما الفرس فلا أغيرها ». .

ورجعت إلى بيته ، فاقتاد أبو محجن الفرس فأخرجها من الباب الخلفي
للقصر المواجه للخندق وكانت يقال لها اللقاء ، فركبها ثم دبَّ عليها واتجه إلى
الميمنة حيث قومه من بني ثقيف فكبّر وحمل على ميسرة الفرس يلعب برمته
وسيفه بين الصفين [قال بعضهم إن اللقاء كانت بسرجها وقال آخرون بل كانت
غيرها] . ثم رجع من خلف المسلمين واتجه إلى الميسرة فكبّر وحمل على ميمنة
المجوس يلعب بين الصفين برمته وسلامه . ثم رجع من خلف المسلمين إلى القلب
فبرز أمام الناس فحمل على العجم يلعب بين الصفين برمته وسلامه فكان يقصص
المجوس ليتلئذ قصصاً منكراً ولا يحمل على رجل إلا قتله ودق صلبه ، والناس
منه في أشد العجب وهم لا يعرفونه ، ويغلب على ظننا أنه كان ملثماً إذ لو كان

حاسِر الوجه لعْرَفُوهُ وَلَمْ يَكُنْ أَحَدْ قَدْرَاهُ بِالنَّهَارِ ، فَقَالَ بِعِصْمِهِ لِعَلِهِ أَوَّلَ حَسَابَ هَاشِمَ بْنَ عَتْبَةَ أَوْ لِعَلِهِ هَاشِمَ نَفْسَهُ . وَظَلَّ أَبُو مُحَجْنَ يَحْمِلُ عَلَى الْعَجْمِ فَلَا يَقْفَزُ بَيْنَ يَدِيهِ أَحَدٌ . لَقَدْ كَانَ فَارسًا شَدِيدًا مُغَوَّرًا وَلَعِلَّ حَبْسَهُ يَوْمَ أَرْمَاثَ وَيَوْمَ أَغْوَاثَ قَدْ حَالَ دُونَ إِجْهَادِهِ فَكَانَ جَمَ النَّشَاطِ مُوْفَورَ الْقُوَّةِ وَالنَّاسُ

مَتَّعِبُونَ .
وَكَانَ سَعْدُ مِنْ أَحَدِ النَّاسِ بَصَرًا فَجَعَلَ يَنْظُرُ إِلَيْهِ فِي ظَلَامِ اللَّيْلِ وَهُوَ مَشْرُفٌ

مَكْبُ منْ فَوْقِ الْقَصْرِ وَيَقُولُ :
« مَنْ ذَلِكَ الْفَارِسُ ؟ الضَّبْرُ ^(١) ضَبْرُ الْبَلَقَاءِ وَالْطَّعْنِ طَعْنُ أَبِي مُحَجْنٍ وَأَبِي مُحَجْنٍ فِي الْقِيدِ . وَاللَّهُ لَوْلَا مُحَسِّنُ أَبِي مُحَجْنٍ لَقُلْتَ هَذَا أَبُو مُحَجْنَ وَهَذِهِ الْبَلَقَاءُ » .
وَقَالَ بِعِصْمِهِ لَوْلَا أَنَّ الْمَلَائِكَةَ لَا تَبَاشِرُ الْقَتَالَ لَقُلْنَا مَلَكٌ يَشْبَتُنَا . وَلَا يَذْكُرُ
النَّاسُ أَبَا مُحَجْنٍ وَلَا يَأْهُلُونَ لِهِ لَعْنَهُمْ أَنَّهُ بَاتَ فِي مَحْسِنَهِ .

سَعْدُ يَنْامُ فِي الْمَعْرِكَةِ

وَلَمْ يَكُنْ سَعْدٌ يَتَوَقَّعُ تَطَوُّرَاتٍ جَدِيدَةً فَنَامَ وَقَالَ لِبَعْضِ مَنْ عَنْهُ :
« إِنْ تَمْ نَاسٌ عَلَى الْأَنْتَهَى [طَلَوْا عَلَيْهِ] فَلَا تَوْقُظُنِي فَإِنَّهُمْ أَقْوَيَاءُ عَلَى عَدُوِّهِمْ ،
وَإِنْ سَكَتُوا وَلَمْ يَنْتَمِ الْآخَرُونَ فَلَا تَوْقُظُنِي فَإِنَّهُمْ عَلَى السَّوَاءِ ، فَإِنْ سَعَتُهُمْ يَنْتَمُونَ
فَأَيْقُظُنِي فَإِنْ انْتَهُمْ مِنَ السَّوَاءِ » .
لَا شَكَّ أَنْ نَوْمَ سَعْدٍ يَدُلُّ عَلَى مِنْتَهِي مَا يَحِبُّ أَنْ يَتَحَلَّ بِهِ الْقَائِدُ مِنْ
هَدْوَهُ الْأَعْصَابِ ... أَنْ يَنْامَ وَالْمَعْرِكَةُ عَلَى قِيدِ أَمْتَارِهِ . وَلَكِنَّ هَذَا الْمَسْلَكُ

مِنْ سَعْدٍ صَوَابٌ هُوَ أَمْ خَطَا ؟
لَقَدْ رَأَيْنَا مِنْ كُبَارِ الْقَادِّةِ فِي تَارِيْخِ الْعَالَمِ مِنْ سَارَ عَلَى هَذَا النَّهْجِ يَقْلِدُهُ . فَهَذَا
نَابِلِيُونَ بُوْنَابِرْتُ فِي الْقَرْنِ التَّاسِعِ عَشَرِ الْمِيلَادِيِّ كَانَ يَنْامُ فِي مَعَارِكِهِ . نَامَ فِي
مَعْرِكَةِ أُوْسْتَرَلِيَّتِرِ بِالنَّمْسَا مِنْ أَكْبَرِ وَأَشَهَّ مَعَارِكِهِ وَنَامَ فِي غَيْرِهَا وَكَانَ يَقُولُ إِنَّهُ

٩٤ / ٢ - بَلَوْغُ الْأَرْبَعِ - فَذِكْرُ الضَّبْرِ - فَوْتُبُ فَوْتُبُ مُجَمَّوِعَةِ يَدَاهُ

(١) إِذَا جَمَعَ الْفَرَسَ يَدِيهِ فَوْتُبُ فَوْتُبُ مُجَمَّوِعَةِ يَدَاهُ فَذِكْرُ الضَّبْرِ - (الْقَادِسِيَّةُ - ١١)

يتغاءل من ذلك وأن أحسن أخبار معاركه ما كان يأتيه وهو نائم يوقظوه^(١) به. مثال آخر . الفيلد مارشال مونتغومري الذي قاد الجيش الثامن البريطاني في صحراء مصر الغربية في الحرب العالمية الثانية ، وقاد الجيوش البريطانية في غزو أوروبا ، والذي يُعد من أعظم قادة هذه الحرب ، كتب في مذكراته يقول في معرض وصفه لليوم الأول من معركة هي من أكبر معارك الحرب العالمية الثانية وأشدّها حسماً ، تلك هي معركة العلمين الذي هجمت فيه قواته على القوات الألمانية والإيطالية يقودها القائد الألماني الشهير رومل :

في صباح ^(٢) ٢٣ أكتوبر (تشرين الأول) [١٩٤٢] تصفحت جرائد اليوم . وبعد الظهر ذهبت قديماً إلى مركز قيادي بالميدان الذي أقيم بالقرب من مركز قيادة الفرقة الثلاثين . وفي المساء قرأت كتاباً ثم توجهت إلى فراشي مبكراً . وفي العاشرة إلا ثلثاً مساء فتحت فوهة ما يزيد عن ألف مدفع غلالة من النيران وتحرك الجيش الثامن للهجوم بذريعة ١٢٠٠ دبابة . في هذه اللحظة كنت أغط في نومي في عربة النوم الخاصة بي ، لم يكن هناك ما أستطيع أن أفعل وكانت أعلم أن الأمر سيحتاج إلى ذلك . في كل معركة دائماً ما تكون هناك أزمة حينها يتأرجح مصيرها في الميزان ، وكان في تقديرني أن أحصل على ما أستطيع من الراحة حين يتسمى لي ذلك . لقد أصبحت عين الصواب إذ فعلت ذلك فقد كان تدخلني مطلوباً بأسرع مما كنت أتوقع .

وانتصف الليل فتحاجز العجم وتراجع المسلمين وأسرع أبو محجن فأقبل حتى دخل من حيث خرج ووضع عن نفسه وعن دابته وأعداد رجليه في قيده وأنشد وهو مقتبط سعيد :

لقد علمت ثقيف غير فخرٍ بـأنا نحن أكرمهـم سيفا

(١) تابليون ، اميل لودفيج .

The Memoirs Field Marshal Viscount Montgomery. (٢)
p. 128 - 23. 10. 42.

وأصبرهم إذا كرهوا الوقوفا
فإن عَمِيوا فَسَلْ بِهِمْ عَرِيفا
وليلة قادسٍ لم يشعروا بي
وإن أُتْرَكَ أَذِيقُهُمْ الْحُسْنَوْفَا

وأكثُرُهُمْ دروعاً سابعاتٍ
وأَنَا وفَدُهُمْ في كل يوم
وليلة قادسٍ لم يشعروا بي
وإن أُحْبَسَ فَذَلِكَ بِلَائِي

لماذا أغوات

عرفنا لماذا أطلق على الأمس اسم أرماث . ونظن أن علة اسم معركة اليوم
— أغوات — قد بات الآن مقبولاً، فهو اليوم الذي بلغ الغوثُ فيه المسلمين بوصول
القعقاع وطلائع جيش خالد واحتراكتها في المعركة وبظهور أثرهم وفاعليتهم
فيها ، وأيضاً بغياب الأفیال ذلك السلاح الجبار من الجبهة المحوسبة ، كل أولئك
كان غياثاً لل المسلمين استحق به اليوم اسم أغوات .

الباب الثامن

عما س

السبت ١٥ شعبان ١٥ هـ - ٢١ سبتمبر (أيلول) ٦٣٦ م

اليوم الثالث

هذا هو اليوم الثالث على التوالي من أيام القادسية . أصبح المسلمون على مواقفهم وأصبح المجوس على مواقفهم . وكان ما بين المسلمين والمجوس بطول ميل في عرض ما بين الصفين مثل الرجلة الحمراء مما خالطه من دماء^(١) . وكانت سلمى ما زالت مغاضبة لسعد منذ لطمها يوم أرماث ، وفي هذا الصباح أتته فصالحته وأخبرته خبرها وخبر أبي محجن فساحه سعد ودعا به فأطلقه^(٢) .

نخلة على طريق العذيب

جمع المسلمون شهداءهم وجرحاهم الذين أصيروا يوم أغوات فـ كانوا جميعاً ألفين ، جمعوهم من الميدان فأحرزوه خلف صفوفهم وقال لهم سعد : « من شاء غسل الشهداء ومن شاء فليدفنهم بدمائهم » .
كذلك حكم الشرع . وأقبل رجال حاجب بن زيد الانصاري يحملون الشهداء

(١) الطبرى ٣ / ٥٠٥ السري عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة وزياد بإسنادهم .

(٢) في رواية الطبرى عن ابن اسحق أن قصة أبي محجن كانت مع الزبراء ، وتذهب الى أن سعداً نزل من رأس الحصن فرأى فرسه تعرق فعرف أنها قد ركبت فسأله زبراء (أم ولده) عن ذلك فأخبرته خبر أبي محجن فخلع سبيله . (الطبرى ٤ - ١٣٩) .

والجرحى الى العذيب . وسار حاجب ومن معه بذلك الموكب الحمتل على الإبل
ففروا بنخلة بين القادسية والعذيب ليس بينهما يومئذ نخلة سواها فبدت في أعين
الجرحى وكأنها واحة غذاء في تلك الصحراء . فكانوا إذا بلغوها وبالجرحى
أحد يعقل ويدرك ما حوله سألهم أن يقفوا به تحتها يسترخوا إلى ظلمها ، فإذا
وقفوا جرت ألسنتهم بما درجت عليه طبيعتهم العربية من تسجيل تلك المواقف
تسجيلاً شعرياً .

قال رجل يدعى بحيراً وهو مستظل بظلها :

ألا يا أسلمي يا نخلة بين قادسٍ وبين العذيب لا يجاورك النخلُ

وقال جريح منبني ضبة [من الرابب] أو منبني ثور يدعى غيلان :

ألا يا أسلمي يا نخلة بين جرعةٍ يجاورك الجمان دونك والرغلُ

فجاوبها ربعي - جريح منبني تم الله :

أيا نخلة الجرعة يا جرعة العدى سقتك الغوادي^(١) والغيوث الهواطل

فقال الأعور بن قطبة - الذي قتل شهربراز سجستان وأصابه هذا :

أيا نخلة الرُّكبان لا زلت فانفرى ولا زال في أكناف^(٢) جر عائق النخل

وقال عوف بن مالك التميمي - ويقال التميمي تم الرابب :

أيا نخلة دون العذيب بستلعةٍ سقيت الغوادي المدجنات من النخل^(٣)

الشهداء والقتلى

وفي العذيب كان نساء المسلمين وصبيانهم يحفرون القبور في اليومين يوم أرماث
ويوم أخوات يحياني وادي مشرق ، فدفنوا بها ألفين وخمسمائة من أهل القادسية
ومنهم من شهد الأيام قبلها في فتوح العراق .

(١) السحاب .

(٢) الأكناف : الجوانب - السرير للمرد - يقال فلان في كتف فلان يعني في ظله .

(٣) التلعة ما ارتفع من الأرض وما انبطق فهو من الأضداد - المجنات ذات الغيم .

أما قتلى المحسوس فقد بلغوا عشرة آلاف وقد أضيعوا فتركت جثثهم ملقاة حيث قتلت ركابها لا يعرضون لموتاهم ولا يهتمون بحملهم فكان مكابحهم مما صنع الله المسلمين يشد بها أزرهم ويغتُ في معنويات الفرس . ولقد مر^١ بنا حين أفرادنا فصلاً خاصاً عن المحسوسية في الطريق إلى المدائن أَنَّ ذلك الدين كان يحرّم دفن الموتى !! وإنما كانوا يتركون جثثهم لجوارح الطير تنهشها .

شم جا، هاشم

وكان في يوم عباس قعقاعية جديدة إذ بات القعقاع ليتله كلها يسرّب أصحابه سراً إلى المكان الذي فارقهم فيه من الأمس وقال لهم : « إذا طلعت لكم الشمس فأقبلوا مائة مائة كما توارى عنكم مائة فليتبعها مائة » ، فإن جاء هاشم فذاك وإلا جددتم للناس رجاءً وجداً » .

ولم يشعر بهم وهم يخربون أحد من جنود المسلمين . وأخذ المسلمون مواقفهم في وقت مبكر قبل طلوع الشمس ، ووقف القعقاع ينظر ويتطلع نحو الطريق ملقياً في روع المسلمين أنه يتوقع هاشماً وأصحابه ، فلما ذر^٢ قرن الشمس من وراء الأفق طلعت نواصي الحيل فكثّر القعقاع وكثّر المسلمون وقالوا جاء المدد . وكان عاصم بن عمرو قد صنع برجاته مثل صنع القعقاع فجاءوا من جهة خفان وانتعش المسلمون لذلك فتقديم فرسانهم للطراز وتكلبت كثائبهم فتبادلوا الطعن والضرب ومددهم متتابع كلها وصلت مائة شدّ وصوّلها من أزر المسلمين ، فما جاء آخر أصحاب القعقاع حتى انتهى إليهم هاشم في سبعينات من أصحابه ، فأذبّروه برأي القعقاع وما صنع في يوميه ، فعُبس هاشم أصحابه سبعين سبعين لتنلاحق قطعة وراء قطعة ، وخرج هاشم في أول سبعين منهم معه فيهم قيس بن هبيرة^(١) بن عبد يغوث قائد ميمنته وكان قيس قد فقد إحدى عينيه في

(١) فتوح البلدان ٦٣٥ . وينهّب البلاذري إلى أنّ قيس بن هبيرة بن مكشوح المرادي كان على سبعينات .

اليرموك . وكان فيهم أيضاً سعيد بن ثران الهمداني ^(١) . ويبدو من هذا أن ميمونة هاشم كانت من أهل اليمن القحطانية . وأقبل هاشم حتى إذا خالط القلب كبر وكبر المسلمين وهم في مصافهم ^(٢) .

رجوع الفيلة

في هذا اليوم - عmas - عادت الفيلة إلى الظهور ، فقد ظل الفرس نهار أغواط وباتوا في علاج توابيتها حتى تم لهم إصلاحها فأصبحوا على موافقهم وقد أخذت الفيلة أماكنها بينهم . وكان رستم يدرك أن ما حدث للفيلة يوم أرماث يمكن أن يحدث مرة أخرى ولذلك اتخذ إجراء مضاداً فجعل مع كل فيل حماة من المشاة يحمونه أن تقطع أحزمته ، وجعل مع هؤلاء الحماة فرساناً يحمونهم ، فكانوا إذا أرادوا الهجوم على كتيبة دلفوا لها بفيل وحوله حماة لينفروا به خيلها . غير أن الفيلة لم تكن يوم عmas كما كانت يوم أرماث ، فإن الفيل إذا كان وحده ليس معه أحد كان أوحش مما إذا أطافوا به كما هو الآن كان آنس.

الطراد والمبارة

وقال هاشم : « أول القتال المطاردة ثم المramaة » . وأخذ قوسه فوضع سهماً على كبدتها ثم نزع فيها فرفعت فرسه رأسها فجأة - وكان لا يقاتل إلا على فرس أنسى لا يقاتل على ذكر - فقطع أذنها ، فضحك وقال : « واسوأاته من رمية رجل كل من رأى ينتظره . أين ترون سهمي كان بالفأـلـوـ لم يصب أذن الفرس ؟ »

(١) الطبرى ٣ / ٥٥٢ س ش س عن الجمالد عن الشعبي .
الاستيعاب ٢ / ١٤ ، الإصابة ٣٦٨٤ .

(٢) الطبرى ٣ / ٥٥٢ س ش س عن محمد وطلحة وزياد .
« ٣ / ٥٥٣ « « عن عمرو بن الريان عن اسماعيل بن محمد وقال كنا نرى أنه كان في الميمنة .

« ٣ / ٥٥٣ س ش س عن جحدب بن جرعب عن عصمة الوابلي .

قالوا : « كان يبلغ كذا وكذا » [وفي رواية أنه قيل كان يبلغ العتيق] .
 فأجال فرسه ثم نزقها وقد نزع السهم ثم ضربها حتى بلغت حيث قالوا ثم
 ضربها فأقبلت به تخرقهم حتى عاد إلى موقفه . ورواية أخرى تذهب إلى أنه
 أجال فرسه [دار بها] ثم نزل وتركه وخرج اليهم يضربهم حتى بلغ حيث
 قالوا . وما زالت قواطه تصل تباعاً .
^(١)

وخرج رجل من ميسرة المحوس بين الصفين أمام بني عبد قيس فهدر وشقشق
 ونادى : « من يبارز ؟ » فلم يجده أحد .

فقال شُبْرِنْ بن علقمة – وكان قصيراً دمياً : « يا معاشر المسلمين قد أنصفكم
 الرجل فلم يجده أحد ولم يخرج إليه أحد، أمَّ والله لولا أن تزدروني لخرجت إليه ».
 فلما لم ينفعه أحد أخذ سيفه وحجهته وتقدم سائراً على رجليه . فلما رأه
 الأعجمي هدر وصاح ثم نزل إليه من على فرسه وقد ربط جمامها بحزامه وهجم
 على شُبْرِنْ فاحتمله فجلس على صدره ثم استل سيفه ليذبحه فتحرك الفرس فجذبه
 باللجام المثبت بحزامه فقلبه عن شبر واستمر الفرس يسحب صاحبه على الأرض
 فقام شبر مسرعاً وأقبل عليه فافتشره فصاح الفرس به فقال لهم :
 « صيحووا ما بدا لكم فوالله لا أفارقه حتى أقتله وأسلبه » .

فذبحه وأسلبه ثم أتى به سعداً . فقال : « إذا كان حين الظهر فأنتي » .
 فواه بالسلب فحمد سعد الله وأثنى عليه ثم قال :
 « إني رأيت أن أخله إياه وكل من سلب سلباً فهو له » .

فباعه بائني عشر ألف درهم^(٢) . يروي ابن حجر العسقلاني عن شبر بن علقمة
 العبدى قال :

(١) الطبرى ٣ / ٥٥١ س ش س عن محمد وطلحة وزياد .

« « « عن عمرو بن الريان عن اسماعيل بن محمد بن سعد .

(٢) الطبرى ٣ / ٥٥٤ « « « عن عبد الله بن المغيرة العبدى عن الأسود بن قيس عن
 أشياخ لهم شهدوا القادسية .

« بارزت رجلاً يوم القادسية فقتله فبلغ سلبه اثني عشر ألفاً فنفلني الأمير سعد سلبه » ^(١) .

كان شبر بن علامة نوذجاً لرجل فقدَ بسطة الجسم وقوته ولكنه لم يفقد إيمانه ومعنويته وفتواه قلبه .

وقام قيس بن المكشوح في الميسرة فقال :

« يا معاشر العرب إن الله قد منَ عليكم بالإسلام وأكركم بمحمد ﷺ فأصبحتم بنعمة الله إخواناً ، دعوتكم واحدة وأمركم واحد بعد إذ أنتم يعودون بعضاكم على بعض عدو الأسد ويختطف بعضكم بعضاً اختطاف الذئاب ، فانصروا الله ينصركم وتنجذبوا من الله فتح فارس ، فإن إخوانكم أهل الشام قد أنجزوا الله لهم فتح الشام وانتشال القصور الهمر والمحصون الهمر » ^(٢) .

ونظر عمرو بن معدى كرب إلى فيل كان تجاهه وقال لمن معه منبني زبيد [في الميسرة] : « إني حاصل على الفيل ومن حوله فلا تدعوني أكثر من جزْر جَرْوَر [مقدار ذبح جمل] فإن تأخرتم عنى فقدتم أبا ثور فإني لكم مثل أبي ثور . فإن أدركتموني وجدتوني وفي يدي السيف » .

ثم حمل عليهم فما اثنى عن عزمه حتى ضرب فيهم وستره الغبار عن أصحابه . فقالوا : « ما تنتظرون ؟ ما أنتم بخلقاء أَنْ تدركونه وإن فقدته فَقَدَّ المساكون فارسهم » .

فحملوا حملة فانفرج الفرس عنه وقد أوقعوه وطعنوه وطمنوا فرسه وما زال سيفه في يده يضاربهم به . فلما رأى أصحابه وقد مر به رجل من العجم على فرس له ، أخذ عمرو برجل الفرس فلما حرّكه راكبه اضطرب والتفت الفارس إلى عمرو فهم به ولكن المسلمين حملوا عليه فنزل عن فرسه - الذي قيد عمرو أقدامه - وجرى نحو أصحابه .

(١) الاصابة ٣٩٥٦ .

(٢) الطبرى ٣ / ٥٤٥ من شس عن أبي كبران الحسن بن عقبة .

قال عمرو : « أَمْكَنْتِي مِنْ لِجَامِهِ » .
فَأَمْكَنْتُهُ ^(١) مِنْ فَرَكِيهِ بِدَلَّا مِنْ فَرَسِهِ .

الأفيال في المعركة

وَاسْتَعْمَلَ الْفَرَسُ الْأَفِيَالَ فَوْجُهُوَا ضَدَّ كَتَابِ الْفَرَسَانِ فَعَادَتْ تَفَرِّقُهَا كَيْوَمْ أَرْمَاثَ . فَلَمَّا رَأَى سَعْدَ ذَلِكَ أَرْسَلَ إِلَى الْفَرَسِ الَّذِينَ أَسْلَمُوا وَانْضَمُوا إِلَيْهِ ، ضَخْمٌ وَمُسْلِمٌ وَرَافِعٌ وَعَشَّنَتْقُ ^(٢) وَالرُّفَيْلُ وَأَصْحَابِهِمْ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ . فَسَأَلُوكُمْ عَنِ الْفِيَلَةِ وَهُلْ هُنَّا مُقَاتِلُوكُمْ ؟

فَقَالُوكُمْ : « نَعَمْ . الْمَشَافِرُ وَالْعَيْوُنُ لَا يَنْتَفِعُ بِهَا بَعْدَهَا » .

وَكَانَ أَكْبَرُ الْأَفِيَالِ فِيلَانُ وَضَعْهَا ^(٣) رَسْتَمُ فِي الْقَلْبِ أَحَدُهُمَا أَبْيَضُ وَكَانَ أَمَامُ بَنِي تَمِّ وَالثَّانِي أَجْرَبُ وَكَانَ حِيَالُ بَنِي أَسْدُ . وَكَانَتْ جَمِيعُ الْفِيَلَةِ الْأُخْرَى آلَفَةً لِهَذِينِ الْفِيلَيْنِ تَقْدِهِمَا وَتَتَبَعُهُمَا . فَأَرْسَلَ سَعْدٌ إِلَى الْقَعْقَاعِ وَعَاصِمِ بَنِي عُمَرٍ وَ :

« أَكْفِيَانِي الْفَيْلُ الْأَبْيَضُ » .

وَأَرْسَلَ إِلَى حَمَالِ بْنِ مَالِكٍ – أَمِيرِ الْمَشَافِرِ – وَالرَّبِيلِ بْنِ عُمَرٍ وَ :

« أَكْفِيَانِي الْفَيْلُ الْأَجْرَبُ » .

وَأَوْضَحَ لَهُمْ مُقَاتِلَ الْأَفِيَالِ .

(١) الطبرى ٣ / ٥٥٤ س ش عن المقدام الحارثى عن الشعبي .

(٢) « ٣ / ٥٥٥ » « ٤ / ٥٥٥ » عن محمد وطلحة وزياد .

وَمُسْلِمُ هُوَ الَّذِي أَسْرَهُ طَلِيْحَةُ بْنُ خَوَيْلَةَ فِي غَارَتِهِ عَلَى مَعْسَكِ الْفَرَسِ بِالنَّجَفِ وَجَاءَ بِهِ إِلَى سَعْدِ فَأَسْلَمَ . وَالرُّفَيْلُ هُوَ الَّذِي رَغَبَ فِي الْإِسْلَامِ بَعْدَ أَنْ رَأَى رَسْتَمَ فِي الْمَنَامِ وَهُوَ بِالنَّجَفِ أَنْ مُلَكًا خَتَمَ سَلَاحَ أَهْلِ فَارِسٍ ثُمَّ دَفَعَهُ إِلَى النَّبِيِّ فَدَفَعَهُ إِلَى عَمِّ رَسُولِهِ ، فَلَمَّا بَلَغُوا الْعَتِيقَ عَبْرَ الْقَنْطَرَةِ وَمَالَ إِلَى زَهْرَةِ فَأَسْلَمَ . أَمَّا الْآخَرُونَ ضَخْمٌ وَرَافِعٌ وَعَشَّنَتْقُ فَلَمْ نَقْفُ عَلَى قَصْصِ إِسْلَامِهِمْ .

(٣) نفس المصدر .

الطبرى ٣ / ٥٥٦ س ش عن الجمالى عن الشعبي .

« ٤ / ٥٥٧ » عن عَمَرٍ وَعَنِ الشَّعْبِيِّ .

فأخذ القعقاع وعاصم رحيم أصهين ليثين ودبّا في كتيبة من خيل و مشاة
وقالا لهم : « اكتنفوه لتحيروه » .

وهم ما معهم فأطافوا به و خالطوا حراسه والتحموا معهم . و ظلَّ الفيل
متخبطاً ينظر ينثة و سرة وهو متخيّر ، فحمل القعقاع و عاصم على الفيل وهو
متشارغل بن حوله فوضعا رحيمها معاً في وقت واحد و تنسيق في عينيه . و جلس
الفيل على يديه و رجليه و نقض رأسه فألقى سائسه من فوقه و دلتى خرطومه ،
فقل القعقاع رمحه إلى يسراه واستلَّ سيفه فنفع الخرطوم فقطعه ورمى به على
الأرض ، وقع الفيل على جنبه وقد أعمى ، و سقط من كان في التابوت فوقه
فقتلتهم كتيبة القعقاع و عاصم .

وفي نفس الوقت كان حمال بن مالك والربيل بن عمرو يقولان لبني أسد :
« يا معاشر المسلمين أي الموت أشد؟ »

قالوا : « أن يشد على هذا الفيل » .

فخرجا إليه في خيل و مشاة حتى أطافوا بالفيل الأجرب عن عينيه و شماله
ليحيروه وقال حمال للربيل :

« اختر إما أن تضرب المشفر [بالسيف] وأطعن في عينه [بالرمح] أو
تطعن في عينه وأضرب مشفره » .

فاختار الربيل أن يضرب الخرطوم . و حملأ مع كتيبتهما فلما تشارغل الفيل
بملاحظة من أحاط به من المسلمين و انشغل سائسه أيضاً لا يخاف إلا على بطانه
[أحزمته] فقد كان ما زال معقداً من تقطيع أحزمة الأفيال يوم أرماث ،
فكان مشغولاً بذلك ينظر إلى أجنباه وإلى خلفه في ملاحظة مستمرة لأولئك
الذين أحاطوا به . إذ ذاك نفذ حمال والربيل ونزعَا فرسيهما [غمازاهما] حتى
إذا قاما على أطراف حوافرهما ضرباها على الفيل و سدد حمال طعنة برمته إلى
عين الفيل ، و فوجيء الفيل بالرمح في عينه قد عوره فأقعى على إسته مفترشاً
رجليه و ناصباً يديه و وطئه من خلفه من العجم ثم استوى و اقفأ فنفع الربيل

خرطومه بسيفه فقطعه وبصر سائسه بالريل فضربه على وجهه وجئنه بالطبرzin^(١) ضربة منكرة حطم بها أنفه غير أنه أفلت بها .

وبقي الفيل الأبيض - الذي أعممه القمعان وعاصم وقطعها خرطومه - متلداً بين الصفين ، كلما أتى صف المسلمين وخرزوه وإذا أتى صف المجروس نحسوه وهو يصبح صياغ الخنزير . وولتى الفيل الأجرب - الذي عوره مالك والريل - وهو يصبح أيضاً فرق غاضباً بين صفوف الفرس يدوسهم ، وأثار صياغه انتباه الأفيال الأخرى والتقتت إليه فرأته يشب في العتيق فاتبعته كلها وخرقت صفوف الأعاجم وعبرت العتيق في أثره وظللت منطلقة حتى بلفت المدائن في توابيتها وقد هلك من كان فيها .

الزحف بعد الظهر

تم إخراج الأفيال من المعركة قبل الظهر فلما ذهبت^(٢) وخلص المسلمون بالفرس ومال الظل تزاحف المسلمون وهم ملهم فرسانهم الذين قاتلوا أول النهار فاجتذبوا بالسيوف على حرص حتى المساء . وتكلبت كتائب الإبل المجنفة المبرقعة فكلوا يضر بohnها على عرقوبها لتقدم وكسكروا عنها فحموها . وفي ذلك قال القمعان بن عمرو :

حضرضَ قوميَّ مَضْرَحِيُّ بْنَ يَعْمَرَ فَلَهُ قَوْمٌ حِينَ هَزَّوا العَوَالِيَا
وَمَا خَامَ عَنْهَا يَوْمَ سَارَتْ جَوْعَنَّا لِأَهْلِ قَدِينَ يَمْنَوْنَ الْمَوَالِيَا
فَإِنِّي كَنْتُ 'قَاتِلَاتُ' الْعَدُوِّ فَلَلَّتْنَهُ فَإِنِّي لِلْأَنْقَى فِي الْحَرْبِ الدَّوَاهِيَا
فِي وَلَا أَرَاهَا كَالْبُيُوتُ 'مُغَيْرَةً' أَسْمَلَ أَعْيَانَاهَا وَمَا قِيَا
أَمْسَى النَّاسُ يَوْمَ عَمَاسٍ وَطَعْنَوْا فِي اللَّيْلِ وَهُمْ عَلَى قَتَالٍ . وَكَانَ عَشْرَةُ إِخْوَةٍ

(١) في المجد ، الطبر و الطبرzin : الفأس من السلاح وما من الدخيل (على العربية) اهـ . وهو نوع من البطة كان يتسلح بها الأفيال وظهر استعماله في الجيوش الفارسية القديمة والتركية بعد ذلك ، راجع « الطريق إلى المدائن » فصل النظام الحربي للفرس - دار النفائس .

(٢) الطبرى ٣ / ٥٥٦ س ش عن محمد وطحة وزياد .

من بنـي كـاـهـلـ بـنـ أـسـدـ يـقـالـ لـهـمـ بـنـوـ حـرـبـ هـمـ عـفـاقـ بـنـ حـرـبـ وـإـخـوـتـهـ فـكـانـ
أـحـدـهـمـ (١) يـرـجـزـ لـيـلـتـئـدـ وـيـقـولـ :

أـنـاـ اـنـ حـرـبـ وـمـعـيـ مـحـرـاقـ أـضـرـبـمـ بـصـارـمـ رـقـرـاقـ
اـذـكـرـهـ الـمـوـتـ أـبـوـ اـسـحـاقـ وـجـاـشـتـ الـنـفـسـ عـلـىـ التـئـرـاقـ
صـبـرـاـ عـفـاقـ إـنـهـ الـفـرـاقـ

فـأـصـيـبـ فـيـ فـخـذـهـ فـقـالـ :

صـبـرـاـ عـفـاقـ إـنـهـ الـأـسـاوـرـةـ صـبـرـاـ وـلـاـ تـعـرـرـكـ رـجـلـ نـادـرـةـ
فـاـسـتـشـمـدـ مـنـ ضـرـبـتـهـ تـلـكـ .

وـنـاـ إـلـىـ عـلـمـ سـعـدـ أـنـ هـنـاكـ مـخـاـضـةـ أـسـفـلـ مـنـ الـعـسـكـرـ [ـمـرـ ضـحـلـ فـيـ
الـمـسـتـنـقـعـاتـ الـوـاقـعـةـ إـلـىـ يـمـيـنـهـ وـفـيـ الـعـتـيقـ]ـ فـخـشـيـ (٢)ـ أـنـ يـكـوـنـ الـفـرـسـ قـدـ فـطـنـوـاـ
إـلـيـهـاـ فـاـنـتـقـىـ اـثـنـيـنـ مـنـ أـشـدـ فـرـسـانـهـ وـأـقـوـاـمـ وـهـمـاـ طـلـيـحـةـ بـنـ خـوـيـلـ الـأـسـدـيـ
وـعـمـرـوـ بـنـ مـعـدـيـ كـرـبـ الـزـبـيـدـيـ ،ـ فـبـعـثـهـاـ لـيـقـوـمـاـ عـلـىـهـ خـشـيـهـ أـنـ يـتـسـرـبـ الـجـوـسـ
مـنـ جـهـتـهـاـ وـقـالـ لـهـاـ :

إـنـ وـجـدـتـاـ الـقـوـمـ قـدـ سـبـقـوـكـاـ إـلـيـهـاـ فـاـنـزـلـاـ بـجـيـاـلـهـمـ وـإـنـ لـمـ تـجـدـهـمـ عـلـمـواـ بـهـاـ
فـأـقـيـاـ حـتـىـ يـأـتـيـكـاـ أـمـرـيـ .ـ

فـخـرـجـاـ فـيـ بـعـضـ مـنـ مـعـهـاـ وـقـدـ كـانـاـ مـنـ رـؤـسـاءـ أـهـلـ الـرـدـةـ ،ـ وـكـانـ عـمـرـ قـدـ
عـهـدـ إـلـىـ سـعـدـ أـنـ لـاـ يـوـلـيـ أـحـدـاـ مـنـهـمـ عـلـىـ مـائـةـ .ـ فـلـمـاـ اـنـتـهـيـاـ إـلـىـ الـخـاـضـةـ لـمـ يـرـأـيـاـ
فـيـهـاـ أـحـدـاـ .ـ

قـالـ طـلـيـحـةـ :ـ لـوـ خـضـنـاـ فـأـتـيـنـاـ الـأـعـاجـمـ مـنـ خـلـفـهـمـ .ـ

(١) الطبرى ٣ / ٥٥٨ قال : كتب إلى السرى عن شعيب عن سيف عن قدامه الكاهلى
عن حدثه .

(٢) الطبرى ٣ / ٥٥٨ سـ شـ مـنـ عـنـ النـفـرـ عنـ اـبـنـ الرـفـيلـ عـنـ أـبـيـهـ عـنـ حـمـيدـ بـنـ أـبـيـ شـجـارـ .ـ
«ـ عـنـ عـمـرـوـ بـنـ مـحـمـدـ عـنـ عـبـدـ الرـحـمـنـ بـنـ جـيـشـ .ـ (ـ ذـكـرـهـ
ابـنـ حـبـرـ ،ـ عـبـدـ الرـحـمـنـ بـنـ حـبـيـشـ الـأـسـدـيـ)ـ وـكـانـ مـنـ ثـبـتـ عـلـىـ إـسـلـامـهـ فـيـ بـنـيـ أـسـدـ وـفـارـقـ
طـلـيـحـةـ لـمـ اـرـتـدـ الـأـصـابـةـ ٦٣٧٠ وـكـانـ مـنـ رـوـاـتـ الـفـتوـحـ .ـ

فقال عمرو : « لا بل نعبر أسفل » .

فت قال طليحة : « إن الذي أقول أفعى للناس » .

فقال عمرو : « وإنك تدعوني إلى ما لا أطيق » .

فافترقا . فاتجه طليحة بمفرده نحو الأعاجم من وراء العتيق وقد عبره . أما عمرو فقد ساير العتيق إلى أسفل من الموضع الذي عبر منه طليحة ومعه من الجند من كان معه ومع طليحة ثم أغروا فشروا بهم الفرس . وكان الذي خشيته سعد فبعث قيس بن المكشوح المرادي ^(١) في آثارهما في سبعين رجلاً ، وقال : « إن لحقتهم فأذلت عليهم » .

فلما بلغ المخاضة وجد الفرس يكررون عمراً وأصحابه فكفهم قيس عنهم ، ثم أقبل على عمرو يلومه فتجادلاً واستدرا فقام أصحاب قيس لعمرو : « إنه قد أمر عليك » .

ففضب وسكت على مضض ^(٢) وقال :

« يتأمر على رجل قد قاتلته في الجاهلية عمر رجل ! »

تصرف من طليحة

أما طليحة فقد مضى حتى بلغ ردم العتيق خلف جيش الفرس ، فوقف تجاهه ثم كبر ثلاث تكبيرات ثم ذهب فطواه الظلام ، فراع الفرس وتعجب المسلمون وكف بعضهم عن بعض للنظر في ذلك وأرسل الفرس في طلبه فلم يدروا

(١) يقول الطبرى : « وكان من أولئك الرؤساء الذين نهى عنهم أن يوليم المائة » ، وذُكر ذلك خطأ فقد كان قيس بن المكشوح المرادي قائد ميسنة هاشم في انتقاله من الشام إلى العراق ، وكان من الثابتين على إسلامهم حين الردة وكان له دوره وذكره في قمع ردة اليمين .

(٢) كان متابغصين وكانت بينها أمور في الجاهلية ، وفي عمرو قال قيس :

فلو لقيتني لاقت قرناً وودعت الأحبة بالسلام
لملك موعدى ببني زبيد وما قامعت من تلك اللثام
ومثلك قد قرنت له يديه إلى اللحين يتشى في الخطام
الاستيعاب ٣ / ٢٣٥ - الاصابة ٧٣١٥ - ٧٣١٩ - ٧٢٤١ .

أين سلك . وفرح المسلمون وسألوا عن ذلك وما يدرؤن ما هو . وسفل طليحة حتى خاض المخاضة ثم أقبل إلى العسكر فأتى سعداً وأخبره بما كان .

لماذا عباس

كان التفوق ظاهراً للفرس يوم أرماث . وكان التفوق ظاهراً للمسلمين يوم أغوات . أما يوم عباس فقد كان من أوله إلى آخره شديداً : المسلمين والجوس فيه على السواء . ولا يكون شيء إلا تناقله الرجال بالأصوات حتى بلغ يزجراً الثالث بن شهريار في إيوانه ، وقد بعث اليهم بأهل النجدة من بقي عنده فقووا به ، فلولا ما ألم الله القعقاع في اليومين وما أتيح لهم بوصول هاشم لكسر ذلك المسلمين . وقد انتهى الظرفان يوم عباس على سوء كلهم على ما أصابه كان صابراً، وكلما بلغ المسلمين من الجوس بلغ الجوس من المسلمين^(١) مثله . عرفنا تعليينا لمعنى اسم اليوم الأول من أيام القادسية - أرماث ، وكذلك لمعنى اليوم الثاني أغوات . وقبل أن نمضي مع الأحداث نفسر معنى يوم عباس وليلة الهرير .

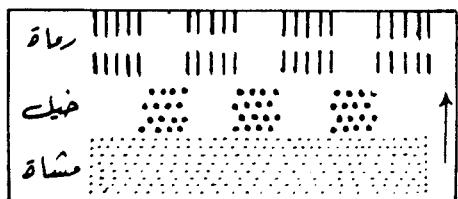
في اللغة يقال : عَمِسَ الْيَوْمُ وَعَمِسَ إِذَا اشْتَدَ وَأَظْلَمَ ، ويوم عباس شديد وحرب عباس وعميس شديدة ، وليل عباس شديد الظلم^(٢) . والعباس أيضاً الأسد الشديد . ولقد كان يوم عباس يوماً شديداً يفسر لنا اسمه على هذا الضوء . والهرير من هر الكلب هريراً إذا صات دون نباح . ويقال : هررت القوس صوتت . والهار : الكلب إذا كثُر عن أنيابه . ولقد كانت ليلة الهرير أصواتاً في صمت دون كلام ومن ذلك اكتسبت اسمها .

(١) الطبرى / ٥٥٣ م ش م عن مجاهد عن الشعبي .

(٢) المنجد .

ليلة الهرير

كان حادث طليعة هذا الذي أدى إلى تجاوز الطرفين مهلة لتجديد التعبئة .
فكان المسلمون على تعبئتهم السابقة في ثلاثة صفوف . الصفوف الأولى للرماة ،
والصفوف الثانية للخيول ،
والصفوف الثالثة للرجال المشاة
من حملة الرماح وأصحاب السيف
بطول الجبهة .

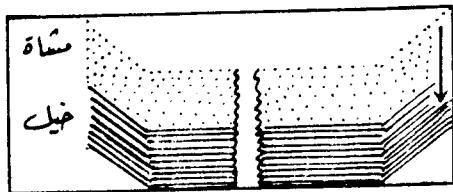


شكل رقم (١) تعبئة المسلمين

للطراد ، فخرج عبد الله بن
ذي السهمين الحشمي وخرج

مسعود بن مالك الأستدي وقيس بن هبيرة الأستدي وعاصم بن عمرو التميمي
وابن ذي البردين الهلالي وأمثالهم ، فانبعثوا للقتال . ولكن الفرس لم يتمحر كوا
إذا هم ملئ لا يشدون ولا يريدون غير الزحف ، وإذا رسم قد جدد تعبئته على
أمر لم يكونوا عليه في الأيام الثلاثة السابقة . لقد رأى في المبارزات السابقة أن
المستوى القتالي للمسلمين يفوق المستوى الفارسي وأن النتيجة كانت دائمًا في غير
صالحه فقرر أن يكون قتاله الليلة زحفاً لا كرآ وفرآ . فقدم صفاً من الفرسان في
القلب له أذنان في الجنبيتين واتبعه آخر مثله ، وآخر حتى تمت صفوفه من الشيل
ثلاثة عشر صفاً .

وأقدم فرسان المسلمين يبغون الطراد والبارزة فلم يخرج إليهم أحد ، فرمومهم بالنبال فلم يثنهم ذلك عن ركوبهم وهم على مواقفهم . ثم تكتبت الكتائب من مشاهم خلف فرسانهم .



شكل رقم (٢) تبعية الفرس

هذا الذي فعله رستم في صف صفوفه ليلة المهرir هو الذي وصف الصابط الروماني أمين مارسلين شبيهاً له وأثبتناه في الجزء الأول من كتاب «الطريق إلى المداين» فصل «النظام الحربي للفرس» من باب «فارس تحت حكم الساسانيين» .

زحف بغير إذن

الفريقيان وقوف كل في انتظار أوامر قياده فيما عدا التراشق بالسهام تذر ذهاباً وإياباً في هذا الاتجاه أو ذاك . وأتى من جهة الفرس سهم مزدلف^(١) فأصاب خالد بن يعمر التميمي [من بني عمرو من تميم] . وبيدو أن القعقاع كان يتشوق للقتال وملّ الوقوف فحركته إصابة خالد فحمل على الجهة التي خرج منها ذلك السهم وقام من معه على ساق فحملوا معه وهو يقول :

سقى اللهُ يَا خَوْصَاءُ قَبْرَ ابْنِ يَعْمَرٍ إِذَا ارْتَحَلَ السَّفَارُ لَمْ يَرْتَحِلْ
سقى الله أرضاً حلتها قبرُ خالدٍ ذِهَابَ غَوَادَ مُذْجَنَاتٍ تَجْلِجِلٌ
فأقسمت لا ينفكُ سيفي يحُسْنُهُمْ فَإِنْ زَحَلَ الْأَقْوَامَ لَمْ أَتَرْتَحِلْ^(٢)

فراحفهم القعقاع - والناس على رايهم وقوف - بغير إذن سعد وبقي

(١) المزدلف الذي يسقط بقرب الهدف ثم يثنق فيصيب الهدف - أنظر الإصابة بالسهام في فصل القوس من باب أسلحة العرب - الجزء الأول من «الطريق إلى المداين» .

(٢) الخواصاء : الريح الحارة يكسر الانسان عينه من حرها ، والظبرة الخواصاء : أشدها حرأ . يحسمهم : يقتلهم . زحل : هرب .

ال المسلمين بسائر الجبهة وقوفاً في انتظار تكبيرات سعد إلا من خرج للطراد أو تكتب مع القعقاع .

قال سعد : « اللهم اغفر لها وانصره ، قد أذنت له إذ لم يستأذني . واقبها سائر الليلة » ^(١) .

وأقر سعد أمام الناس ما فعل القعقاع وقال :

« إن الأمر الذي صنع القعقاع ، فإذا كبرت ثلاثاً فاز حفوا » .

ثم كبر تكبيرة فتهأ المسلمين للزحف ورحي الحرب تدور على القعقاع ومن معه .

وقام قيس بن هبيرة المرادي فقال :

« إن عدوك أبي إلا المزاحفة ، والرأي رأي أميركم وليس بأن تحمل الخيل ليس معها الرجال [المشاة] . فإن القوم إذا زحفوا وطاردهم عدوهم على الخيل لا رجال معهم عثروا بهم ولم يطيقوا أن يقدموا عليها ، فتيسروا للحملة » . [تهيؤوا لها] ^(٢) .

فتهيؤوا وانتظروا تكبير سعد وهجوم المسلمين . حينذاك كانت نشأب الفرس ما زالت تجوز صف المسلمين ورما المسلمين يرمونهم ^(٣) .

وقام الأشمت بن قيس الكندي فقال :

« يا معاشر العرب إنه لا ينفعي أن يكون هؤلاء القوم أجرأ على الموت ولا أخشع أنفساً عن الدنيا . تنافسوا الأزواج والأولاد ولا تجزعوا من القتل فإنه أمني الكرام ومنايا الشهداء » . وترجل عن فرسه ^(٤) .

وقال حنظلة الساكت [بن الريبع - من بني عمرو من تميم] ، وأمراء الأعشار

(١) الطبرى ٥٩/٣ س ش عن النضر عن ابن الرفيل عن أبيه عن حميد بن أبي شجار .

« ٥٦١/٣ » « عن الوليد بن عبد الله بن أبي طيبة عن أبيه .

(٢) « ٥٦٠/٣ » « عن عبيد الله بن الأعلى عن عمرو بن مرة .

(٣) « ٥٦٠/٣ » « عن الأجلح .

« ترجلوا أيها الناس وافعلوا كما نفعل ولا تخذعوا بما لا بد منه فالصبر أنجي من الفزع ». ^(١)

و فعل غالب بن عبد الله الليثي في بني كنانة و طليحة بن خوبيل و حمال بن مالك في بني أسد وأهل النجدات في كل القبائل فعلوا ^(٢) مثل ذلك . و نزل ضرار بن الخطاب القرشي . و كان كل المسلمين في أوج حاسهم و قمة معنوياتهم فاستبطأوا تكبيرات سعد .

وزحوفاً لآخره بغير إذن

فلما كبر سعد التكبيره الثانية لم ينتظر عاصم بن عمرو التكبيره الثالثة فحمل وانضم الى القعقاع . ولم تنتظر أسد أيضاً فزحفت ولحقت بالقعقاع وسعد ينظر اليهم من فوق قديس . قيل حملت أسد .

قال : « اللهم اغفرها لهم وانصرهم ، وأسدوا الليلة ». ^(٣)

وقام دريد بن كعب التخعي وكان معه لواء النخع إحدى قبائل الميسرة فقال : « إن المسلمين قد تهياوا للزاحفة فاسبقوا المسلمين الليلة إلى الله والجهاد ، فإنه لا يسبق الليلة أحد إلا كان ثوابه على قدر سبقه . باتفاقهم في الشهادة وطيبوا بالموت نفساً فإنه أنجي من الموت إن كنتم تريدون الحياة وإلا فالآخرة ما أردتم ». ^(٤)

وحمل وحملت النخع فقيل لسعد : « حملت النخع ». ^(٥)

قال : « اللهم اغفرها لهم وانصرهم ، والخعاه سائر الليلة ». ^(٦)

وكان أرطاة بن كعب بن شراحيل التخعي يحمل لواء النخع الذي كان رسول الله عليه صلوات الله علية وآله وسليمه عقده له يوماً . تقدم به أرطاة فقتل فحمله بعده أخوه دريد [وقيل زيد] بن كعب فقتل ، ثم أخوهما قيس بن كعب فقتل ^(٧) .

(١) الطبرى / ٣٥٦٠ س ش س عن عمرو بن محمد .

(٢) « ٣٥٦٠ / « « عن المستير بن يزيد عن حدثه .

(٣) أسد الغابة ٦٨ - الإصابة ٧٢ - ٢٣٩٥ .

ثم حلت يحيلة فقال سعد : « اللهم اغفرها لهم وانصرهم ، واجيئناته ». وكان أمّا كندة قائد مجوسي يدعى تُرُك الطبرى فقال الأشعث بن قيس : « يا قوم ازحفوا لهم ». ^(١)

فزحف لهم في سبعمائة ، فقيل : « حلت كندة ». قال سعد : « وakanداتا ». ^(٢)

وقتل الأشعث تركاً فقال راجزهم ^(٣) :

نَحْنُ تَرَكَنَا تُرْكَهُمْ فِي الْمَصْنُطَرَةِ مُخْتَضِبًا مِنْ هَبَرَانِ الْأَبَرَةِ
وقال الحارث بن سمي المهداني ^(٤) :

أَقْدَمَ أَخَا فِيمْ عَلَى الْأَسَاوَرَةِ وَلَا تَهَانَ لِرَوْسِ نَادِرَةِ
فَإِنَّمَا قَصْرَكَ مَوْتَ السَّاهِرَةِ ثُمَّ تَعُودُ بَعْدَهَا فِي الْحَافِرَةِ

وتتابعُ أَكْثَرُ النَّاسِ عَلَى الزَّحْفِ فَعَصَمُوا سَعْدًا وَلَمْ يَنْتَظِرُوا التَّكْبِيرَةِ الثَّالِثَةِ
إِلَّا الرَّؤْسَاءِ. ثُمَّ كَبَرَ سَعْدُ الثَّالِثَةِ فَزَحَفَ الرَّؤْسَاءُ بْنَ اَنْتَظَرَهَا فَلَحِقُوا بِأَصْحَابِهِمْ
وَخَالَطُوا الْعِجْمَ الْجَوْسَ وَكَانَ ذَلِكَ بَعْدَ أَنْ صَلَوَ الْعِشَاءَ ^(٥) فَاسْتَقْبَلُوا اللَّيْلَ
وَقَامَتِ الْحَرَبُ عَلَى سَاقِي الصَّبَاحِ وَاحْتَدَمَ الْقَتَالُ بِضَرَّاوةِ وَعَنْفٍ ، وَاجْتَلَدُوا
طَوَالَ اللَّيْلِ لَا يَنْطَقُونَ ، كَلَامُهُمُ الْهَرِيرُ كَأَنَّهُمْ يَضْبِحُونَ مِثْلَ الْخَيْلِ وَلَذِلِكَ سَمِيتُ
لِيَلَةَ الْهَرِيرِ ^(٦) .

وَكَانَ تَجَاهُ جُعْنَفِي [فِي الْمِيسَرَةِ أَيْضًا] كَتِيَّةً مِنْ كَتَابِ الْعِجْمِ عَلَيْهِمُ السَّلَاحُ
الْتَّامُ وَدَرَوْعُ الْحَدِيدِ فَزَحَفَتْ جُعْنَفِي إِلَيْهِمْ وَالْتَّحَمُوا بِهِمْ فَرَأُوا أَنَّ السَّيُوفَ غَيْرَ
مُؤْثِرَةٍ وَلَا تَعْمَلُ فِي الْحَدِيدِ فَارْتَدُّوا عَنْهُمْ .

(١) الطبرى ٣/٦٣ س ش س عن مجالد عن الشعبي .

المصترة : المصاف . مختضباً : قاطعاً . الأبرة : عرق العنق .

(٢) الإصابة ١٩١٩ و قال الحارث بن سمي بن رواس بن دالان بن مصعب بن الحارث بن مرهب . وقيل : إن هذا الرجز لغيره .

(٣) الطبرى ٣/٦١ س ش س عن عمرو والنضر بن السري .

(٤) « ٣/٥٦٢ » عن عمرو عن الأعور ، و محمد عن عمده والنضر عن ابن الرفيل .

فقال لهم حمضة بن النعمان البارقي « مالكم ؟ »

قالوا: «لا يجوز فيهم السلاح».

قال : «كما أنتم حق أريكم» .

وَحَمَلَ عَلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ فَدَأْوَرَهُ حَتَّى دَقَّ ظَهَرَهُ بِالرَّمْحِ ثُمَّ تَفَتَّ إِلَى أَصْحَابِهِ
يُبَشِّرُهُمْ وَيُشَجِّعُهُمْ وَيَقُولُ : « مَا أَرَاهُمْ إِلَّا يَمْتَنُونَ دُونَكُمْ » .

فحملوا عليهم على طريقة حميضة فاز الوهم^(١) إلى موافقهم الأولى.

التحام وحد

وقال أنس بن الحُلَيْفَ: «شهدت ليلة الهرير فكان صليل الحديد فيها كصوت القيون [الحدادين] ليتلهم حتى الصباح أفرغ عليهم الصبر إفراغاً وبات سعد بليلة لم يبيت بمنزلها ورأى العرب والجم أمراً لم يروا مثله قط وانقطعت الأصوات والأخبار عن رستم وعن سعد . وأقبل سعد على الدعاة حتى إذا كان وجه الصبح انتهى الناس [المسلمون] فاستدل بذلك على أنهم الأعلون وأن الغلبة لهم^(٢) . في انقطاع الأخبار عن سعد كان يحملق في الظلام يحاول أن يرى شيئاً ويصيح للسمع يحاول أن يسمع شيئاً فكان أول شيء سمعه ليتلاشى مما يستدل به على غلبة المسلمين صوت القمعان بن عمرو في النصف الثاني من الليل يقول^(٣) :

نَحْنُ قَتَلْنَا مَعْشَرَ زَوَّادًا
أَرْبَعَةَ وَخَمْسَةَ وَوَاحِدًا
نَحْسَبُهُمْ فَوْقَ الْبَدْلِ الْأَسَوَادِ
حَتَّى إِذَا مَاتُوا دَعَوْتُ جَاهَدًا
اللَّهُ رَبِّي وَاحْتَرَزْتُ عَامِدًا

وبحث سعد عن أحد عنده ليبعثه ، فلم يجد إلا غلاماً يدعى يحيى فأرسله إلى الصف وقال له :

(١) الطبرى ٣ / ٥٦٢ س ش س عن محمد بن جرير العيدى عن عاصى، المحفى، عن أنس .

(٢) « ٥٦١ / ٣ « عن محمد بن نويرة عن عمّه أنس بن الحلس .

^(٣) « ٥٦٢ / ٣ » عن عمرو بن محمد عن الأعور بن بيان المنقري .

«أنظر ما ترى من حالم» .

فذهب ورجع فسأله سعد : «ما رأيت أي بُني؟»

قال : «رأيتم يلعبون» .

فقال سعد مازحاً : «أو يجدون!!»^(١) .

(١) الطبرى ٥٦٢/٣ مى ش مى عن عمرو بن الريان عن مصعب بن سعد .

يوم القادسية

الاحد ١٦ شعبان ١٥٥ - ٢٢ سبتمبر (ايلول) ٦٣٦ م

الصباح المرريع

تنفس الصباح وما زالت الملحمة الرهيبة دائرة، تلك الملحمة التي بدأت صباح أمس لم يتخللها إلا فترة تجاجز قصيرة حين كبر طليحة من وراء الردم الذي على العتيق. هذا الصباح يطلق عليه الرواة اسم «ليلة القادسية» ولا ندرى لماذا قالوا عن الصباح ليلة . يقول الطبرى ^(١) :

« وأصبحوا ليلة القادسية وهي صبيحة ليلة المحرير، وهي تسمى ليلة القادسية من بين تلك الأيام ... » .

أصبحوا والناس كالثون متبعون لم يغمض لهم جفن ليلتهم كلها . المسلمين والمغوس في ذلك سواء . ودخلت المعركة يومها الرابع وقد اشتعلت خلافها ليلتين وما زالت تتأرجح في الميزان . ومع ذلك فقد صار واضحًا أنها تقترب الآن من نهايتها وأن هذه النهاية ستكون لمن صبر ، فقد بلغ الجهد من الفريقين وما هي إلا أن يخور أحدهما قبل الآخر أو يصبر أحدهما بعد الآخر . ليس إلا هذا .

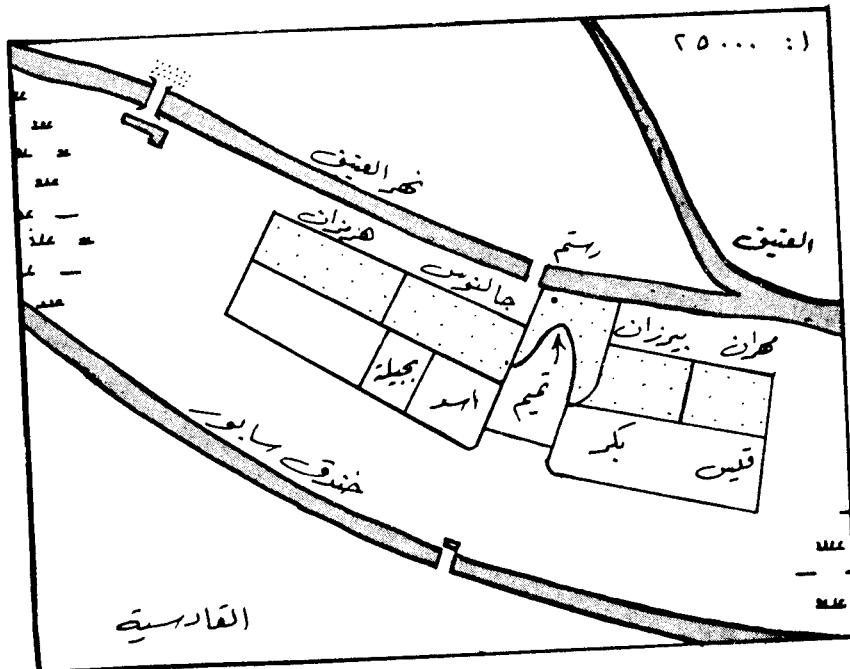
داس حربة نحو دستم

كان القمعان العظيم أكثر الناس إدراكاً لهذا فسار في المسلمين يشد أزرهم ويبث الصبر فيهم ويقول لهم :

(١) الطبرى ٦٣ / ٣ ش من عن محمد وطلحة وزياد .

«إن الدُّبُرَةُ [الهزيمة] بعد ساعةٍ من بدأ القوم [بالتخاذل] فاصبروا ساعةً واحملوا ، فإن النصر مع الصبر ، فأثروا الصبر على الجزء ». وكان القمعاع مقتنعاً بما يقول فآراد أن يصنع شيئاً يشد به أزر المسلمين ويكون لهم به أسوة وقدوة ويبدأ به تحطيم جبهة الفرس فقد نضجت الطبيخة بما فيه الكفاية . وصدق والله القمعاع إذ يقول عن نفسه :

يدعون قمعاعاً لكل كرهاً فيجيب قمعاع دعاء الهاتف فاجتمع اليه جماعة من الرؤساء فكانوا رأس حربة وجعلوا هدفهم ووجهتهم «رسم» ، وشدوا عزائمهم وهم يتوجهون نحوه والفرس يدافعون بآعية على قدر ما بقي من طاقتهم ، حتى خالط القمعاع ومن معه حمامة رسم الذين يقفون من دونه .



خريطة رقم (١٣) القادسية (٧)

كان ذلك مع الصبح . ومعنى هذا أن القعقاع ومن معه من تم والرباب استطاعوا أن يحدثوا فدغاً في قلب الفرس وأن يدقوا إسفيناً يتقدم إلى الأمام نحو رستم . وكان على المسلمين أن يوسعوه ويتذدقوا فيه .

ورأى القبائل ذلك فقام فيها رجال . قام قيس بن عبد يغوث المرادي والأشعث^(١) بن قيس الكندي وعمرو بن معدى كرب الزبيدي وعبد الله بن ذي السهمين الخثعمي [كلهم في الميسرة] وقام ابن ذي البردين الهلالي ، فقالوا : « لا يكون هؤلاء [تيم] أجد في أمر الله منكم ، ولا يكون هؤلاء القُلُّف^(٢) [يقصد الجوس] أجرأ على الموت منكم ولا أسيخى أنفساً عن الدنيا ، تنافسوها ». فحمل كل من جهته حتى ضفطوا على من أمامهم . وقام رجال في ربعة - يكر بن وائل وعمد القدس - فقالوا :

— يذكر بن وائل وعمر القدس — فقالوا :

« أنت أعلم الناس بفارات وأجرؤهم عليهم فيما مضى ، فما يمنعكم اليوم أن تكونوا أجرأ مما كنتم بالجرأة ! فحملوا كما حمل غيرهم .

كان هذا الالتحام محتدماً منذ حوالي ثلاثة ساعات دون توقف يُذكر ، فـ «جديد إذاً في قول القعقاع ومن حـذا حـذوه من أبطال المسلمين؟ الجديد أنه استثارة لهمـهم وصلب لـعودـهم وبـث لـلصـبر فيـهم . إنه تـجـديـد لـحـيـوتـهم حينـ كلـ الجميعـ منـ مجـوسـ وـمـسـلـمـينـ . هناـ وبـعـدـ هـذـاـ الإـجـهـادـ المـضـنـيـ والـاخـتـيـارـ الشـاقـ الصـعـبـ تـظـهـرـ خـواـصـ وـمـيـزـاتـ العـنـصـرـ الـبـشـريـ فيـ المـعرـكـةـ . لـقـدـ عـرـضـنـاـ لـذـلـكـ فيـ بـابـ «ـأـثـرـ الـبـيـئةـ عـلـىـ الـفـرـدـ الـعـرـبـيـ»ـ منـ الـجـزـءـ الـأـوـلـ مـنـ كـتـابـ «ـالـطـرـيقـ إـلـىـ الـمـدـائـنـ»ـ ، وـسـعـرـضـ فـيـ بـابـ خـتـاميـ لـعـوـامـلـ نـجـاحـ الـفـتـحـ الـإـسـلـامـيـ ، ذـلـكـ عـنـ جـانـبـ الـمـسـلـمـينـ . كـذـلـكـ عـرـضـنـاـ لـلـعـنـصـرـ الـبـشـريـ لـلـجـانـبـ الـفـارـسـيـ الـمـبـوـسـيـ حـينـ تـعـرـضـنـاـ لـطـبـقـاتـ الـجـمـعـمـ الـفـارـسـيـ وـأـثـرـ ذـلـكـ عـلـىـ النـظـامـ الـخـرـبـيـ عـنـهـ . هـذـاـ وـذـلـكـ

(١) نفس المصدر + فتوح البلدان ٦٤٢ .

(٢) قلف الصي : لم يختن . القلفة : جلدة عضو التناسل ، والأقلف من لم يختن . أخلف القلب لا يعى خمراً - المنجد . والمقصود بهم هنا المجروس .

بدأت آثاره تظهر على أرض المعركة في القادسية بعد أن طال انصرافها في بوقعة على نار استعملت حوالي خمسين ساعة في خلال السبعين ساعة الأخيرة.

بدأت آثار هذه المواجهة الساخنة جداً بين المسلمين والجوس تظهر. فقد كان محالاً على التصور أن يستمر هذا الالتحام إلى ما لا نهاية. كان عليه حتماً أن ينتهي وأن يسفر عن شيء. هذا الشيء لم يكن يحكمه ما يظهر للعين المجردة من أعداد ضخمة ومن أفيال تظهر وتغيب ومن فرسان ومشاة ودروع ورماح وسيوف ورایات وأعلام ومادة وعتاد، بقدر ما كان يحكمه ما رسب في أعماق كل من الفريقين من ميزات وخصائص. فمن المؤكد أن نتيجة أي معركة تتحدد في قلوب المتعاركين قبل أن تظهر على أرض المعركة.

الإيمان سلاح المسلمين

لقد كانت معنويات المسلمين تزداد علواً كلما احتاج الأمر إلى ذلك، وهنا نستطيع أن نقول إن النصر في هذه المعركة كان الإيمان هو عدته وأداته. ولقد رأينا كيف كان يقف صحابة الرسول ﷺ والتابعون يقارعون التاريخ. إن الدهر اليوم ليتلوّت ويصيح بأذنيه ليسمع من وراء أربعة عشر قرناً من الزمان حديث النساء لأولادها ومقالة المرأة التخامية مجولة الاسم لبنيها، وكلمات أبطال المسلمين في مواقفهم في الميدان.

عبد الله بن أم مكتوم القرشي صحابي رسول الله ﷺ كان كفيلاً ضريراً وهو الذي أنزل الله فيه قوله تعالى: «عيسى وتولى إن جاءه الأعمى»، وشريعة الله لا تفرض الجهاد على أعمى. «ليس على الأعمى حرج» عبد الله هذا شهد القادسية! يقول أنس بن مالك^(١) صحابي رسول الله ﷺ: «رأيت يوم القادسية

(١) أنس بن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم، كان غلاماً كاتباً، وقد كان الساق يوم حرس المحر قلماً سمع المنادي بتحريمه بادر فأراق ما كان عنده منها. وكان يخضب بالصفرة أو بالحننة أو باللورس على أقواله وكانت له ذؤابة. شهد بدرًا وكان عمره حين قدم النبي المدينة عشر سنوات. وهو من الكثرين في الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد دعا له بكثرة =

عبد الله بن أم مكتوم الأعمى وعليه درع يحرر أطرافها وبسده راية سوداء، فقيل له أليس قد أنزل الله عذرك؟ قال : بلى ولكنني أكثُر المسلمين بنفسي ! « وقال : « فكيف بسوادي في سبيل الله ! »^(١) .

ومر المسلمون على رجل يوم القادسية وقد قطعت يداه ورجلاه وهو يفحص ويقول : « مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً ». .

فقال له رجل : « من أنت يا عبد الله ؟ » قال : « رجل من الأنصار »^(٢) .

وأرسلنا عليهم دينا

وحيث قام قائم الظبرة بدأ قطاع هرمزان يتراجع أمام ضغط قبائل اليمن من بني قحطان ، كذلك تراجع قطاع بيزان أمام ضغط بني بكر بن وائل . هذه المبادرة بعد تقدم القمعان في القلب كانت بداية النهاية . تراجع هذان القطاعان حتى عادا إلى حافة العتيق فثبتا مرة أخرى ثبتوا اضطرارياً، واستطاع

= المال والولد، فولد له من صلبه ثمانون ذكرأ وبنتان ومات وهو من أولاده وأولادهم مائة وعشرون ولد . وكان له بستان يجمع محصوله صيفاً وشتاء وكان له خاتم عليه نقش أسد رابض كان يشد أسنانه بالذهب . وكان أنس أحد الرماة المصيبيين فكان يأمر ولده أنت يرموا بين يديه وربما رمى معهم فيقلهم بكثرة إصابته ، وكان ينبع الحزب ويتعمم به . أراد الحاجاج إذلاله فختم عنقه فيمن ختم من الصحابة . وتوفي فيما بين عام تسعين وثلاث وتسعين على روايات وهو آخر من توفي بالبصرة من الصحابة وكان موطنه بقصره ودفن على فرسخين من البصرة . (أسد الغابة ٢٥٨)

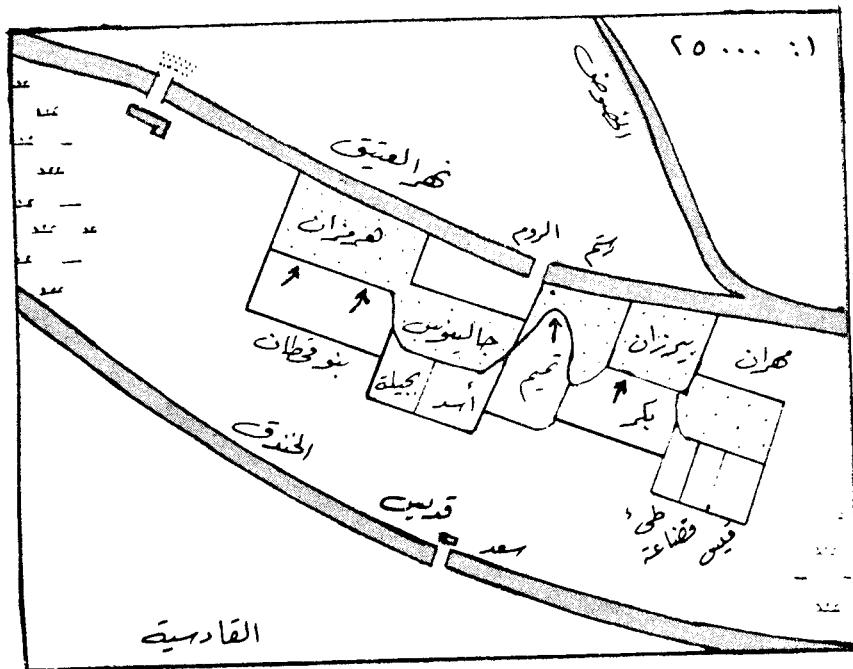
(١) القرطي في تفسير آية ١٦٧ من سورة آل عمران «وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا فاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا ، قالوا لو نعلم قتالاً لاتبعناكم...» قال السدي وابن جريج وغيرهما: كثروا سوادنا وإن لم تقاتلوا معنا فيكون ذلك دفماً وقمعاً للعدو .

وأبن أم مكتوم هو مؤذن الرسول (مثل بلال) وهو ابن خال خديجة بنت خويلد أولى زوجات الرسول . أسلم قديماً بمكة ومن المهاجرين الأولين إلى المدينة مع مصعب بن عمير . استخلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم على المدينة ثلاث عشرة مرة في عزوفاته . وله أحاديث عن النبي . وقد استشهد بالقادسية .

(الاستيعاب ٢ / ٤٩٤ - الإصابة ٥٧٦٦) .

(٢) الفاروق القائد ٥٣ عن الحجاج لأبي يوسف ٣٦ .

القوعان أن يوسع الإسفين الذي دقه فانفجر قلب جيش رستم. كانت الرياح نشطة في اتجاه يحمل غبار المعركة ويلقى به فوق المجوس. ثم اشتدت وهي دور ^(١) وعصفت فاقتلت طيارة رستم عن سريره وأطاحت بها فهوت في نهر العتيق. ومع اقتراب القتال من رstem ازداد الغبار تجاهه مع تعرضه للشمس فقام عن سريره. وقدمت عليه يومئذ بغال من المدائن بأموال فكانت واقفة خلف سريره



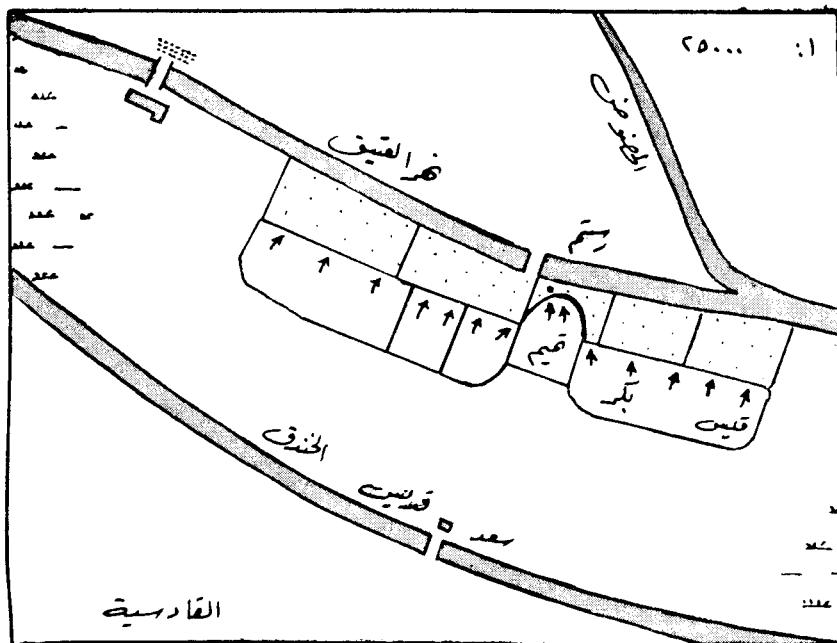
خريطة رقم (١٤) القادسية (٨)

(١) الصبا ربيع ومبها المستوى أن تهب من مطلع الشمس إذا استوى الليل والنهار. ومقابليتها الديبور . ودببت الرياح تحولت (مختار الصحاح). والصبا: الرياح الشرقية والديبور: الرياح الغربية. وفي عصرة القادسية اختفت الرياح اتجاهها من الغرب إلى الشرق مع نشاط شديد ، وكانت مع المسلمين ضد الفرس من يوم أرماث حتى نهاية العصرة .

على ضفاف العتيق ، فوقف رستم إلى جوارها يستظل بظل بغل منها وحمله ، وكان يحمل عدّلين [حملين متساوين على جانبيه] .

هرس رستم

واختفى سرير رستم عن الأنظار حين طارت عنه الطيارة . وانتهى القمعانع وكتيبة من قيم والرباب إلى السرير فعثروا به وقد قام عنه رستم . واقترب هلال بن علقة التيمي [من قيم الرباب] على صهوة جواده من ذلك البغل الذي يقف خلفه رستم وهو لا يشعر برأسته ، فضرب الجبال التي تحمل العدلين بسيفه فقطعهما وقع أحد العدلين [نصف حمولة البغل] فوق رستم فأصاب ظهره إصابة بالغة ، يقول الرواية : « فازال من ظهره فقاراً » وعاد هلال يضرب الجبل



خرطة رقم (١٥) القادسية (٩)

ففتح مسكاً . ومضى رستم نحو العتيق ، وأبصر به هلال وعرفه فتوجه إليه فرماه رستم بن شابة أصابت قدمه وشكّتها إلى ركاب سرجه – وكان الركاب يصنّع من الخشب ^(١) – وهو يصبح بالفارسيه ^(٢) : « ببايه » أي « كما أنت ». ومضى رستم نحو العتيق وراح يتخفّف بما عليه فألقى عنه نقل حمله من سيف ودروع ثم رمى بنفسه في العتيق . وأسرع هلال فاقتحمه وراهه وقد عام رستم وهلال قائم فيه على قدميه قد أدركه وأخذ برجله ثم جذبه فخرج به إلى البر وضرب جبينه بالسيف ففلق هامته وضرب ^(٣) أنفه فقتله . ثم جر جثته حتى رمى بها بين أرجل البغال .

حدث هذا والجليع مشتبكون في ضراوة حتى أنه يبدو أن أكثرهم لم يلحظ ما ححدث فقصد هلال بن علفة السرير ونادي يقول :

« قتلت رستم ورب الكعبة ، إلى » .

فأطافوا به وهم لا يرون السرير ولا يحسون به وكبروا وتنادوا فاتخذوا من مكان هلال فوق سرير رستم بؤرة تجمع . وانهار عند ذلك قلب جيش المحسوس وانهزموا ، وبلغ الإسفين مداه حتى السرير وما وراء السرير إلى العتيق وانفصل ما بين ميمنة الفرس ويسيرتهم .

(١) يرجع إلى الجزء الأول باب الخيل والفروسية من كتاب « الطريق إلى المدائن » .

(٢) الطبرى ٣ / ٥٦٨ س ش عن المجالد عن الشعبي وسعيد بن المربّان عن رجل من بني عبس .

الطبرى ٣ / ٥٧٦ عن ابن حميد عن سلمة عن محمد بن اسحق عن اسمااعيل بن خالد مولى يحيى عن قيس بن أبي حازم البجلي وكان من شهداء .

(٣) الطبرى ٣ / ٥٦٤ س ش عن عطية عن عمرو بن سلمة .

« » » عن محمد وطلحة و زياد .

« » » عن النضر عن ابن الرفيل .

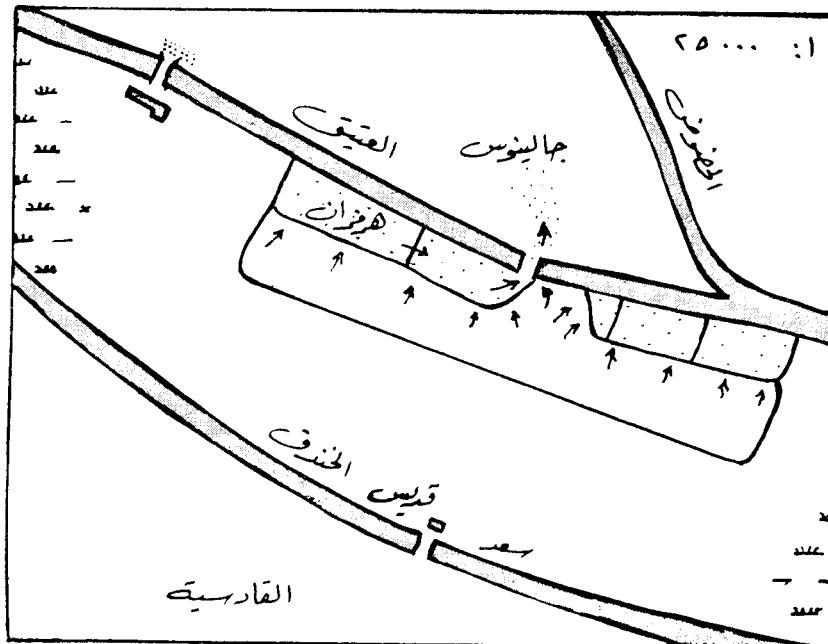
وفي رواية ابن اسحق (الطبرى ٣ / ٥٧٦) أن هلاساً احتر رأس رستم فعلقه وهي تناقض سائر الروايات .

محاولة انسحاب

وقف جالنوس على الردم ونادي العجم إلى عبوره للانسحاب . حينذاك كان يستحيل على ميسرهما أن تراجع عبر الردم وقد أخذت قيم والرباب عليهم السبيل . وتذكر جالنوس وهرمزان [جنـاح الميـمة] أن يعبر على الردم والمسلموـن يقتـلـونـهـمـ .

وركب الرعب المترفين في السلسل - وهذا طبـيعـي - فـتـهـافـتـواـ فيـ نـهـرـ العـتـيقـ ، وأدرـكـهـمـ المـسـلـمـوـنـ فـوـخـزـوـهـمـ بـالـرـمـاحـ فـيـ أـفـلـتـهـمـ أـحـدـ ، أوـلـئـكـ كـانـواـ ثـلـاثـيـنـ أـلـفـاـ .

ووصل ضرار بن الخطاب القرشي إلى ساري « درـشـ كـابـيـانـ » فأـنـزـلـهـاـ منـ عـلـيـاهـاـ لـآـخـرـ مـرـةـ فـلـمـ تـرـقـعـ بـعـدـ أـبـدـاـ . هـذـهـ رـاـيـةـ فـارـسـ الـكـبـرـيـ الـقـيـمـ .



خرطة رقم (١٦) القادسية (١٠)

الملعون مرة واحدة قبل هذه ، فهي التي كان يرفعها بهمن جاذویه في المروحة حين هزم أبا عبيد الثقفي وقتله يوم الجسر . هذه الرأبة الحمراء ذات الشمس البنفسجية والقمر الذهبي « درفش كابیان » لعلها أشهر رأبة في التاريخ وقد أوردنا وصفاً لها في الجزء الأول من كتاب « الطريق إلى المدائن » .

ومحاولة للصمود

واستجها بعض العجم من الفرار فثبتت بعد أن استبانت الهزيمة بضعة وثلاثون كتيبة واستقتصوا ولم يتبعوا الفُرّار ، ولكنها كانت قتال شراذم . فقصدى لهم بضعة وثلاثون من رؤساء المسلمين^(١) فيمن معهم ، فكان أولئك العجم على وجهين : فمنهم من ثبت حتى قُتل ومنهم من عاد وهرب .

فكان من هرب :

الهرمزان وكان أمّاً عطارد بن حاجب التميمي .

وأهود وكان أمّاً حنظلة بن الربيع التميمي ، وهو حنظلة الكاتب .

وزاذ بن ُبَيْش و كان أمّاً عاصم بن عمرو التميمي .

وقارن وكان أمّاً القعقاع بن عمرو التميمي .

وكان من ثبت حتى قُتل :

فرخان الأهوازي وكان أمّاً بسر بن أبي رهم^(٢) الشعبي .

وخسرو وشئون الهمذاني وكان أمّاً ابن الهذيل الكاهلي^(٣) .

وابن الهريد وكان تجاه ذي النور عبد الرحمن بن ربعة الباهلي ، مال عليهم

عبد الرحمن وقد تكتبوا ونصبوا للMuslimين فطحّنهم بخيلة^(٤) .

(١) الطبرى ٣/٦٩ س ش س عن المطلب ومحمد وطلحة وأصحابه .

(٢) بسر بن أبي رهم قيل الجبني وقيل الشعبي (وهو بشر بن أبي ربعة) ومن حيث كان جند الأهواز هم ميمونة جيش رست وهم الذين ينسب إليهم فرخان فإن هذا يعني أن بسر كان في مسيرة المسلمين ومن ذلك فنذهب إلى أنه كان من خثعم .

(٣) في رواية أخرى لنفس الرواية وعمرو وسعید أن يزدجرد حين هرب من حلوان عام ١٦ هـ ترك خسرو وشئون للدفاع عنها - الطبرى ٤/٣٤ .

(٤) الطبرى ٣/٦٩ س ش س عن يونس بن أبي اسحق عن أبيه عن شهدتها .

وشهريار بن كنارا وكان حيال سلمان بن ربعة الباهلي ، وقد أبصرهم سلمان تحت راية لهم قد حفروا لها وجلسوا تحتها وقالوا لا نبرح حتى نموت ، فحمل عليهم قتيل من كان تحتها وسلبهم ^(١) وأخذ الراية . وكان سلمان فارس الناس يوم القادسية وكان يقال: « لـ سـ لـ مـ اـنـ أـ بـ صـرـ بـ الـ فـ اـ لـ اـ مـ اـ لـ اـ جـ زـ وـ رـ » . وكان سلمان من مدد الشام .

وكان مع رستم في القادسية أربعة آلاف من الديلم يسمون « جند شاهنشاه » كان كسرى برويز قد أتى بهم من الديلم حين وجه إليها جيوشه فكأنوا خدمه وخاصة ثم ظلوا على تلك المنزلة بعده . فلما قتل رستم وانهزم الجيوش اعتزلوا جانباً وقالوا ما نحن كهؤلاء [الفرس] ولا لنا ملجاً ، وأثروا عندهم غير جميل ، والرأي لنا أنت ندخل معهم في دينهم فنعزز بهم ، فاعتزلوا ، وأبصرا بهم سعد فقال: « ما لهؤلاء؟ » فأناهم المغيرة بن شعبة فسألهم عن أمرهم فأخبروه بخبرهم وقالوا ندخل في دينكم . فرجع إلى سعد فأمّتهم فأسلموا وحالفوا زهرة بن حوية فأنزلهم سعد بجيث اختاروا ^(٣) .

زال تماماً كل ما كان لدى الفرس من معنوية وعز وأصاهم الانهيار التام وركبهم الذل والهوان . قال رجل من بنى عبس ^(٤) :

« أصاب أهل فارس يومئذ بعد ما انهزموا ما أصاب الناس قبلهم ، قتلوا حتى أن كان الرجل من المسلمين ليدعوا الرجل منهم فباتيه حتى يقوم بين يديه فيضرب عنقه ، وحتى إنه ليأخذ سلاحه فيقتله به ، وحتى إنه ليأمر الرجلين أحدهما بصاحبه وكذلك في العدة » [يعني يأمر العدد منهم فيقتل العدد] .

(١) نفس المصدر السابق + فتوح البلدان ٦٤٤ عن الواقدي .

(٢) الطبرى ٥٦٩/٣ س ش س عن الفصن عن القاسم عن البهى أن الشعبي قال ...
فتـوحـ الـ بـلـ دـاـنـ ٦٤٤ـ عنـ أـحـدـ بـنـ سـلـمـاـنـ الـ بـاهـلـىـ عنـ الشـعـبـىـ عنـ أـشـيـاـخـ .

(٣) فتوح البلدان ٧٠٨ عن أبي مسعود الكوفي عن بعض الكوفيين عن مسمر بن كدام .
« » ٧٠٩ عن المدائني .

(٤) الطبرى ٥٦٩/٣ س ش س عن سعيد بن المرزبان عن رجل من بنى عبس .

ولقد شهد شقيق بن سلمة الأṣدِي القادسية غلاماً بعد ما احتمل^(١) يروي^(٢) فيقول :

« . . . فهزّهم الله ، فلقد رأيتني أشرت إلى إسوار منهم فجاء إلى وعليه السلاح التام فضررت عنقه ثم أخذت ما كان عليه ». .

وفي رواية عن الأسود النخعي قال : « شهدت القادسية ، فلقد رأيت غلاماً منا من النجع يسوق ستين أو ثمانين رجلاً من أبناء الأحرار ، فقلت أذل الله أبناء الأحرار »^(٣) .

وتم تطهير ميدان المعركة الذي كان يعج منذ قليل بأكثر من مائتين وستة وسبعين ألفاً من البشر من الطرفين ، لم يعد فيه الآن إلا نحو من ثلاثين ألفاً من المسلمين المنتصرين بخلاف أعداد من أسرى الفرس وقتلامهم الذين ملأوا الميدان .

مطاردة قريبة

كان ذلك بعد الظهر ولم يبلغ العصر . فأمر سعد القمعان بن عمرو بطاردة من سفل في هربه نحو الشرق وخرج معه في تلك المطاردة أخوه^(٤) عاصم . وأمر شرحبيل بن السمط بقوه من ميسرتة بطاردة من علا في هربه نحو الشمال والشمال الغربي وذلك في مطاردة سريعة غير عينة فالفلول ما زالت قريبة . وأمر خالد بن عرفة بسلب القتلى ويدفن الشهداء .

دفن الشهداء

ما أعنفها معركة .. لم يتع للمسلمين منذ صباح أمس - عmas - حتى بعد ظهر اليوم - يوم القادسية - أن يجمعوا شهداءهم . لقد حملوا في الأيام السابقة ألفين وخمسمائة . أما في يوم عmas وليلة الهرير ويوم القادسية فقد استشهد منهم

(١) الطبرى ٣/٥٢٥ س ش س عن عبيدة عن شقيق .

(٢) « ٣/٥٦٨ نفس السند .

(٣) « ٣/٥٧٦ عن ابن حميد عن سلمة عن ابن اسحق عن عبدالرحمن بن الأسود النخعي .

(٤) « ٣/٥٦٥ س ش س عن محمد وطلحة وزياد .

ستة آلاف استقبلتهم ملائكة الرحمن بالبشرى والسلام . فدفونهم إخوانهم الذين لم يبلغوا بعد منزلتهم بين خندق سبور ووادي ^(١) مشرق . فكان شهداء الهرير والقادسية ألفين وخمسمائة دفونوا وراء الخندق تجاه مشرق ودفونوا شهداء عباس ثلاثة آلاف وخمسمائة على وادي مشرق .

وخرج صبيان المسلمين ونسائهم ومعهم الأدواء [أوعية الماء] فانحدروا من العذيب مع العشاء يسوقون من به رقم من المسلمين ويقتلون من به رقم من المشركين . عن أم كثیر امرأة هام ^(٢) بن الحارث التخعي قالت :

« شهدنا القادسية مع سعد مع أزواجنا فلما أتانا أن قد فرغ من الناس شدتنا علينا ثيابنا وأخذنا الهراروئ ثم أتينا القتلى ، فما كان من المسلمين سقيناه ورفعناه وما كان من المشركين أجهزنا عليه ، وتبعنتا الصبيان نولهم ذلك ونصرهم به » .

أما الجhos فقد قتل منهم يوم عباس وليلة الهرير ويوم القادسية عشرة آلاف خلاف من قتل في الأيام السابقة وخلاف الثلاثين ألفاً المقتربين بالسلسل الذين تهاقروا في العتيق .

جنة رستم

وجمع خالد بن عرفة الأموال والأسلاب فكان شيئاً لم يجمع قبل ولا بعد في ميدان القتال مثله . ويروي الرفيلي الفارسي قال :

« دعاني سعد فأرسلني أنظر له في القتلى وأسمى له رؤوسهم فأتيته وأعلمه ولم أر رستم في مكانه [عند السرير] فأرسل إلى رجل من التئم يدعى هلا فأ قال : ألم تبلغني أنك قتلت رستم ؟

قال : بلى .

قال : فما صنعت به ؟

(١) الطبری ٦٤/٣ س ش عن ابن محرات عن أبي كعب الطائي عن أبيه .

(٢) « ٥٨١/٣ » عن سليمان بن بشير عن أم كثیر امرأة هام بن الحارث التخعي .

قال : ألقينه تحت قوائم الأبل .

قال : فكيف قتلته ؟

فأخبره حتى قال : ضربت جبينه وأنفه .

قال سعد : فجئنا به .

فذهب هلال فجاء به حتى رماه أمام باب القصر .

فقال له سعد : جرّدَه إِلَّا مَا شئت .

فأخذ هلال سلبه حتى لم يدع عليه شيئاً و كان قد تخفف حين ألقى بنفسه في مياه العتيق فباع هلال الذي كان عليه بسبعين ألف درهم [حوالي ٦٠٠ جنية مصرى] وضاعت قلنسوته فلم يعثر عليها ولعلها سقطت في العتيق ففرقـت أو جرفـها التـيار و كانت قيمـتها وحدـها مائـة ألف لو ظـفرـها .

وجاء نفر من العباد [لعلهم الفرس الذين أسلموا] حتى دخلوا على سعد فقالوا :

« أـهـا الـأـمـير ، رـأـيـنا جـسـدـ رـسـمـ على بـابـ قـصـرـه وـعـلـيـه رـأـسـ غـيـرـه .

وـكـانـ الضـرـبـ قدـ شـوـهـهـ ، فـضـحـكـ سـعـدـ (١) . [وهذا يـنـاقـضـ أـنـ هـلـالـ قدـ اـحـتـرـ رـأـسـ رـسـمـ وـعـلـقـهـاـ] .

ثم مطاردة عميقة

ورجـعـ القـعـقـاعـ وـشـرـحـبـيلـ منـ المـطـارـدـةـ ، فـقـالـ سـعـدـ لـلـقـعـقـاعـ :

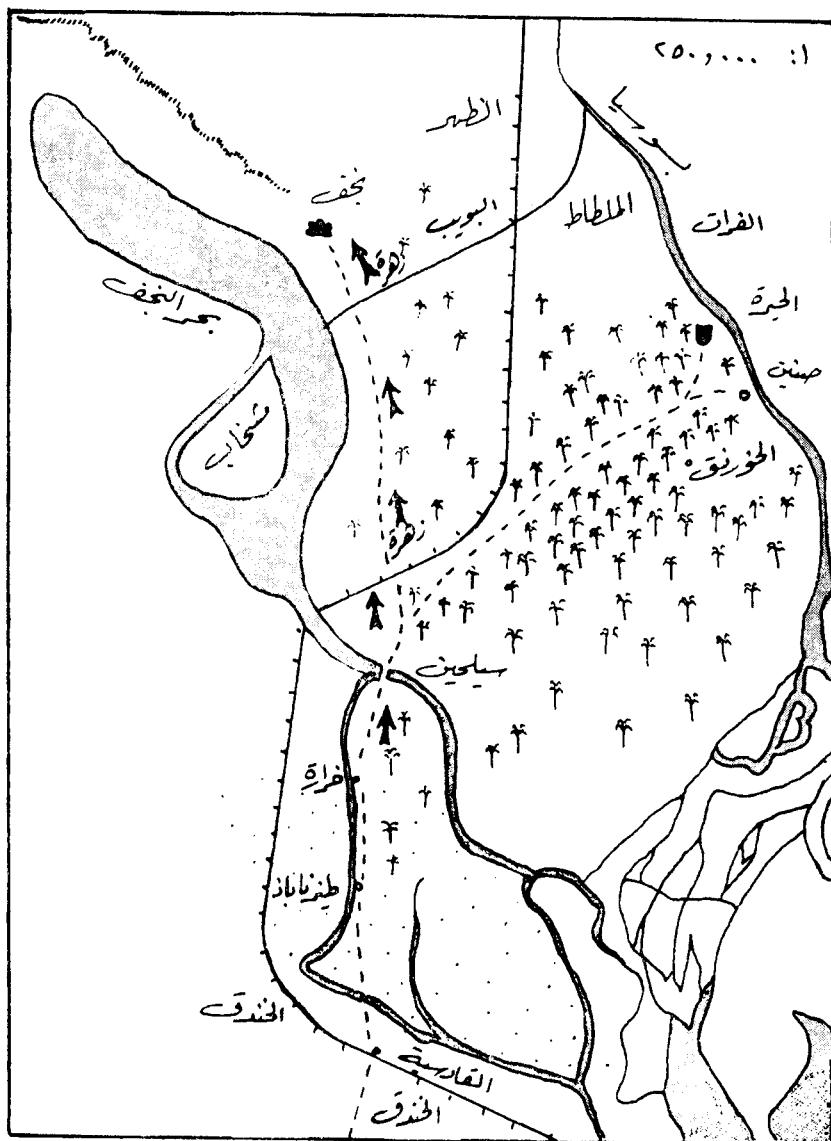
(١) الطبرى ٣ / ٦٦ سـ شـ سـ عنـ النـضـرـ عنـ ابنـ الروـفـيلـ عنـ أـبـيهـ .

وـفـيـ فـتـوحـ الـبـلـدـانـ ٦٤٤ـ . يـقـولـ : « وـقـتـلـ رـسـمـ بـدـنـهـ مـلـوـءـ أـضـبـاـ وـطـعـنـاـ فـلـمـ يـعـلـمـ منـ قـاتـلـهـ . وـكـانـ قـدـ مـشـىـ إـلـيـهـ عـمـرـوـ بـنـ مـعـدـيـ كـرـبـ . وـطـلـيـحـةـ بـنـ خـوـيـلـ الـأـسـدـيـ وـقـرـطـ بـنـ جـاجـ الـعـبـدـيـ وـضـرـارـ بـنـ الـأـزـوـرـ الـأـسـدـيـ ، وـقـيـلـ قـتـلـهـ زـهـيرـ بـنـ عـبـدـ شـمـسـ الـبـجـلـيـ وـقـيـلـ عـوـامـ بـنـ عـبـدـ شـمـسـ وـقـيـلـ هـلـالـ بـنـ عـلـفـةـ الـتـيـمـيـ » . وـقـدـ أـخـذـنـاـ بـأـنـ هـلـالـ بـنـ عـلـفـةـ هـوـ الـذـيـ قـتـلـهـ ،

أـوـلـاـ : لـتـضـافـرـ الـرـوـاـيـاتـ عـلـىـ ذـلـكـ .

وـثـانـيـاـ : لـاـكـتـالـ تـفـاصـيلـهاـ .

وـثـالـيـثـاـ : لـاـسـتـحـالـةـ الـاقـتـنـاعـ بـالـأـقـاوـيلـ الـأـخـرـىـ إـذـاـ ضـاهـيـنـاـهـ بـوـاقـعـ مـذـكـرـ مـعـ مـوـاـقـفـ الـمـسـلـمـينـ بـالـقـادـسـيـةـ .



خريطة رقم (١٧) القادسية (١١)

« أخذ فيها طلب شرحبيل » .

وقال لشرحبيل :

« أخذ فيها طلب القمعان » .

فملا القمعان وسفل شرحبيل حتى بلغا مقدار الحرارة من القاذسية يقتلون فلول رسم في كل قرية وأجمة وشاطئ نهر . ورجعوا ، فهنا سعد المسلمين وأثنى على كل حي خيراً^(١) . جليل من سعد ألا ينسى تهنئة جنوده وهو القائد المنتصر .

ثم أمر سعد زهرة بن الحوية أن يخرج في آثارهم في مطاردة أكثر عمقاً . فنادى زهرة في المقدمات وانطلق حتى إذا أتى الردم وجد المuros بشقوه خلفهم ليغوقوا المسلمين عن طلبهم . وكان زهرة على حchan ذكر ، فقال بكير بن الشداح^(٢) الليثي : « يا بكير أقدم » . كان بكير على فرس أثني اسمها أطلال وقد اشتهر بها فعرف بفارس أطلال ، فضر بها بكير وصاح بها : « ثي أطلال » .

فتجمعت ثم وثبتت وكان البثق واسعاً فاجتازته ، وأوثب زهرة حصانه خلفها وكذلك سائر الخيل فاقتحمته و تتبع على ذلك ثلاثة فارس يجتازون تلك الفجوة ، ولم تستطع كل الخيل ذلك ولا حظ زهرة أن بعض الخيل كانت^(٣) فنادى :

« خذوا أيها الناس على القنطرة وعارضوا » .

ثم مضى بالثلاثة ومضى الآخرون يتبعونه عبر القنطرة .

(١) الطبرى ٣ / ٥٦٦ س ش عن محمد وطلحة وزياد .

(٢) وقيل كان اسمه بكر نسبة ابن السكلي فقال بكير بن شداد بن عامر بن الملوح بن يعمر (وهو الشداح) بن عوف بن كعب بن عامر بن ليث . وهو الذي فتح موقع ووجه إليها سراقة ابن عمرو . وفيه قال الشماخ :

وغيت عن خيل بوقان أسلمت بكير بنى شداح فارس أطلال

(٣) كاع الجواد : مشى و مقابل على كوعه من شدة الحر أو عقر فمشى على كوعه .

موع جالنوس

كان جالنوس قد بلغ الحرارة جريحاً^(١) بن فر^٢ معه ، وبعضهم تجاوزها ، كان جالنوس في آخر أيامهم يحمي فرارهم ويعمل عمل حرس المؤخرة . نزلوا بحرارة فطعموا وشربوا الماء !! ثم قاموا يتعجبون من نتيجة هذه المعركة وأن ميهم وقاتلهم لم يؤثر في المسلمين . ورفعوا بجالنوس كرة فهو يرميها بالنشاب شقه فيها ، وهم على ذلك دهمهم زهرة ومن معه فحمل على جالنوس وهو لا مرفة فطاعنه فاختلوا ضربتين ثم قتلهم^(٢) زهرة وانهزم عن جالنوس أصحابه أخذ زهرة سلبه ، كان عليه يارقان [أساور تلبس في العضد] وُقلبان قرطان ، وإن حصان زهرة يومئذ ما عنانه إلا حبل مضفور وما حزمه إلا شعر منسوج .

وُقتلَ زهرة في هذه المطاردة من وجد من الفلول بين الحرارة إلى السيلحين م أمعن حتى بلغ النجف ، بينما كان هرمزان يحصد^٣ في فراره فاستطاعت بعض ملوك الفلول أن تصل إلى ديرة قرة^(٤) . ورجع زهرة وأصحابه حتى باتوا ليتلهم القادسية^(٥) ، ثم أصبحوا وقد اجتمعوا جميعاً لا ينتظرون أحداً من جندهم . وحدث حين حانت الصلاة أن وجدوا المؤذن المعتمد في الشهداء ، فاختلف الناس على الأذان حتى كادوا أن يختلدوا بالسيوف ، فأقرع سعد بينهم فخرج سهم رجل فأذن^(٦) .

(١) الطبرى / ٣ ٥٦٧ س ش من عن سعيد بن المربان .

(٢) الطبرى ٥٧٦/٣ عن ابن حميد عن سلمة عن محمد بن اسحق عن اسماعيل بن أبي خالد مولى يحيية عن قيس بن أبي حازم البجلي .

فتوح البلدان ٦٤٥ . وفي رواية له أن كثير بن شهاب الحارثي طعن جالنوس ويقال قتله ، ثم يقول : وقال ابن السكبي قتل زهرة بن حويه السعدي وذلك أثبت .

(٣) لم تقف على موقعه .

(٤) الطبرى / ٣ ٥٦٦ س ش من عن محمد وطلحة وزياد .

(٥) « « « « عن عبد الله بن شبرمة عن شقيق (بن سلمة الأسدى وقد شهدوا) .

بين سعد وزهرة

وحين ^(١) عاد زهرة من المطاردة التي خرج فيها كان قد تدرع بما كان على جالنوس فعرفه الأسرى الذين كانوا عند سعد وقالوا : « هذا سلب جالنوس ». فقال له سعد : « هل أعانك عليه أحد ؟ »

قال : « نعم » .

قال : « من ؟ »

قال : « الله » .

وكان زهرة يومئذ شاباً له ذئابة وقد سُوّد في الجاهلية وحسن بلاوه في الاسلام . وغضب سعد أن تسرع زهرة فليس ما كان على جالنوس واستكثره عليه فزعه عنه وقال : « ألا انتظرت إذني ؟ »

لا عليك يا أخي

من سعد الى عمر ^(٢)

« أما بعد ، فإن الله نصرنا على أهل فارس ومنهم سنتن من كان قبلهم من أهل دينهم بعد قتال طويل وزلزال شديد . ولقد لقوا المسلمين بعدة لم ير الراءون مثل زهائنا فلم ينفعهم الله بذلك بل سلبهموه ونقلوه عنهم الى المسلمين واتبعهم المسلمون على الأنهار وعلى طفوف الآجام وفي الفجاج .

وأصيب من المسلمين سعد بن عبيد القاري ^(٣) ، وفلان وفلان ... ورجال من المسلمين لا نعلمهم ، الله بهم عالم ، كانوا يدوسون بالقرآن إذا جن عليهم

(١) الطبرى ٥٦٧/٣ س ش عن سعيد بن المزبان .

« » « » عن عبيدة عن ابراهيم .

« » « » عن عبيدة عن عصمة .

(٢) « » « » عن محمد والملب وطلحة .

(٣) انظر ترجمته في آخر الكتاب تحت عنوان : « ترجمة مشاهير قادة الفتح » .

الليل دَوِيَ النحل . وهم آساد الناس لا يشبههم الأسود . ولم يفضل من مضى منهم من بقي إلا بفضل الشهادة إذ لم يكتب لهم .

كتب سعد هذه الرسالة الى عمر صباح اليوم التالي ، يعني كان تاريخها الاثنين ١٧ شعبان ١٥ ٢٣٥ سبتمبر (ايلول) ٦٣٦ م بشّرها فيها بالفتح وبعده من قتلوا ومن أصيب من المسلمين وسمى لعمر فيها من يعرف . وكتب أيضاً بما كان من شأن زهرة وسلب جالнос . كذلك كتب زهرة في هذا الشأن الى عمر . و كان سعد بن عميلة الفزارى هو رسول سعد بالفتح الى عمر .

وكان عمر ما زال يخرج إلى ظهر المدينة حين يصبح يستخبر الركبان عن أهل القادسية فإذا انتصف النهار رجع إلى أهله و منزله . فلما لقى البشير سعد بن عميلة سأله : « من أين ؟ »

قال : « من القادسية » .

قال : « يا عبد الله حدثني » .

قال : « هزم الله العدو » .

هذا و سعد على ناقته لا يعرف عمر و عمر يخرب معه ويستخبره حتى دخل المدينة وها على ذلك فإذا الناس يقولون لعمر : « السلام عليكم يا أمير المؤمنين ». فقال سعد : « فهلا أخبرتني رحمك الله أنك أمير المؤمنين ! »

فجعل عمر يقول : « لا عليك يا أخي » ^(١) .

وقام عمر في الناس فقرأ عليهم كتاب سعد بالفتح ثم قال : « إني حريص على أن لا أدع حاجة إلا سدتها ما اتسع بعضاً لبعض ، فإذا عجز ذلك عنا تأسينا في عيشنا حتى نستوي في الكفاف .

(١) الطبرى ٣/٨٣ ش من مقالد بن سعيد .
الإصابة ٣٦٧٣ .

ولوددت أنكم علتم من نفسي مثل الذي وقع فيها لكم ، ولست **مُعَلِّمَكُمْ**
إلا بالعمل .

إني والله ما أنا **بَعْدِكَ** فأستعبدكم وإنما أنا عبد الله **عَرِضَ عَلَيَّ** الأمانة فابن
أبيتها ورددتها عليكم واتبعتمك حتى تشعوا في بيوتكم وترموا سعيدتكم .
وإن أنا حملتها واستبعتنكم إلى بيتي شقيت ففرحت قليلاً وحزنت طويلاً
وبقيت لا أقال ولا أرد فأستعذب « (١) » .
واغتم عمر كثيراً المصاب سعد بن عبيد وقال : « **لَقَدْ كَادَ قَتْلَهُ يَنْفَضُ عَلَيَّ**
هذا الفتح » (٢) .

من عمر إلى سعد

وكان جواب عمر إلى سعد في شأن زهرة :

« .. أنا أعلم بزهرة منك . وإن زهرة لم يكن ليغيب من سلب سلبه شيئاً ،
فإن كان الذي سعى به اليك كاذباً فلقاء الله مثل زهرة في عضدينه يارقان .
تعمد إلى مثل زهرة وقد صلي بيثل ما صلي به وقد بقي عليك من حربك
ما بقي تكسر قرنَه وتفسد قلبه !؟ »

أمض له سلبه وفضله على أصحابه عند العطاء بخمسةٍ .

وإني قد نقلت كل من قتل رجلاً سلبه » .

رد عمر إلى زهرة اعتباره بهذا ، ورد سعد إليه ما كان نزعه منه فباعه
بسبعين ألف درهم [حوالي ٦٠٢٠ جنيهاً مصرية] .

وفي معركة القادسية قطعت يد زيد بن صوحان العبدى ، فقد روى من عدة
وجوه أن النبي ﷺ **كَانَ** في مسيرة له **إِذْ هُوَمْ** [التهوم أول النوم] فجعل
يقول : زيد وما زيد ، جندب وما جندب . فسئل عن ذلك فقال : رجلان من

(١) الطبرى ٣/٥٨٤ م ش من عن محمد وطلحة والهبل وزياد .

(٢) فتوح البلدان ٦٤٧ .

أمتى ، أما أحدهما فتسبقه يده إلى الجنة ثم يتبعها سائر جسده ، وأما الآخر فيضرب ضربة تفرق بين الحق والباطل . فكان زيد بن صوحان قطعت يده يوم جلواء^(١) وقيل بالقادسية وُقتل يوم الجمل . وأما جندب فهو الذي قتل الساحر عند الوليد بن عقبة — نقول إن يده قطعت بالقادسية لأن بني ربيعة كا سوف نرى لم يكونوا في جيش جلواء .

(١) أسد الغابة ١٨٤٨ . وقال زيد بن صوحان بن حجر بن الحارث بن المجرس بن صبرة ابن حدرجان بن عباس بن ليث بن حداد بن ظالم بن ذهل بن عجل بن عمرو بن وديعة بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس . (انظر ترجمته في آخر الكتاب تحت عنوان « ترجمة مشاهير قادة الفتح ») .

بعد المعركة

هرجان الشعر

انتهت المعركة الحاسمة في القادسية ، وتمت المطاردة بعدها وتنفس المسلمون الصعداء ، فراحوا كعادتهم يسجلون انتصارهم شعراً .

قال عمرو بن شاس الأستدي ^(١) :

إلى كسرى فوافقتها رعاعاً ^(٢)
وبالحقونين أيام طوالاً ^(٣)
تبكى بفارس قد تركتنا
قتلتنا رستما وبنيه قسراً
تشير الخيل فوقهم الهيالا
تركنا منهم حيث التقينا
قياما ما يريدون ارتحالا
وفرّ البيرزان ولم يحارم
وركتض الخيل نفسي ^(٤)

وقال أشعث بن عبد الحجر ^(٤) بن سراقة العامري الكلبي ، وكان شهد الحيرة مع خالد والقادسية مع سعد :

(١) الطبرى ٤٠/٣ ش س عن الفصن عن القاسم عن رجل من بني كنانة .

(٢) الرعال : الجماعات المتفرقة واحدتها رعلا . - الكامل للبرد ٤٨/١ .

(٣) الأقسام : يقصد أقسام العراق وأنحائه ، الشجو : الهم والحزن - مختار الصحاح .

(٤) فتوح البلدان ٦٤٧ . وقد ذكره ابن حجر باسم عبد الحجر بن سراقة وقال : يغلب أنه لم يترك على اسمه في الإسلام - الإصابة ٦٣٦٥ .

وبالقصر إلا خيفة أن أغيرا
وقد ساد أشياخى معداً وجميرا

وما عَقِرَت بالسَّيْلِحِين مطيق
فبئس امرؤٌ يَبْأَى عَلَى برهقه
وقال قيس بن المكشوح ^(١) :

بكل مدجج كاللث سام
إلى اليرموك فالبلد الشامي
مسومة دوابرها دوامي
وابناء المرازبة الكرام
قصدت لوقف الملك الهمام
بسيف لا أفال ولا كهام
وفعل الخير عند الله نام

جلبت الخيل من صناء ترددَى
إلى وادي القرى فديار كلبِ
وجئنا القادسية بعد شهر
فناهضنا هنالك جمع كسرى
فلما أن رأيتُ الخيل جالت
فأضرب رأسه فهو صريمَا
وقد أتَى إله هنا خيراً

وقال عاصام بن المقشعير :

جلاد امرىءٍ ماضٍ إذا القوم أحجموا
وأطعن بالرمح الميت وأقْتَدِم

فلو شهيدَتْنِي بالقوادس أبْصَرَتْ
أضارب بالمخشوب حتى أَفْلَمَه

وقال طليحة بن خوبلد

أني اهتديت بسبسب سهْب
بالغارة الشعواء وال الحرب
نازلتهم بمهند عَصَب
وإقامي للطعن والضرب

طرقت سليمي أرْحُلَ الرُّكْب
اني كلفت سلام بعْدَ كُمْ
لو كنت يوم القادسية إذ
أبصرت شدائي وُمنْصَرَ في

وكان أبو مفزُر الأسود بن قطبة شاعر المسلمين في تلك الأيام وهو القائل :
ألا بلْغَا عني الغريب رسالة
فقد قسمت فينا فيوه الأعاجم

(١) فتوح البلدان ٦٤٧ .

فَكَكَنَا بِهِ عَنْهُمْ وَلَاةِ الْمَعَاصِمِ^(١)

وَرَدَتْ عَلَيْنَا جَزِيَّةُ الْقَوْمِ بِالَّذِي

وَقَالَ جَنْدِبُ بْنُ عَمَّارَ الطَّائِنِيَّ^(٢) :

زَعْمُ الْعَوَادِلِ أَنْ نَاقَةَ جَنْدِبُ
كَذَبُ الْعَوَادِلِ لَوْ رَأَيْنَ مُنَاخَمَهَا
لَوْ يَضْرِبُ الطَّنْبُورَ تَحْتَ جَرَانِهَا
رَجُلٌ أَجْسَأُ إِذَا تَرَنَّمَ حَتَّى

وَقَالَ النَّسِيرُ بْنُ دِيسِمَ^(٣) الْعَجْلِيَّ [كَانَ قَائِدَ الْطَّلَائِعِ يَوْمَ الْبُوَيْبِ] :
لَقَدْ عَلِمْتَ بِالْقَادِسِيَّةِ أَنِّي صَبَرْتُ عَلَى الْأَوَاءِ عَفَّ الْمَكَابِسِ
وَقَالَ مُنْقَعُ بْنُ الْحَصِينِ^(٤) - وَكَانَ لَهُ فَرْسٌ اسْمُهُ جَنَاحٌ شَهَدَ بِهِ الْمَعْرَكَةَ :

لَمَا رَأَيْتُ الْحَيْلَ زَيْلَ بَيْنَهَا طَعَانٌ وَنَشَابٌ صَبَرْتُ جَنَاحًا
فَطَاعَنَتْ حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ نَصْرَهُ وَوَدَ جَنَاحٌ لَوْ قُضِيَ فَأَرَاحَا
كَانَ سَيْفُ الْمَهْدِ فَوْقَ جَبِينِهِ مَخَارِقُ بَرْقٍ فِي تَهَامَةِ لَاحَا

وَغَيْرُ هُؤُلَاءِ كَثِيرٌ مِنَ الشَّعْرَاءِ مِثْلُ رَبِيعِ الْذَّهَلِيِّ^(٥) السَّدُوْسِيِّ وَالرَّبِيعِ بْنِ
مَطْرِ بْنِ بَلْخِ التَّمِيمِيِّ^(٦) وَرَبِيعَةِ بْنِ مَقْرُومِ الصَّبِيِّ^(٧) مِنَ الْرَّبَابِ . وَفِي غَمْرَةِ ذَلِكَ

.) (١) الإصابة ٤٥٦ .

.) (٢) الإصابة ١٢٢٥ . وَقَالَ : جَنْدِبُ بْنُ عَمَّارٍ بْنُ نَعْمَانَ بْنُ شَهَابٍ بْنُ لَامَ بْنُ عَمْرُو بْنُ طَرِيفٍ ،
كَانَ شَاعِرًا . وَفَدَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَشَهَدَ الْقَادِسِيَّةَ وَقَالَ الْأَبِيَّاتَ .

.) (٣) الإصابة ٧٧٧ - ٨٦٦ .

.) (٤) الطَّبَقَاتُ الْكَبِيرِ ٧/٤٤ . وَقَالَ مُنْقَعُ بْنُ الْحَصِينِ التَّمِيمِيُّ السَّعْدِيُّ مِنْ صَحَابَةِ رَسُولِ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانَ مِنْ سُكَنِ الْبَصْرَةِ وَأَخْتَطَ بَعْدَهَا دَارَأً . أَتَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَمِعَهُ
يَقُولُ : « اللَّهُمَّ لَا أَحْلَلْ لَهُمْ أَنْ يَكْذِبُوْا عَلَيْ » ، قَالَ الْمَنْقَعُ : فَلَمْ أَحْدُثْ بِحَدِيثٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا حَدَّيْنَا نَطْقَ بِهِ كِتَابًا أَوْ جَرَتْ بِهِ سَنَةٌ ، يَكْذِبُ عَلَيْهِ فَكَيْفَ بَعْدَ مَوْتِهِ .

.) (٥) الإصابة ٢٧٢٣ .

.) (٦) « ٢٧٢٩ .

.) (٧) « ٢٧٣٦ .

التسجيل الشعري ذكر بعضهم مسألة بقاء سعد في القصر فلم يبقَ شاعر إلا عيَّره بها^(١).

قال رجل منبني أسد بيتي من أقدر الشعر :

نقائل حق أنزل الله نصره وسعد بباب القادسية 'معضم'
فأبنتنا وقد آمنت نساء كثيرة ونسوة سعد ليس فيهن أيم

فدارت على ألسن الناس . وقال جرير بن عبد الله البجلي :

أنا جرير كنيري أبو عمرو قد نصر الله وسعد في القصر
وبلغ سعداً ما يقول الناس فأشرف عليهم وأراهم ما به من القرح في فخذيه
وإليتنيه فعذر المسلمون ، وقال سعد يحيى جريراً :

وَمَا أَرْجُو كَيْحِيلَةَ غَيْرَ أَنِي
فَقَدْ لَسَقَيَتْ خَيْوَلَهُمْ خَيْوَلًا
وَقَدْ دَلَقَتْ بَعْرَضَتْهُمْ فَيُولُّ
فَلَوْلَا جَمْعُ قَعْقَاعِ بْنِ عَمْرَوِ
هُمْ مَنْعَوْا بُجُوْعَكُمْ بَطْعَنِ
وَلَوْلَا ذَاكَ أَنْفِيْتُمْ رَعَاعَمَا

يقول قيس بن أبي حازم البجلي : « ... ولم يكن سعد لعمري يحيى » .

(١) الطبرى / ٣ / ٧٧٥ عن ابن حميد عن سلمة عن محمد بن اسحق عن اسماعيل بن أبي خالد مولى يحييله عن قيس بن أبي حازم البجلي وكان من شهد القادسية .
الطبرى / ٣ / ٥٨٠ س ش س عن المقدم بن شريح المازري عن أبيه .

« ... » عن عبد الملك بن عمير عن قبيصة بن جابر (الأستى) .
« ... » عن القاسم بن سليم بن عبد الرحمن السعدي عن عثاث ابن رجاء السعدي .

(٢) دلقت : أمرعت ، عرصتهم : حوشهم وحوزتهم .

وقال عثَان بن رجاء السعدي : « كان سعد بن مالك أَجْرَ النَّاسَ وَأَشْجَعَهُمْ ، إِنَّهُ نَزَلَ قَصْرًا غَيْرَ حَصِينٍ بَيْنَ الصَّفَيْنِ فَأَشْرَفَ مِنْهُ عَلَى النَّاسِ ، وَلَوْ عَرَاهُ الصَّفَفُ وَوَاقَتَ نَاقَةً أَخْدَى بْرُ مَسْتَهُ ، فَوَاللَّهِ مَا أَكْرَثَهُ هُولَ تِلْكَ الْأَيَّامِ وَلَا أَقْلَفَهُ ».

أُسر الشهداء،

أمر آخر مما كان بعد المعركة ولعله من أبرز الظواهر في معسكر المسلمين ، ذلك أن هجوم الفرس بالأفيال يوم أرماث على بحيرة ومن جاورها قد أصابها بكثير من الضحايا . وفي بعض الروايات ^(١) :

« لم يكن من قبائل العرب أحد أكثر امرأة يوم القادسية من بحيرة والنخع . وكان مع الناس نساؤهم وفي النخع سبعينات امرأة فارغة وفي بحيرة ألف ، فصاهر هؤلاء ألف من أحياء العرب وهؤلاء سبعينات ، وكانت النخع - وبحيرة - تسمى أصهار المهاجرين - أو اختان المهاجرين ».

والمهاجرون هم المجاهدون هنا . ونعتقد أن عملية المصاورة هذه لم تتم مباشرة بعد المعركة ولا بد أن تكون قد امتدت زمناً هو على الأقل عدة المتوفى عنها زوجها [أربعة أشهر وعشرة أيام] ولا يمنع أن تكون قد بدأت في أعقاب المعركة بالنسبة لغير أرامل الشهداء من بناتهم وأخواتهم وأمهاتهم . وهو علاج اجتماعي سليم لمشكلة من مشاكل الحرب فيجسمها حسماً كريماً . وفي بعض الروايات عن نساء النخع أن المجاهدين تزوجوهن قبل الفتح وبعد الفتح حتى استوعبواهن فصار اليهن سبعينات رجل من أبناء العرب .

وعن حذنث بن الحارث بن لقيط النخعي عن أبيه قال ^(٢) :

« ... فَأَتَيْنَا الْقَادِسِيَّةَ فَقُتِلَ مَنَا كَثِيرٌ وَمِنْ سَائِرِ النَّاسِ قَلِيلٌ ، فَسُئِلَ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ : إِنَّ النَّخَعَ وَلَثَوَاعِظُ الْأَمْرِ وَحْدَهُ ».

(١) الطبرى ٣/٨١ س ش عن عطية وهو ابن الحارث عمن أدرك ذلك .

» » » عن محمد والمطلب وطلحة .

(٢) الاصابة ٧٢ .

و كانت هنيدة بنت عامر الهمالية هلال النجع امرأة القعقاع بن عمرو ، فخطب أختها أروى يوم القادسية بكير بن عبد الله الليشي و عتبة بن فرقان السليمي ، و سماك بن خرشة الأننصاري [وهو خلاف أبي دجانة] و ذلك بعد الفتح . فطلبت أروى من هنيدة أن تستشير لها القعقاع فيمن تختار منهم ، فقال القعقاع :

إِنْ كُنْتِ حَوَلْتِ الدِّرَاهِمْ فَإِنَّكَ حَيٌّ
وَإِنْ كُنْتِ حَوَلْتِ الطَّعَانَ فَإِنَّمَا
وَكُلُّهُمْ فِي ذِرْوَةِ الْجَهَدِ نَازِلٌ
الْغَالِبُ وَالْمَطْلُوبُ

وفي الأيام التالية للمعركة راح المسلمون يقوّمون أقباضهم ويرسمون أمورهم . هذا ووحدات جيش خالد العائدة من الشام تصل تباعاً بعد أن شهدوا اليرموك وفتح دمشق ، بدأ وصولهم مع القعقاع يوم أغواث ، ثم يوم عباس مع هاشم بن عتبة بن أبي وقاص ثم يوم القادسية واليوم التالي ليوم القادسية بعد أن انتهت المعركة والمطاردة . بعضهم أدرك المعركة فشارك فيها وبعضهم لم يدركها . فكتب سعد إلى عمر يسأله عما ينبغي أن يسير ^(١) به فيهم . وكان هذا هو الكتاب الثاني بعد الفتح أرسله مع نذير بن عمرو ولما يأتاه بعد جواب الكتاب الأول .

سعد يسأل

ويبدو أن سعداً استمر يكتب كل يوم إلى عمر ، فكان كلما عرضت له قضية كتب بها إلى عمر . فكتب كتاباً آخر أرسله مع أنس بن الحليلين يقول : « إن أقواماً من أهل السواد ادعوا عهوداً .

(١) الطبرى ٥٨٤/٣ س ش عن محمد وطلحة والمطلب وزياد .

ولم يُقِمْ على عهد أهل الأَيَّام لَنَا وَلَمْ يَفِ بِهِ أَحَدٌ عَلِمَنَا إِلَّا أَهْلَ بَانِقِيَا وَبِسْمَا وَأَهْلَ أَلْئِنْسِ الْآخِرَةِ .

وَادْعَى أَهْلُ السَّوَادَ أَنَّ فَارِسَ أَكْرَهُوهُمْ وَحَشَرُوهُمْ فَلَمْ يَخَالِفُوا إِلَيْنَا وَلَمْ يَذْهَبُوا فِي الْأَرْضِ » .

وَكَتَبَ إِيْضَاحًا أَكْثَرَ مِنْ أَبِي الْهَيَّاجِ بْنِ مَالِكَ الْأَسْدِيِّ :

« إِنَّ أَهْلَ السَّوَادِ جَلُوا ، فَجَاءُنَا مِنْ أَمْسِكٍ بِعِهْدِهِ وَلَمْ يَحْلِبْ عَلَيْنَا فَتَمَمَنَا لَهُمْ مَا كَانَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ قَبْلَنَا وَبَيْنَهُمْ » ، وَزَعَمُوا أَنَّ أَهْلَ السَّوَادِ قَدْ لَحَقُوا بِالْمَدَائِنِ .
فَأَخْدِثِ إِلَيْنَا :

- ١ - فَيَمِنْ تَمْ . [عَلَى الْوَفَاءِ بِالْعِهْدِ وَهُمْ أَهْلَ بَانِقِيَا وَبِسْمَا وَأَلْيَسِ الْآخِرَةِ] .
- ٢ - وَفَيَمِنْ جَلَا .
- ٣ - وَفَيَمِنْ ادْعَى أَنَّهُ أَسْتُكْرَهُ وَحُشِّرَ فَهَرَبَ وَلَمْ يَقْاتِلْ أَوْ اسْتَسْلَمْ .
فَإِنَّا بِأَرْضِ رَغْبَيْةِ وَالْأَرْضِ خَلَاءٌ مِنْ أَهْلِهَا وَعَدْدُنَا قَلِيلٌ ، وَقَدْ كَثُرَ أَهْلُ
صَلْحَنَا ، وَإِنَّ أَعْمَرَهَا وَأَوْهَنَ لَعْدُونَا تَالْثَقْفُمُ » .

فَقَامَ عَمَرٌ فِي النَّاسِ فَبَالٌ :

« إِنَّهُ مَنْ يَعْمَلُ بِالْهُوَى وَالْمُعْصِيَةِ يَسْقُطُ حَظُّهِ وَلَا يَضُرُّ إِلَّا نَفْسُهُ .
وَمَنْ يَتَبَعُ السُّنْنَةَ وَيَنْتَهِ إِلَى الشَّرَائِعِ وَيَلْزَمُ السَّبِيلَ النَّجْحَ ابْتِغَاءَ مَا عَنْدَ اللَّهِ
لِأَهْلِ الطَّاعَةِ أَصَابَ أُمْرَهُ وَظَفَرَ بِحَظْهُ ، وَذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ :
﴿ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ .

وَقَدْ ظَفَرَ أَهْلُ الأَيَّامِ وَالْقَوَادِسِ بِمَا يَلِيهِمْ ، وَجَلَا أَهْلُهُ ، وَأَتَاهُمْ مِنْ أَقْامَ عَلَى
عِهْدِهِمْ .

فَإِنَّ رَأِيْكُمْ فَيَمِنْ زَعَمَ أَنَّهُ أَسْتُكْرَهُ وَحُشِّرَ ؟
وَفَيَمِنْ لَمْ يَدْعُ ذَلِكَ وَلَمْ يُقِمْ وَجَلَا ؟
وَفَيَمِنْ أَقْامَ وَلَمْ يَدْعُ شَيْئًا وَلَمْ يَحْنِلْ ؟
وَفَيَمِنْ اسْتَسْلَمَ ؟ »

لَا رخصة في العدل

فأجمعوا على الوفاء لمن أقام وكف لم يزده غلبه إلا خيراً .
وأن من ادعى دعوى فصدقوه فيها أو وفى فبمنزلتهم ، وإن لم يصدقوه
أعادوا سلتهم .

وأن يجعل أمر من جلا اليهم فإن شاءوا وادعوهم وكانوا لهم ذمة ، وإن
شاءوا ظلوا على جلائهم ومنعوا من أرضهم ولم يعطوههم إلا القتال ، وأن يخروا
فمن عاد وأقام واستسلم فعليه الجزية وإلا فاجلاء وكذلك بالنسبة لل فلاحين .

وكتب عمر جواب الكتاب الذي حمله أنس بن الحليس :
« أما بعد . فإن الله جل وعلا أنزل في كل شيء رخصة في بعض الحالات إلا
في أمرين ، العدل في السيرة ، والذكر .

فأما الذكر فلا رخصة فيه في حالة ولم يرض منه إلا بالكثير .
وأما العدل فلا رخصة فيه في قريب ولا بعيد ولا في شدة ولا رخاء . والعدل
إن رؤيَ ليناً فهو أقوى وأطفأ للجحور وأفعى للباطل من الجور وإن رؤي شديداً
 فهو أنكش للنكر .

١ - فمن تمَ على عهده من أهل السواد ولم يعن عليكم بشيء فلهم الذمة
وعليهم الجزية .

٢ - وأما من ادعى أنه استكره من لم يخالفهم اليكم أو يذهب في الأرض فلا
تصدقوهم بما ادعوا من ذلك إلا أن تشاووا ، وإن لم تشاووا فانبذ
اليهم وأبلغوهم ماأمنهم » .

وكتب ردأ على الكتاب الذي حمله أبو الهياج بن مالك الأستدي :
« ... أما من أقام ولم يحل ، وليس له عهد فلهم ما لأهل العهد بمقامهم لكم ،
وكمهم عنكم إجابة ، وكذلك الفلاحون إذا فعلوا ذلك . وكل من ادعى ذلك
فصدق فلهم الذمة ، وإن كذبوا انبذ اليهم .
وأما من أuan [عليكم] وجلأ بذلك أمر جعله الله لكم فإن شتم فادعوهم

إلى أنت يقيموا لكم في أرضهم و لهم الذمة و عليهم الجزية . وإن كرهوا ذلك
فاقسموا ما أفاء الله عليكم منهم » .

فلياً قدّمت كتب عمر على سعد والمسلمين عرضوا على من يليهم من جلا وتنحى
عن السواد أن يتراجعوا و لهم الذمة و عليهم الجزية ، فتراجعوا وصاروا ذمة كمن
يقي على عهده إلا أن خراجهم أثقل ، وأنزلوا من أقام منزلة ذي العهد وكذلك
الفلاحين . ولم يدخلوا في الصلح ما كان لآل كسرى ولا ما كان من خرج معهم
ولم يحبهم إلى واحدة من اثنتين الإسلام أو الجزية ، فصارت هذه فيئاً من أفاء
الله عليه ، وكان سائر السواد الذمة .

وأخذوهم بخراج كسرى وكان على رؤوس الرجال على ما في أيديهم من
الحصة والأموال . وكان ما أفاء الله عليهم ما كان لآل كسرى [البيت المالك]
ومن انحصار اليهم وعيال من قاتل معهم وأمواله وما كان لبيوت النيران [معابد
المجوس] والأجسام ومستنقع المياه وما كان موقوفاً للسكك ، وكان ذلك متفرقاً
في كل السواد فلم يتأت قسمته ، ولذلك تركوه يقوم به لأهل الفيء من وثقوا
به وتراضوا عليه . وقد أكثرت المصادر والمؤلفات في ذكر النظام المالي الذي
وضعه عمر المسلمين لما فتح الله عليهم وأفاضوا في ذلك بما يغنينا عن الاستطراد
وراءه اكتفاء بها ذكرنا .

الأنفال

وقسمت الغنائم على المجاهدين فكان نصيب الراجل ألفين ونصيب الفارس
ستة آلاف . وقد أمر عمر سعد أن يفضل أهل البلاء عند العطاء فزادهم سعد
خمسين للكل منهم وكانت خمسة وعشرين رجلاً منهم ^(١) زهرة وعصمة الضبي

(١) الطبرى ٦٨/٣ س ش عن عبيدة عن ابراهيم وعامر .

والكلج [هؤلاء ذكرهم الرواة ، ولا بد أن كان منهم القمعان وعاصم والربيل بن عمرو وسوداد بن مالك] . كذلك أمره أن يعطي من لحق بهم من جيش الشام من لم يدرك القتال .

ووزع سعد وأعطى ثم بقي عنده شيء كثير فكتب إلى عمر يسأله ، فأمره أن يعطي حملة القرآن ، فجاءه عمرو بن معدى كرب وبسر بن أبي رهم [وهو بشر بن ربيعة بن عمرو الحثعمي] ، فقال سعد لعمرو :

« ما معك من كتاب الله تعالى؟ »

فقال عمرو إنه أسلم ثم شغله الجماد عن حفظ القرآن ، فلم يعطه شيئاً .

وسأله بسرأ عما معه من القرآن فقال : « بسم الله الرحمن الرحيم » . فلم يعطه شيئاً فقالاً أبياناً يهجوانه بها .

فقال بسر (١) :

وقد جعلت أولى النجوم تغور
حجازية إن المخل شطير
ومن دوننا رَعْنَانْ أَشَمْ وَقُورْ
وَسَعْدُ بْنُ وَقَاصٍ عَلَيْهِ أَمِيرٌ
طَوْبِيلُ الشَّنْدِيُّ كَابِيُّ الزَّنَادُ قَصِيرٌ
بَابُ قَدِيسٍ وَالْمَكَرُ عَسِيرٌ
يَعْمَارُ جَنَاحِيُّ طَائِرٌ فِي طِيرٍ
دَلْفَنَا لَأَخْرَى كَالْجَبَالِ تَسِيرٌ

أَمْ خِيَالٌ مِنْ أَمِيمَةٍ مَوْهِنَا
وَنَحْنُ بِصَحْرَاءِ الْعَذِيبِ وَدَارِهَا
وَلَاَغْرِيْنَا إِلَّاَجُوْبُهَا الْبَيْدَ فِي الدَّجِيْنِ
تَخِيْنَ بَبَابِ الْقَادِسِيَّةِ نَاقِيْ
وَسَعْدُ أَمِيرُ شَرِهِ دُونُ خَيْرِهِ
تَذَكَّرُ هَدَاكُ اللَّهُ وَقَنْعُ سَيْوِنَّا
عَشِيَّةٌ وَدَّ الْقَوْمُ لَوْ أَنْ بَعْضَهُمْ
إِذَا مَا فَرَغْنَا مِنْ قِرَاعِ كَتِيَّةٍ

(١) فتوح البلدان . ٦٤٧ .

الاصابة ٧٦٨ - ٨٦٩ .

وعند أمير المؤمنين نوافل وعند المثنى فضة وحرير^(١)
 وقال عمرو بن معدى كرب :
 إذا قتلنا ولا يبكي لنا أحد قالت قريش ألا تلك المقادير
 'نعطي السوية من طعن به نفذا' ولا سوية إذ تعطى الدنائير
 وكتب سعد بذلك إلى عمر فأجابه عمر : «أن أعطها على بلائها» .

(١) جوبها : قطعها ، جوب الشيء قطع وسطه .

الرعن : أنف الجبل ، والأرعن طويل الأنف وهو أيضاً الأحق .

الشذى : الشر والأذى .

يقال : فلان واري الزند أي فالح مفلح . وفلان كابي الزند أو الزناد أي خامر .

خريطة القادسية

لقد أسلينا كثيراً مما ذكرنا في شرح مراحل المعركة على الخريطة التي رسمناها للقادسية ولموقع الوحدات فيها . وهي خريطة أنسأناها ولم ننقلها عن سوانا ، تشمل أوضاع قوات الفريقين ثم تطبيق هذه الأوضاع على طبوغرافية المكان . ونشرح هنا الأسس التي بنينا عليها تفاصيل هذه الخريطة .

أولاً - الأساس الجغرافي

١ - إن القادسية بين الحندق والعتيق كما ذكر سعد لعمر . وقد أخذنا موقع القادسية من خريطة العراق الأثرية وكذلك عن خريطة غير مطبوعة مرسومة بمقاييس ١ : ١٠٠ ٠٠٠ وافتتنا بها مشكورة مديرية الآثار العراقية ببغداد .

٢ - وقد يُنسى حصن على الحندق كان يقال له أيضاً « قصر قديس » ، وهو الذي اتخذه سعد مقرأ له يشرف منه على المعركة . ذلك القصر نذهب إلى أنه كان من ثلاث طوابق على الأقل ، أخذنا ذلك مما جاء في حادث أبي محجن إذ صعد من محبسه إلى سعد ليسترضيه فلما رآه سعد نزل إلى محبسه ، فلما وافقته سلمى على فك قيده نزل فأخذ البلقاء ، يفيدنا هذا أن سجن أبي محجن كان طابقاً فوق الأرضي وأن سعداً كان في سطح فوق ذلك .

٣ - أضفنا إلى الخريطة من المعالم الهامة وفق الأوصاف التي وردت في

المصادر التاريخية مما لم نجده فيما بين أيدينا من خرائط . وقد كان هذا يكفيانا من الناحية العلمية ، ولكن رغبة منا في زيادة الاستثناق وفي إشراك خبراء من أهل العراق ، فقد أعدنا الخريطة بعد الإضافات التي أدخلناها إلى مديرية الآثار العراقية ببغداد للعرض وإبداء تأييدها لما أضفنا إلى خرائطها الأصلية أو نقده مع بعض استفساراتنا ونعتب على الهيئة العلمية إن لم توافقنا بأي رد في هذا الشأن .

ولم نجد الخندق في خرائط القادسية فماذا قالت عنه المصادر التاريخية ؟

كانت هناك قناة صناعية غربي نهر الفرات وهي نهر كَرْنَى سعده المسمى خندق سابور الذي نسب بعض المؤرخين حفره إلى نبوخذنصر واتخذه سابور ذو الأكتاف الملك الساساني ٣٧٩ - ٣٠٩ م بعد أن أهمل قليلا ، اتخذه خندقا فأجرى فيه الماء وبني عليه الخافر كخط دفاعي لمراقبة البداية والحلولة دون تسرب الموجات العربية إلى العراق . وقد شيد في ضفته الغربية جداراً ضخماً مبنياً بالحجارة . ويمتد هذا النهر أو الخندق من مكان جنوي هيـت بـنـحـو سـبـعـةـ عـشـرـ كـيـلـوـمـتـرـاًـ وـيـمـتدـ عـلـىـ طـوـلـ الـحـدـودـ الـفـرـيـةـ لـأـرـضـ الـعـرـاقـ السـهـلـةـ وـيـنـتـهـيـ فـيـ الـبـحـرـ قـرـبـ نـهـرـ بـوـبـيـانـ وـهـوـ مـصـبـ نـهـرـ الـفـرـاتـ الـقـدـيمـ الـوـاقـعـ عـلـىـ بـعـدـ حـوـالـيـ ثـلـاثـيـنـ كـيـلـوـمـتـرـاًـ إـلـىـ الـغـرـبـ مـنـ شـطـ الـعـرـبـ [خـورـ عـبـدـ اللهـ الـحـالـيـ بـيـنـ الـبـصـرـ وـالـزـبـيرـ] وـإـلـىـ الـشـرـقـ مـنـ جـبـلـ سـنـامـ . وقد أـحـيـاـهـ الـمـسـلـمـونـ بـعـدـ تـحـرـيرـ الـعـرـاقـ فـسـمـيـ نـهـرـ كـرـنـىـ سـعـدـهـ [نـسـبـةـ إـلـىـ سـعـدـ بـنـ عـمـرـ بـنـ حـرـامـ] الـذـيـ أـمـرـهـ سـعـدـ اـبـنـ أـبـيـ وـقـاصـ بـكـرـنـيـهـ [حـفـرـهـ] وـيـلـغـ طـوـلـهـ حـوـالـيـ تـسـعـمـائـةـ كـيـلـوـمـتـرـ وـيـسـلـكـ الـضـفـةـ الـغـرـبـيـةـ لـبـحـيـرـةـ الـحـمـانـيـةـ فـجـبـلـ سـعـدـ فـوـادـيـ أـبـيـ فـرـوـخـ ثـمـ يـنـحـدـرـ إـلـىـ الـجـنـوبـ الـشـرـقـيـ حـتـىـ يـصـلـ أـكـنـافـ طـفـ كـرـبـلـاءـ مـنـ نـاحـيـةـ الـغـرـبـ حـيـثـ يـتـصـلـ بـخـندـقـ سـابـورـ قـرـبـ مـدـيـنـةـ الـكـوـفـةـ غـرـيـ الـفـرـاتـ وـيـسـتـمـرـ فـيـ سـيـرـهـ نـحـوـ الـجـنـوبـ مـارـاًـ بـغـرـيـ آـثـارـ خـورـنـقـ النـعـمـانـ ثـمـ يـنـحـدـرـ إـلـىـ الـطـرـفـ الـشـرـقـيـ مـنـ بـحـرـ النـجـفـ الـذـيـ جـفـ الـآنـ . وـهـنـاـ تـسـكـتـ الـمـصـادـرـ عـنـ سـيـرـ الـخـندـقـ بـيـهـةـ الـقـادـسـيـةـ وـلـكـنـهاـ

تعود فتقول ثم يمتد على طول الجانب الغربي من هور الحمار [بنطقة البصرة] فيمتد جنوباً غربي هور عبد الله قريباً من ميناء أم قصر . وعندما كان نهر كري سعده عامراً كانت منطقة هور الحمار أيضاً عامرة بالزارع والقرى وما زالت آثار الأبنية القديمة قائمة في منتصف البحيرة كتل شعيب وأم الساح وآبوزركي وأبوزركي صلابين . [عن تقرير مديرية الآثار العراقية] .

٤ - ونهر العتيق لم نجد له أثراً على أي خريطة ولكننا وجدنا في خريطة مديرية الآثار المذكورة وادٍ يمرُّ شمالي القادسية مباشرة هو وادي مصب ، لم نجد أي معالم أخرى بالمنطقة يمكن أن تكون وفق أوصاف نهر العتيق سواه من حيث موقعه ومن حيث مساره فاعتبرناه هو وكان ذلك مما عرضنا على الآثار العراقية فلم نتلقيَّ جواباً . وعند القادسية يقترب العتيق من الحندق بحيث يكون بين القنطرة التي عليه وبين قديس مسافة ميل [والميل ١٨٤٨ متراً] .

٥ - هذه القنطرة لم تكن تجاه قديس وإنما كانت أعلى من مكان الردم . دليلنا على ذلك أر رستم حين بلغ العتيق - في الموضع الذي ردهه بعد ذلك - ساير العتيق نحو خفان إلى الجنوب الشرقي ينظر إلى المسلمين حتى بلغ منقطع عسكрем ، ثم رجع وصعد حتى بلغ منقطع عسكрем ، ثم رجع وصعد حتى بلغ القنطرة .

٦ - عن يمين القادسية وعن يسارها فيوض من بطائق العراق التي خلفها فيضان الفرات فيما انخفض من الأرض . فعن يسارها منخفض الجوف يتوجه نحو الحيرة والنحيف وعن يمينها بطبيعة طويلة تصل إلى الوجلة - كذلك وصفها سعد لعمر في خطابه - وهي البطيحة العظمى ، فكأنما كانت القادسية معبراً جافاً يحترز تلك الفيوض بين الصحراء والسوداد . [الطبرى ٤٩٢ / ٣] .

٧ - قدرنا عمق خطوط الفرس بحوالي مائة متر . قدرنا ذلك من أن هاشم بن عتبة وقف أمام صف المسلمين ونزع سهماً فأصاب أذن فرسه ، قال : أين ترون سهماً كأن بالغاً؟ فقيل : العتيق .. إذاً كان بين موقف هاشم أمام صف

ال المسلمين والمعركة دائرة وبين العتيق وهو آخر صفوف الفرس مرمى سهم . ولقد كان المرمى المؤثر للسهم مائي ذراع [حوالي مائة متر] ونفترض أن أقصى مدى للسهم يتجاوز المدى المؤثر بقدر الضعف .

٨ - في موضع آخر وجدنا نشاب الفرس يجوز صفوف المسلمين والمعركة دائرة ، ومعنى هذا أيضاً أن عمق صفوف المسلمين كان نحواً من ذلك . وحين يتجاوز الطرفان فلا بد أن يكون ما بينهما من مسافة يكفل حد الأمان وذلك بأن يتتجاوز مدى الرمي بالسهام . وإذاً كانت بين الخندق والعتيق [أي بين قديس والردم] حوالي ٦٠٠ متر .

٩ - بقيت القنطرة بين خيلين من خيول الفرس وخيول المسلمين .

١٠ - كان ردم العتيق تجاه قديس . هذا الردم كان المعيار الوحيد الذي يحصل جيش رستم بقاعدته ، وقد انضغط المحوس حتى كان آخر صفهم على شفا العتيق فلم يتسع خلف صفوفهم مكان لمواصلتهم حتى وجدنا طعام رستم كان ير أمام الصفوف . معنى هذا أن الفرس تركوا ممراً أمام الردم إلى أمام صفوفهم كما رسمنا بالخريطة .

١١ - كانت الجبهة بطول ميل بين الصفين وبطولها .

ثانياً - تعبئة وستم

١٢ - هرمان على الميمنة . وجالنوس بينه وبين القلب .

١٣ - مهران على الميسرة . وبيرزان بينه وبين القلب .

١٤ - بهمن جاذويه بين رستم وجالنوس منذ كانوا بالتجف فجعله بالقلب ويبعدوا أن رستم اطمأن إليه منذ انتصر يوم الجسر على أبي عبيد .

١٥ - وإذاً كان ترتيب فرق الفرس من الميمنة إلى الميسرة كالتالي ، هرمان - جالنوس - بهمن جاذويه - بيرزان - مهران .

١٦ - أفيال الفرس كانت ٣٠ في رواية و ٣٣ في رواية أخرى . رواية
ثالثة تفسر لنا هذا التعارض بأنها كانت ٣٠ فيلاً للقتال و ٣ للملوك تركبها
لا تقاتل . وضع رسم ١٨ فيلاً منها بالقلب [إذاً منها واحد غير مقاتل] ، و ٨
في الميمنة [إذاً منها واحد غير مقاتل] ، و ٧ في الميسرة [إذاً منها واحد
غير مقاتل] . [الطبرى ٤ / ١١٣] . مع كل فيل ٤٠٠٠ مقاتل من الفرسان
والمشاة . وهكذا ينضبط تعداد جيش الفرس المقاتل ٣٠ فيلاً \times ٤٠٠٠ مقاتل =
١٢٠٠٠ مقاتل . ذهبنا إلى أن نصفهم من الفرسان ونصفهم من المشاة .

إذاً كانت فرقة هرمزان [الميمنة] $= ٧ \times ٤٠٠٠ = ٢٨٠٠٠$.

و كانت فرقة مهران [الميسرة] $= ٦ \times ٤٠٠٠ = ٢٤٠٠٠$.

١٧ - يوم أرماث وجه الفرس إلى الوجه الذي به بمحيلة [في ميسرة المسلمين]
١٣ فيلاً ، منها ٧ أفيال ميمتهم الخاصة بهرمزان ، وإذا كان معها ٦ أخرى من
أفيال القلب هي أفيال جاره في موقعه ، جالنوس .

إذاً كانت فرقة جالنوس $= ٦ \times ٤٠٠٠ = ٢٤٠٠٠$.

١٨ - هذه الأفيال الستة كانت من عدد أفيال القلب السبعة عشر . ومعنى
هذا أنه يبقى منها أحد عشر فيلاً تحت قيادتي بيرزان وبهمن . فإذا كان رسم
قد جعل في بين القلب ستة أفيال [جالنوس] فإن المنطق يقضي بأنه وضع في
يسار القلب ستة أفيال أيضاً [بيرزان] ويبقى لهمن خمسة أفيال .

١٩ - كان صف الفرس على حافة العتيق ، فوضعنا فرقهم على الخريطة
بأبعاد تتناسب مع تعداد كل فرقة .

٢٠ - كان جالنوس أول من دعا المhos إلى عبور العتيق للانسحاب ،
وعبره فكان الردم خلفه أو على الأقل بجانب قريب يسمح له أن يكون أول من
عبر . ثم عبر بعده هرمزان .

ثالثاً – تعبئة سعد

٢١ – عبد الله بن المعم العبسي على الميمنة – عبس من قيس عيلات ، إذا كانت قيس عيلان في الميمنة .

٢٢ – شرحبيل بن السمح الكندي على الميسرة – كندة من قبائل اليمن القحطانية . إذا كانت سائر قبائل قحطان في الميسرة . يدعم هذا .

١ – ان النخع نافست يحيلة في كثرة شهدائها فكانت تجاورها وتدور الدائرة عليها معها حين طحنتها الأفبال يوم أرماث .

ب – روایة قيس بن أبي حازم الأحسى البجلي [من يحيلة] ، قال مر^١ بنا عمرو بن معدى كرب [الزبيدي] وهو يحضر الناس بين الصفين [الطبرى ٣ / ٥٣٧] .

ج – وروایته أيضاً ان الأعاجم وجهت الى الوجه الذي فيه يحيلة ١٣ فيلاً . إذاً كانت موافق زبيد [من اليمنيين القحطانيين] قريبة من يحيلة وزبيد من سعد العشيرة .

د – ان الأشعث بن قيس قام في بني كندة يدفع عن يحيلة . وكندة أيضاً من اليمنيين القحطانيين – عشيرة شرحبيل بن السمح قائد الميسرة . تقييدنا كل هذه الأدلة وأمثالها أن القحطانيين جميعاً قد اجتمعوا في الميسرة تحت قيادة شرحبيل بن السمح . ومن لم يرد له ذكر معين يحدد لنا بدقة موقع موافقه بين القحطانية رتبناهم وفق تجاور مساكنهم حسب ما ذكرنا عن ابن خلدون في الجزء الأول من كتاب « الطريق إلى المدائن » .

٢٣ – أرسل سعد يوم أرماث إلى بني أسد أن يردوا هجوم الفرس عن يحيلة [الطبرى ٣ / ٥٣٨] . وإذاً فقد كانت أسد تجاور يحيلة في موافقها . وكانت أسد من ولد عدنان ولم تكن من القحطانية ، ومعنى هذا أنها لم تكن عن يسار يحيلة حيث تدور الدائرة مع قبائل القحطانيين وإنما كانت عن يمينها حيث

لم تكن المعركة قد امتدت اليها بعد . يفيدنا هذا أيضاً أن يحيلة كانت منتهى
يدين القحطانية .

٢٤ - وجدنا غالب بن عبد الله الليثي يخرج مع فرسان بني أسد يدفعون عن
يحيلة ، وليث من كنانة وكانت كنانة ثلاثة فقط في المعركة – يدلنا هذا على
انضمام كنانة الى أسد ، وقد كان أسد وكنانة أخوين وما ابنا خزيمة بن مدركة
ابن إلياس بن مصر . فكان انضمام كنانة الى أسد في المعركة هو انضمام القليل
الى إخوتهم الأكثر عدداً .

٢٥ - وجه الفرس ضغطهم يوم أرماث على أسد فوجهوا اليهم جالنوس
و بهن [الطبرى ٣ / ٥٤٠] . يوافق هذا تعبئة الفرس فيما تواجه بالنسبة لموقع
أسد من الجهة .

٢٦ - رد عاصم وبنو تم أفيال الفرس عن أسد ، وإذاً كانت تم الى اليمين
من أسد فقد كانت يحيلة هي التي عن يسارها . ويصل هذا بواصف المسلمين ان
تقع تم في صميم قلب المسلمين أمام القصر وفي مواجهة قلب جيش الفرس .
يؤيد هذا :

أ - أنه عند التعبئة أدخل سعد مقدمة زهرة ومؤخرة عاصم – وكلها
كان من تم – في الوسط .

ب - أسر عاصم بن عمرو التميمي يوم أرماث البغل الذي يحمل طعام رستم
وبطبيعة الحال كان مكان رستم في قلب الفرس يواجه قلب جيش
المسلمين .

ج - بارز القعقاع بن عمرو التميمي بهن جاذبيه وكان مكانه في القلب
من جيش رستم .

د - ثم بارز بيزان وكانت موافقه إلى جوار بهن .

ه - انتهى القعقاع ومن معه يوم القادسية إلى سرير رستم ، فكان إذا
قبالته .

و — هلال بن علفة التيمي تم الباب قتل رستم . وكانت الباب وتم أبناء عمومة وتجاور مساكنهم في جزيرة العرب ، وبعض النسبة يجعل الباب من تم مما يجعل من المعقول أن تكون موافقهم مع تم .

٢٧ — سقطت «درفش كابيان» في يد ضرار بن الخطاب الفهري [القرشي] وفهر من كنانة وكنانة كانت مع أسد . ومن البديهي أن ينصب رستم رايته الكبري الى جوار سريره ونرى أن ذلك كان الى يمين السرير حيث يواجه موقف كنانة .

٢٨ — توزيع قبائل المسلمين على طول الجبهة بمعدل يتناسب وعدد كل قبيلة يستقيم مع كل ما سبق .

٢٩ — لم نجد في الروايات ما يدلنا على موافق ١٠٠٠ من قضاة و ١٠٠٠ من طيء ، وكان هناك لذلك احتمال من اثنين ، إما أن يكونوا اتخذوا موافقهم في الميمنة بحكم تجاور مساكنهم في شبه الجزيرة مع عبس وذبيان من قيس عيلات — وفق تحليل ابن خلدون — وإما أنهم كانوا في الميسرة بحكم أنهم قحطانيون [كانوا أصلاً من قحطانية اليمن ثم تزحوا شمالاً] ، وقد رجحنا الاحتمال الأول واخترناه لأنه هو الذي يتفق به أن تكون سائر القبائل في موافقها تلك التي رسمناها على الخريطة فاستقامت بذلك ، ولو وضعنا طيئاً وقضايا في الميسرة لانزاحت كل من يحيله وأسد وتم الى اليمين مسافة تباعد موافقها بعض الشيء ، مما أمامها من تعبئة الفرس التي التحمت معها .

على هذه الأسس رسمنا خريطة تعبئة القادسية التي أعادتنا كثيراً على تتبع سير المعركة وفهم مراحلها وأحداثها في أيامها كلها ، وجاءت في كل جزئية منها موافقة لكل ما ذكرته روايات المصادر . ونرجو أن تكون قد وفقنا في ذلك الى عين الصواب .

توقيت القادسية

تضاربت الأخبار عن توقيت موقعة القادسية والأيام السابقة لها . وقد جمعنا فيما يلي ما وجدناه من ذلك ثم قمنا بالنظر فيه ومقارنته ببعضه ومطابقته على الأحداث حتى خلصنا إلى النتيجة التي أخذنا بها :

- ١ - كانت وقعة القادسية في أول محرم ١٤ هـ^(١) .
- ٢ - بدأ تواجد المسلمين لهذه الحملة على المدينة في أول محرم ١٤ هـ . فأذلهم عمر بصرار^(٢) .
- ٣ - كانت وقعة القادسية وافتتاحها سنة ستة عشر^(٣) .
- ٤ - كان بعض أهل الكوفة يقول كانت وقعة القادسية سنة خمسة عشر^(٤) .
- ٥ - قال [لا ندرى من] والثبت عندنا أنها كانت في سنة أربعة عشر^(٥) .
- ٦ - وأما محمد بن اسحق فإنه قال كانت سنة خمسة عشر^(٦) .
- ٧ - في آخر سنة خمسة عشر قتل الله رستم بالعراق ، وشهد أهل اليرموك حين فرغا منه يوم القادسية مع سعد بن أبي وقاص ، وذلك أن سعد أحين حسر

(١) الطبرى ٣ / ٥٣٨ س ش س عن اسماعيل بن أبي خالد .

(٢) « « « ٤٨٠ / ٣ عن محمد وطلحة و زياد بسنادهم .

(٣) (٤) (٥) (٦) الطبرى ٣ / ٩٠ هـ عن الواقدي .

عنه الشتاء سار من شراف يريد القادسية ، وفي رواية ابن اسحق أن اليرموك كانت في رجب سنة خمسة عشر ^(١) . [الطبرى ٤ / ١٣٦] .

٨ - نزل سعد زرود أول الشتاء ^(٢) .

٩ - أقام سعد بزرود [التعلبية] ثلاثة أشهر حتى لحق به أصحابه ثم قدم العذيب في ١٥ ^(٣) .

١٠ - أقام سعد بالقادسية شهراً ثم كتب إلى عمر : « لم يوجه القوم بينما أحدا » ^(٤) .

١١ - أقام رستم بين الحيرة والسياحين أربعة أشهر لا يقدم على المسلمين ^(٥) .

١٢ - كان بين خروج رستم من المدائن وعسكرته بساطع وزحفه إلى أن لقي سعداً أربعة أشهر ^(٦) .

١٣ - كان بين قدوم خالد العرائى ونزول سعد القادسية سنتان وشيء . وكان مقام سعد بها شهرين وشيناً حتى ظفر ^(٧) .

١٤ - خطب سعد يوم أرماث وذلك يوم الاثنين في المحرم ١٤ هـ فكان مما قال : « .. وقد أباها لكم منذ ثلاث حجج .. »

وقال عاصم يومها لقومه : « ... وأنت تنالون منهم منذ ثلاث سنين... » ^(٨)

١٥ - كان مقام سعد بالقادسية بعد الفتح شهرين في مكتابة لعمراً . ثم ارتحل

(١) الطبرى ٣ / ٥٧٢ عن ابن اسحق عن وهب بن كيسان عن عبد الله بن الزبير .

(٢) الطبرى ٣ / ٤٨٦ من ش س عن محمد وطلحة عن ماهان وزياد بإسناده .

(٣) فتوح البلدان ٦٣٣ .

(٤) الطبرى ٣ / ٤٩٤ من ش س عن عبد الله بن مسلم العكلى ، والقدام بن أبي المقدام عن أبيه عن كرب بن أبي كرب العكلى .

(٥) فتوح البلدان ٦٣٤ .

(٦) الطبرى ٣ / ٥٠٩ س ش س عن محمد وأصحابه وشاركتهم النصر بإسناده .

(٧) » » » عن عمرو عن الشعبي .

(٨) » » » عن محمد وطلحة وزياد بإسنادهم .

إلى برس لأيام بقين من شوال ١٥ هـ - كذلك أورد الطبرى برس ضمن أحداث عام ١٥ هـ^(١).

١٦ - علم سعد بخاصة أسفل العسكرية فأرسل إليها طليحة بن خوبيل فعبر منها العتيق إلى خلف عسكر الفرس وراء الردم^(٢).

١٧ - كان قتال القادسية يوم الخميس والجمعة وليلة السبت وهي ليلة الهرير^(٣). من جملة هذه الروايات نجد لها اتجاهًا عاماً واحداً إذا استثنينا من بينها القليل الشاذ. فمن حيث كان بهذه توافد المسلمين على المدينة في أول محرم ١٤ هـ فإنه ينتفي أن تكون القادسية في أول محرم ١٤ هـ. والذين قالوا إن القادسية كانت عام ١٦ هـ يختلفون مع الثابت أن فتح المدائن كان في صفر ١٦ هـ وكانت بين القادسية والمدائن من الزحف والمعارك ما لا يتسع له ما قبل صفر من عام ١٦ هـ، كما سترى في الكتاب التالي.

أما الرواية التي تقرر أن سعداً نزل زرود أول الشتاء، فكأنها تقرر أن ذلك كان في أواخر شعبان ١٤ هـ فهو الذي كان يوافق منتصف أكتوبر (تشرين الأول) ٦٣٥ م الذي يمكن اعتباره أول الشتاء، ويكون مسيرهم ونزو لهم زرود قبل حلول شهر الصوم رمضان، وهو أول شتاء يحيى بعد محرم ١٤ هـ. يتفق مع هذا، الرواية التي تقول أن سعداً سار من شراف حين حسر عنه الشتاء، يعني في مارس (آذار) ٦٣٦ م الموافق صفر ١٥ هـ، وهو ما يتفق أيضاً مع بقاء سعد في زرود ثلاثة أشهر وكأنه أقام في شراف حوالي شهرين في عملية تنظيم لقواته. ويطابق هذا الرواية التي حددت قدومه على العذيب في عام ١٥ هـ. لقد توفي المثنى وسعد بزرود وتزوج سعد سلمى قبل خروجه من شراف. وبين نزول سعد زرود وبين خروجه من شراف يتحتم أن يكون قد انقضت عدة

(١) الطبرى ٣ / ٦١٩ س ش س عن محمد والمطلب وعمرو وسعيد.

(٢) «» ٣ / ٥٥٧ «» «» عن محمد وطلحة وزياد.

(٣) فتوح البلدان ٦٤٢.

المتوفى عنها زوجها وهي أربعة أشهر وعشرة أيام . ولكن سعداً كان في زرود قبل وفاة المثنى بزمن لا تذكره المصادر ، ومن حيث كان كل منها ينتظر قدوم الآخر فلم يكن ذلك الانتظار ليطول بين الرجلين دون أن يتكاتباً لتحديد مكان اللقاء ، كالم تكن تلك الأيام لتقصّر حتى ينتفي مفهوم الانتظار . ولربما يكون سعد قد أقام بشراف أياماً بعد زواجه من سلمي . والتاريخ الذي قدرناه لخروج سعد من شراف يجعل تلك المدة كلها خمسة أشهر ونصف منذ نزوله زرود وهي مدة معقولة ومنطقية مع هذا التقدير ، بل إن نقصانها أو زياقتها كثيراً عن ذلك يخرجها عن حدود المقبول .

لقد نزل سعد بشراف وكتب إلى عمر بننازل الناس فكتب له عمر بتنظيم جيشه وقام سعد بإلقاء ذلك التنظيم ثم كتب إلى عمر بذلك فأجابه بخطته لمعركة القادسية وأمره بالسير إليها . وإذاً فلا بد أن يكون الزمان الذي أقامه سعد بشراف يتسع لانتقال البريد بينه وبين المدينة أربع مرات علاوة على ما اقتضته عملية التنظيم ، ووفق تقديرنا أنه أقام بشراف حوالي شهرين .

بناء على ذلك قدرنا نزول سعد القادسية في حوالي ١٦ صفر ١٥ - ٥ مارس (آذار) ٦٣٦ م على أساس أن بين شراف والقادسية مسيرة ثلاثة أيام . وأقام سعد بالقادسية شهراً قبل أن يعين يزدجرد رستم حرب المسلمين ثم عينه بعد ذلك وسار ذلك السير البطيء الذي استغرق أربعة أشهر على روایتين ، إحداها تقول من خروجه من المدائن والثانية تجعل الأربعة أشهر بين الحيرة والسيلحين .

يضاف إلى ما سبق الاعتبارين الآتيين :

- ١ - ان ارتحال سعد إلى برس من القادسية بعد أن أقام بها شهرين بعد المعركة كان لأيام بقين من شوال ١٥ هـ .
- ٢ - في روایة ابن اسحق أن اليرموك كانت في رجب ١٥ هـ . وأن أهل اليرموك حين فرغوا منه شهدوا القادسية .

يجعلنا هذا وذاك نضع القادسية من أحداث شعبان ١٥ هـ .

ويؤيدنا في هذا كافة الروايات التي تجعلها في عام ١٥ هـ . ويؤيدنا أيضاً خطبة سعد في القادسية التي قال فيها : « .. وقد أياحها لكم منذ ثلاث حجج » . وخطبة عاصم التي قال فيها : « .. وأتم تناولون منهم منذ ثلاث سنين .. » ومن حيث بدأت حملات فتح العراق منذ عام ١٢ هـ . فلا يتفق فوات ثلاث حجج إلا في عام ١٥ ، أما في عام ١٤ فتكون حجتان فقط مما عام ١٢ وعام ١٣ ، وأما في عام ١٦ فتكون قد بلغت أربع حجج .

ويلاحظ من عبور طليحة بن خويلد نهر العتيق خروضاً أن الوقت لم يكن وقت فيضان بل كان زمن تحاريق . ولقد وافق شعبان ١٥ هـ . شهر سبتمبر (أيلول) ٦٣٦ م وهو ما يتفق مع ما ذهبنا إليه .

هذا ويدعم ما ذهبنا إليه أيضاً الخطة العامة للقادسية ، فقد كان مما كتب عمر إلى سعد :

« فإن منحك الله أدبارهم فلا تنزع عنهم حتى تقتتحم عليهم المدائن فإنه خرابها إن شاء الله » .

يعني أن الخطة انبنت على معركة حاسمة بالقادسية يعقبها اندفاع خاطف إلى المدائن . وقد كان فتح بحر سير والمدائن في صفر ١٦ هـ . مما لا يستقيم معه أن تكون القادسية عام ١٤ هـ . وإنما يطابق أن تقع في شعبان ١٥ هـ .

ولو أن سعداً كان حاد البصر ، إلا أن رؤيته أبي محبجن والبلقاء ليلة السواد يدلنا على أنها كانت ليلة مقمرة صافية ، ولا نتصور أن يراه على الصورة التي مررت بنا ليلة السواد في غير إضاءة قمرية واضحة . وفي فتوح البلدان ٦٤٢ أن قتال القادسية كان يوم الخميس والجمعة وليلة السبت وهي ليلة الهرير . وبالرجوع إلى تقويم شهر شعبان ١٥ هـ استطعنا أن نطابق ذلك في الليالي المقمرة مع أيام الخميس ١٣ شعبان والجمعة ١٤ شعبان - ٢٠ سبتمبر (أيلول) ٦٣٦ م وهي ليلة رؤية أبي محبجن ، والسبت ١٥ شعبان .

أما الرواية التي تذهب إلى أنه كان بين قدم خالد العراق وننزل سعد القادسية سنتان وشيء وأن مقامه بها كان شهرين وشيشاً حتى ظفر، فإنها تنضبط إذا قسنا ذلك على خروج خالد من العراق في صفر ١٣ هـ وليس على قدمه إليه في حرم ١٢ هـ. ولعل الرواوي أن يكون قد التبس عليه.

على ذلك تكون قد أخذنا بكلة الروايات السبعة عشر وأعلناها فيما عدا أرقام ١ و ٣ و ٥ منها فقد نقضناها.

نفرغ ما سبق في النتائج الآتية :

١ محرم	١٤ هـ	٢٤ فبراير ٦٣٥	بدأ تجمع الجيش بصرار.
حوالي ١٣ شعبان	«	١ أكتوبر	ـ خرج سعد من صرار.
« ٢٧	«	١٥	ـ « بلغ زرود مع أول الشتاء وأقام بها ثلاثة أشهر.
ـ ٣٠ ذي القعدة	«	١٤ يناير ٦٣٦	ـ خرج من زرود بعد أن لحق به سائر جيشه.
ـ ٨ ذي الحجة	«	٢٢	ـ « نزل بشراف ونظم جيشه وتزوج سلمى.
ـ ١٣ صفر	١٥	٢٦ مارس	ـ خرج من شراف بعد الخسار الشتاء إلى القادسية.
ـ ١٦	ـ	ـ ٢٩	ـ « بلغ القادسية وأقام بها شهراً قبل تولية رستم.
ـ ٢٣ ربيع الأول	ـ	ـ ٤ مايو	ـ تولى رستم حرب سعد.
الاثنين ١٠ شعبان	ـ	ـ ١٦ سبتمبر	ـ بلغ رستم القادسية بعد تحركه بطبيه.
الخميس ١٣	ـ	ـ ١٩	ـ « أرماث - وليلة الهدأة.
الجمعة ١٤	ـ	ـ ٢٠	ـ « أغوات - وليلة السواد.

السبت ١٥ شعبان ١٥ ٢١ سبتمبر ٦٣٦ م عباس - وليلة الهرير .
الأحد ١٦ « ٢٢ « « يوم القادسية .
 حوالي ٢١ شوال « ٢٥ نوفمبر « خرج من القادسية الى اللسان
 ثم برس ثم بابل .
 « ٤ ذي الحجة « ١٨ يناير ٦٣٧ نزل على بحر سير وبدأ حصارها .
 « ٧ صفر ١٦ مارس « فتح بحر سير بعد حصار دام
 حوالي شهرن .
 « ١٤ « ٢٧ « فتح المدائن .

القادسية معركة

بعد هذا الاستطراد الطويل لعلنا لاحظنا أن القادسية قد أخذت شكلاً خلاف معارك الملاحم السابقة . في تلك الملاحم كانت المعارك سريعة متلاحقة في لقطات سريعة وحركات خاطفة نلهم وراء خالد بن الوليد أو المثنى بن حارثة لمتابعتها واللاحق بها . أما في القادسية فقد اخذت وضعاً مستقرأً في أرض تم اختيارها قبل ذلك بفترة طويلة عن دراسة سبقت وإصرار وترصد حتى لكاننا كنا نستخشم على إنجاز المعركة من طول ما انتظرنا ، فهي مثال للتدبير الرزين الذي لا يتبعجل الأمور ولا يستعجل النتائج . فإذا ذهبنا نتأمل مزايا معركة القادسية وصفاتها تبين لنا الآتي .

دراسة الموارد المتاحة للمعركة

١ - ان أمير المؤمنين عمر لم يبادر إلى الدخول في المعركة قبل أن يتم بالفعل حشد كل القوى المستطاعة ، وان تقدم سعد نحو القادسية كان بطيناً أبطأ من أي تقدم سبق ، فقد نزل المسلمون زرود في أواخر شعبان ١٤ هـ . بينما لم يصلوا القادسية إلا حوالي منتصف صفر ١٥ هـ . أي بعد خمسة أشهر ونصف . انقضت هذه الشهور في عملية حشد وتوجيه وتنظيم للموارد . بعبارة أخرى أن عمر بدأ حربه مع فارس بدراسة واقعية للموارد المتاحة للمعركة المطلوبة ، وعرف جيداً كم من الجندي تحت يده ، كما كان يدرك نوع هؤلاء الجندي مشاكلهم وفرسانهم

وإمكاناتهم المادية والمعنوية . وقد اهتم اهتماماً خاصاً بخشد الخطباء والشعراء ورؤساء القبائل لما لهؤلاء من أثر معنوي في الحرب عند العرب .

جندية ممتازة

٢ - لقد كانت هذه المعنوية من أكثر العوامل ظهوراً في المعركة ، معنوية لا تعرف الخوف والوجل قامت على إثبات حق لا يتزعزع أفرغ في أصحابه أعلى درجات الشجاعة .. أي جرأة تلك التي تدفع صاحبها إلى مهاجمة فيل مدرع ومدرب ، عليه طاقم مسلح بالقسي والرماح والطبرزيات .. هذه الجسارة النادرة استطاعت أن تخرج من المعركة ثلاثين فيلاً مرتين ، مرة في يوم أرماث ومرة أخرى يوم عباس ، فأحدث ذلك أثراً مزدوجاً إذ ارتفع المسلمون منها وما كانت تفعل كسلاح له فاعليته ، كما فجع خروجها الفرس وقد كانوا يعتمدون عليها ويعتبرونها سلاحهم الرهيب الذي يحتكرونه دون أعدائهم .

هذه الجنديـة المـتـازـة لم تـواجهـ الأـفـيـالـ فـحسبـ وإنـماـ وـاجـهـتـ أـيـضاـ تـلكـ الأـعـدـادـ الـمـهـولـةـ منـ المـشـاهـ الفـرسـ المـقـرـنـينـ فـيـ السـلاـسـلـ وـغـيرـ المـقـرـنـينـ ،ـ وـفـرـسانـهـ الـدارـعـينـ الـذـينـ يـفـوقـهـمـ عـدـداـ وـعـدـةـ .ـ وـلـكـنـ الـمـسـلـمـينـ كـانـواـ يـمـتـازـونـ بـلـيـاقـةـ بـدـنـيـةـ وـلـيـاقـةـ سـلـوكـيـةـ أـكـبـرـ ،ـ تـجـلـيـ هـذـاـ وـذـاكـ فـيـ ذـلـكـ الصـبـرـ الـجـمـيلـ عـلـىـ الـقـتـالـ سـاعـاتـ طـوـالـ دـوـنـ خـوـرـ ،ـ فـإـذـاـ شـعـرـواـ بـالـتـعبـ شـعـرـواـ مـعـهـ أـنـ عـدـوـهـمـ أـيـضاـ قـدـ تـعبـ وـأـنـ النـصـرـ لـمـ صـبـرـ ،ـ وـيـمـثـلـونـ قـوـلـهـ تـعـالـىـ :

﴿إِن تَكُونُوا تَّائِلُونَ فَإِنَّهُمْ يَّأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾.

كذلك ساهمت النساء والصلبان في تزييف الجرحى وحفر القبور لثمانية آلاف وخمسة شهيد وفي سقي المصابين وأعمال التشطيب بعد الفراغ من صلب المعركة.

لقد هدفنا من وراء ترداد المواقف الفردية لأبطال المسلمين إلى تبيان نوع تلك الجنديية التي كان الواحد منهم ينتقي أشد مواطن الخطر ليجود فيها بنفسه عن إخوانه ويكون له مندوحة لم يفعل . فهذا يسأل أى الموت أشد ، وذلك

يُوت ليبلغ مكان رسم وثالث يتلقى ضربة الطبرzin في وجهه ليضرب خرطوم الفيل .. وهكذا .

وفي أثناء ذلك يحرى الشعر على ألسنتهم عذباً يشيد ببطولتهم ويسجل موافقهم في فخر صادق لا زيف فيه هم له أهل . هي نساج فوق دلالتها على شجاعتهم وأيمانهم واحتسابهم أنفسهم لله كانت تدل على مهارة في القتال وكفاءة تدريبية ، بكل تأكيد لم يكن للمجوس مثيل لها .

دراسة واعية للعملية

٣ - وكما درس عمر موارده لقد درس أيضاً العملية المطلوبة ، وكانت رسائله الكثيرة إلى سعد ورسائل سعد إليه دراسة لاحتياجات المعرّد ودراسة المنطقة وطبيعتها وطبوغرافيتها ومداها ومسافاتها . وبناءً على ذلك كان يرسم خطة المعرّكة في مواقعها وخطة إمدادها بما يلزمها من إمدادات وتوين سواء من القاعدة الأصلية في شبه الجزيرة أو من الميدان نفسه .

من تلك الرسائل يتبيّن أن عمر كان يعرف الكثير عن جغرافية الميدان ثم كان يطلب المزيد من سعد فيصفه وصفاً طبوغرافياً استطعنا منه أن نرسم نحن اليوم خريطة القادسية ! ذلك الموقع الختار وما اتصف به من صفات كان هو محور خطة القادسية وعليه اعتمادها .

ميزات أرض القادسية

٤ - كانت أرض القادسية كما سبق أن ذكرنا عند التقاء الصحراء بالسواد ، وراءها صحراء العرب وأمامها أنهار السواد وبطائحة المغمرة بالمياه وزروعه ونخيله ، فإذا دارت الدائرة لصالح المسلمين انحصر الفرس بين الأنهراء ولم يكن انسحاب قواتهم كبيرة العدد سهلاً ويكون اصطيادهم في المطاردة هيناً . أما إذا دارت لغير صالح المسلمين فخط رجعتهم مفتوح وراءهم إلى صحرائهم التي يتوه فيها خصمهم .

ضيق وسعة

٥ - سبق المسلمين الفرس إلى أرض المعركة واتخذوا مواقبهم فيها قبل أن يعبر الفرس . ثم لم يتركوا لهم اتساعاً مناسباً يستوعبهم استيعاباً مريحاً . كانت الجبهة بطول ميل [والميل ١٨٤٨ مترأً] وكان عرض ما يشغل المuros في حدود مائتي متر . وإذاً فقد كانت مساحة ما يقف عليه جيش فارس حوالي ٣٧٠٠٠٠ مترأً مربعاً ، فإذاً أخذنا في اعتبارنا أن جيش الفرس والتبع بلغ ٤٠٠٠٠ لكان نصيب الفرد منهم من مساحة أرض المعركة مترأً ونصف متر مربع ليقف ويتحرك فيها ، فإذاً أدخلنا في اعتبارنا وجود خيل وأفيال وأنقال ومتاع لكان نصيب الفرد منهم أقل من ذلك . وقد يقال على سبيل الحدس والتخيين الذي لم يقل به أحد من الرواية أن التبع ربما كانوا من وراء العتيق وحينئذ يرتفع حيز الفرد إلى أقل من ثلاثة أمتار مربعة . فاي ضيق ذلك الذي وضع فيه جيش فارس نفسه ، أو الذي وضعه فيه سعد ؟ وكيف يتسع لجيش هذا وضعه أن يتحرك وأن يقاتل وأن يناور ؟

هذا بينما لنا أن نفترض - محقين في افتراضنا - أن المسلمين أخذوا من مساحة أرض الميدان حاجتهم على الأقل لأنها كانت في أيديهم ابتداءً ، وإذاً فقد كان لهم أن يتحركوا وأن يرحو ويحيطوا بينما حركة المuros مقيدة . وهكذا تقلب الكثرة العددية نعمة في غير صالح أصحابها . وربما ساعد هذا على أن يفسر لنا كيف عجز اثنان وخمسون ألفاً من المuros معهم ثلاثة عشر فيلاً أن يطحنو ألفين من بحيرة حين شنوا هجومهم عليهم يوم أرماث .

اتجاه الشمس

٦ - نظرة إلى خريطة القادسية تبين لنا أن صفوف المuros كانت إلى الشمال والشمال الشرقي وأن صفوف المسلمين كانت إلى الجنوب والجنوب الغربي . ومعنى هذا بعبارة أخرى أن وجوه المuros كانت تتجه إلى الجنوب والجنوب الغربي بينما وجوه المسلمين كانت تتجه نحو الشمال والشمال الشرقي . وإذاً فقد كانت

الشمس من شروقها الى غروبها تقابل وجوه الجنوس بينما هي في ظهور المسلمين . بطبيعة الحال لم يكن هذا عن اختيار من المسلمين وتعمد له حين اختاروا موقع القادسية ولكن الصدفة التي تحدث أحياناً أو ما يطلقون عليه في الحرب «عنصر الحظ » ، وهو ضرب من القضاء والقدر كان من نصيب المسلمين .

اتجاه الريح

٧ - حظ آخر أو قضاء آخر حالف المسلمين في مواقعهم تلك بالقادسية ، ذلك هو اتجاه الريح . والرياح السائدة على العراق شمالية غربية تتجه من الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي معظم أيام السنة ^(١) . ولكن يتعرض الجو شتاء للأعاصير فينقلب اتجاه الريح . وقد حدث ذلك في أيام القادسية فنشطت الرياح الدبور في اتجاه من الغرب الى الشرق ، ولا بد أنها كانت أكثر ميلاً عن تسامت « غرب شرق » فكانت أقرب الى أن تهب من الجنوب الغربي الى الشمال الشرقي حتى اقتلت طيارة رستم وألقت بها في نهر العتيق . فكمل غبار المعركة كانت تسفيه الريح في وجوه الجنوس وتقتل فعلها لا سبباً وأنها قادمة من منطقة صحراء ، في حين كانت الرؤية في أوضاع حالتها لل المسلمين وبصفة خاصة لسعد الجاثيم فوق قديس قصر القادسية يشرف منه على ميدان المعركة ويصدر أوامره وتوجيهاته ويحرك وفق ما يرى قواته .

كان قديس برجاً للمراقبة ممتازاً ، والشمس والريح والغبار كانت من جنود الله في هذه المعركة شاركت فيها لصالح المسلمين . وقبلها بسنوات عشر حين تنبأ الرسول ﷺ بسقوط قصور الحيرة والمدائن وصنعاء والشام في أيدي المسلمين أنزل الله في مثل ذلك من غزوة الخندق قوله تعالى ^(٢) :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذْ كَرُوا نَعْمَةُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجِنُودًا لَمْ تَرُوهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾ .

(١) جغرافيا العراق الطبيعية ١٠٥ - د. جاسم محمد الخلف .

(٢) الأحزاب : ٩ .

وفي القادسية كان كثير من شهد غزوة الخندق تلك في العام الخامس من الهجرة وتلقوا نبوءة النبي وشهدوا نزول تلك الآية الكريمة، شهدها سعد وسلمان الفارسي وغيرهم من المهاجرين والأنصار ، وليس هذا فقط بل شهدها أيضاً من المسلمين الأبرار الذين يقاتلون أذى يوم في القادسية من كان لا زال كافراً مع قريش وأسد وغطفان يريدون اقتحام المدينة على رسول الله ومن معه من المؤمنين ، شهدها ضرار بن الخطاب القرشي وطلحة بن خويلد الأنصي وغيرهما ، شهدوا غزوة الأحزاب كافرين وشهدوا القادسية مؤمنين .

اختيار الموقع بصفاته السالفة إذاً كان هو أساس الخطة لحركة القادسية فاعتمدت على مزاياه كلها واستفادت منها ، وأنه كان محصوراً فلم يكن يتسع خط المواجهة لأكثر من عدد معين فقد الكثرة معها ميزة ، إذ ماذا يصنع أولئك الذين هم خلف الصدف الأول ؟ فضلاً عن ذلك فإن وجود العتيق خلف ظهور الفرس حرهم بالفعل من فرصة انسحاب منتظم فكانت كارثتهم محققة . ولولا موقع العتيق ذاك لاستطاع رستم أن ينجو بنفسه وقد كان لرستم وزنه في دولته وكان يمكن أن يمول عليه في استمرار الحرب بشكل أكثر فاعلية . ولولا موقع العتيق لما غرق فيه ثلاثة ألفاً من المقتربين بالسلاسل . ولولا موقع العتيق لاستطاع عدد أكبر من تناولتهم رماح المسلمين وسيوفهم أن يجدوا طريقاً لانسحاب أفضل .

قيادة ممتازة

٨ - وكما تتوفر الجنديـة الممتازة والأركانـات التي رأينا جهودها ، كذلك تتوفر للـمسلمـين كفاءـة الـقيـادة .

لقد كان سعد مثالاً للحزم الذي ينبغي لقائدـ فيـ المـيدـانـ وـنموذـجاًـ للـهـدوـهـ والـرـزانـةـ وـالـأـنـاةـ بـالـرـغـمـ مـاـ أـصـابـهـ مـنـ مـرـضـ وـعـلـلـ وـضـعـتـهـ فيـ مـوـضـعـ حـرـجـ لـلـغاـيـةـ،ـ وـلـكـنـ مـاـذـاـ كـانـ يـسـتـطـيـعـ أـيـ قـائـدـ مـثـالـيـ أـنـ يـصـنـعـ أـفـضـلـ مـاـ صـنـعـ سـعـدـ؟ـ إـنـ كـافـةـ الـقـادـةـ الـيـوـمـ وـالـمـشـهـودـ لـهـ مـنـهـمـ يـفـعـلـونـ أـكـثـرـ مـنـ ذـلـكـ دـوـنـ مـرـضـ فـيـقـوـدـونـ

معاركهم من مناطق هي خارج ميادينها . لقد كشفت لنا هذه المعركة عن أهم ميزات القائد الصحابي الجليل سعد بن أبي وقاص ومعدنه النفيس ، وهي الأعصاب الهدادنة ، فلم يصدر قراراً واحداً يتسم بالرعونة أو النزق ، بل وجدناه والمعركة على قيد أمتار منه حين اقتنع بأنه ليس مطلوباً منه شيء وجدناه يذهب فينام ! لقد كان سعد رضي الله عنه في هذا صورة للحديث الذي رواه هو نفسه عن رسول الله ﷺ حيث قال :

« التؤدة في كل شيء خير .. إلا في عمل الآخرة » .

ومن هنا كان تباطؤه في التكبيرات التي كانت أوامرها بالتحرك والالتحام ، فكان يؤثر الروية للنظر والرؤية ، وحق يجهد عدوه وينظر ما عنده .

وبعد دراستنا لحروب خالد والثنى في عهد أبي بكر لعل منا الآن من يتوقع من سعد أن ينادي في جيشه للزحف نحو المدائن والاستباق السريع بأي قوات مجوسية تكون على الطريق . إن كان كذلك فقد نسينا إذا الفارق بين ثنائى « أبي بكر - خالد » وبين ثنائى « عمر - سعد » . لقد كان لأبي بكر طبيعته فاختار لها القائد الذي يناسبها ، وكان لعمر طبيعة أخرى فاختار لها أيضاً القائد الذي يناسبها . فماذا حدث ؟ لقد أقام سعد المسلمين في القادسية في انتظار بلوغ سعد بن عميميله إلى المدينة ثم ما يأمر به عمر .

وليس هدوء الأعصاب هو الذي تحلى به سعد فحسب ، فلا شك أن شجاعته كانت تدعو إلى إعجاب أكبر وما إقامته بالقصر مع ما به من علة تمنعه من مباشرة القتال إلا إفراط في الشجاعة . فكما ذكر الرواية عن عثمان بن رجاء السعدي « .. ولو عرّاه الصف فوق ناقة لأخذ برمه ، فوالله ما أكرهه هول تلك الأيام ولا ألقه » .

ولقد كان سعد بالتعبير الحربي الحديث - محافظاً على غرضه - لقد كانت لديه خطة يعمل على إنفاذها أساساً أن تدور المعركة هنا على هذه الرقعة من الأرض بالذات ، ولقد ظل رسم يطاوله شهوراً عسى أن يزحزحه عن غرضه

وسعده صبور مُصرٌ على ما عزم عليه حتى زجر من كامه من المسلمين في اقتحام العراق ما دام الفرس لا يخضرون . وبدلاً من ذلك راح سعد يضفط على الفرس حتى يخبرهم على الخروج اليه حيث هو وذلك بالغارات التي كان يشنها على أنحاء العراق .

قيادات جديدة

٩ - وأخيراً لنا ملاحظة تلقت نظر المتأمل لحملة سعد ابن أبي وقاص وهي التغيير الشامل للقيادات والأركانات السابقة التي حملت مسؤوليات، سواء في حملة خالد بن الوليد لفتح العراق أو في عمليات المثنى بن حارثة . أين الأقرع بن حابس وأعبد بن فديك وأخوه أبو ليلي والزيرقان بن بدر وبشير بن الخصاصية وشجرة بن الأعز وعروة بن الجعده وعتبية بن التهاس وفرات بن حيان ومطر ابن فضة والمنذر بن حسان وحرملة بن مريطة وسلمى بن القين ونسير بن ديسن وغيرهم؟ هذه الأسماء التي لمعت في الحملات السابقة لعل أصحابها كانوا موجودين في القادسية أيضاً ولكن دون ذكر أو ضجيج، وبعدهم سوف يظهر مرة أخرى في قيادات مع استطراد الفتوح . ولكنهم في القادسية ظهرت بدلاً عنهم قيادات شابة أخذت الأضواء مثل زهرة بن الحوية وشرحبيل بن السمط وحمال بن مالك والريل بن عمرو ، فلماذا كان هذا التغيير ؟

لعل بعضاً منه كان راجعاً إلى عمر بن الخطاب شخصياً ، فقد رأيناه يتدخل في كل شيء ولا يترك للقائد العام في الميدان إلا أقل بكثير مما كان يمنح أبو بكر قواه من سلطات . وإننا نلمس ذلك من خطاب عمر إلى سعد عن زهرة قوله : « أنا أعلم بزهرة منك » بحيث نرجح أن اختيار مثل زهرة إنما كان اختياراً من عمر ولم يكن اختياراً من سعد . وسوف يكون ذلك أكثر وضوحاً فيما بعد حين استطردت الفتوح إذ كان عمر هو الذي يعين كافة تعبئة الحملات ويوجهها وجهتها .

من أرض الله. لا ندرى على وجه القطع واليقين تعليلاً لتلك الظاهرة ولكنها ربما رجمت لأسباب مثل تلك التي عزل عمر خالداً من أجلهما والتي عرضناها في الجزء الثاني من « الطريق إلى المدائن » .

وهناك من الشواهد أيضاً ما يجعلنا نرجح أن آخرين كانوا اختياراً من سعد بحكم صلته السابقة بهم ومعرفته الشخصية لهم . فلا نحسب أنه كانت من قبيل المصادفة البحتة أن يكون اختيار خالد بن عرفطة رديفاً لسعد إذا علمنا أن خالداً كان قبل الهجرة في مكة حليفاً لبني زهرة عشيرة سعد بن أبي وقاص ، ولربما كان شغب من شغب في اختيار خالد بن عرفطة أن كان ذلك ظناً منهم أنه اختيار راجع إلى تفضيل شخصي مع وجود من هو أولى وأكثر ظهوراً من ابن عرفطة .

أدوات الفرس للمعركة

١١ - ولا يفوتنا في معرض هذا التعليق أن نضع أمام الأنظار أنه كانت لدى الفرس مزايا وأدوات :

أ - كان في جانبهم الكثرة العددية الساحقة .

ب - أفضلية العدة والسلاح ونوعيته .

ج - سلاح الأفيال الرهيب الذي لم يكن لدى المسلمين مثله .

د - ستون ألفاً من الفرسان .

ه - أعلى درجات الكفاءة القيادية والحربية والسياسية في الدولة التي تتمثل في رسم ورأى كانه هرمزان وجالнос وبهمن جاذوبه وبيرزان ومهران وغيرهم .

و - تمنع الدولة الأساسية باستقرار داخلي توقفت فيه المنازعات الداخلية واجتمع الجميع على يزدجرد ملكاً لا ينمازع ، مع توقف حروب الدولة في أي ميادين أخرى مع الروم أو غيرهم .

ز - كان الفرس يقاتلون قريباً من ديارهم وعلى بعد نحو مائة كيلومتر من عاصمتهم .

ومع ذلك كله فقد انتصرت القلة المؤمنة المسلمة على كل تلك الإمكانيات ، وصدق الله العظيم : « ... قال الذين يظنون أنهم ملقو الله كم من فنة قليلة غلبت فنة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين » ^(١) .

(١) البقرة : ٢٤٩ .

خاتمة

ذكرنا في أول هذا الكتاب أن معركة القادسية تقع على قمة المعارك الحاسمة في تاريخ العالم باعتبار أنها المعركة التي افتتحت على آثارها أبواب العراق وفارس، وهي التي من عندها استطرد النصر الساحق لل المسلمين فاستطرد معه السقوط السياسي سياسياً وحربياً والسقوط المحسوس دينياً وعقائدياً.

ثم درسنا المعركة بكافة تفاصيلها ابتداء من الإعداد لها إلى متابعة أحدها يوماً بيوم وساعة بساعة حتى تم انتزاع النصر من المحسوس ليتوج به هام المسلمين. والآن صار واضحاً أن معركة القادسية لم تكن تستهدف احتلال موقع أو اكتساب أي أرض كانت، وإنما كان هدفها الجليّ الذي حافظ عليه سعد هو تحطيم الجيش الضخم لامبراطورية فارس، فإذا ما تحطمت فقد افتتحت بعد ذلك الأرض ودالت الدولة.

ولقد رأينا في «الطريق إلى المدائن» نظماً معيناً من العمل الحربي نستطيع أن نصفه بأنه نظم أبي بكر - خالد، ثم رأينا في القادسية نظماً آخر يمكن أن نصفه بأنه نظم عمر - سعد. ثم كانت القادسية منطلقاً لما بعدها من فتوح حق تام سقوط دولة الفرس واستيلاء المسلمين على آخر شبر من ترابها على نفس النمط والأسلوب الأخير.

هذا بكمال تفاصيله، طبقاً لما نهجنا في البحث الذي التزمناه في «الطريق إلى

المدائن » وفي « القادسية »، هو موضوع بحثنا الذي ضمننا كتابنا التالي (تحت الطبع) الذي سينتقل سقوط المدائن وما بعد المدائن .

موضوعنا التالي سوف يبدأ بتحرك جيش سعد بعد القادسية واشتباكاته مع قلول المحوس في بُرُس ثم في بابل مع فتح جبهة جديدة في قطاع الأبلة .. ثم معركة مظليم سباط وحصار بهر سير إحدى المدائن السابعة غربي دجلة حتى سقوطها ... أتعجب عملية عبور في التاريخ الحزير لفتح المدائن ، مركبات المسلمين البرمائية .. كتبية الأهواز .. معركة العبور .. إيوان كسرى يسقط في أيدي المسلمين مع وصف كامل للإيوان .. غنائم المدائن .. سمو المسلمين وأمانتهم .. حلوان عاصمة مؤقتة ليزدجرد .. معركة جلواء في الطريق إلى حلوان .. عمر يبكي على غنائم جلواء ! .. معاملة المحوس كأهل الكتاب .. الجبهات الأخرى .. تكريت ثم الموصل ونينوى .. هيـت وقرقيسـيـاء .. ماسـدان .. الأـبـلـة .. الأـهـواـز .. ثـورـةـ أـبـرـقـبـاـذ .. إـنـشـاءـ قـاعـدـةـ الـكـوـفـة .. فـتحـ الـجـزـيرـة .. وـرـطـةـ الـمـسـلـمـينـ فـيـ طـاوـس .. هـرـمـزانـ الأـسـيـرـ عـنـدـ عـمـر .. عـمـرـ يـحـاـكـمـ هـرـمـزان .. فـتحـ السـوـسـ ، جـنـديـ سـابـور .. فـتحـ الـفـتوـحـ بـنـهـاـوـنـد .. النـعـمـانـ بـنـ مـقـرـنـ تـلـمـيـذـ سـعـد .. اللـهـ جـنـوـدـ مـنـ عـسـل .. سـقـوـطـ هـمـدان .. اـنـسـيـاحـ الـمـسـلـمـينـ مـنـ الـبـرـةـ وـمـنـ الـكـوـفـةـ حـقـ حدـودـ السـنـدـ [ـ باـكـسـتـانـ الـيـوـمـ] .. الـبـاقـسـ يـزـدـجـرـدـ الـثـالـثـ اـبـنـ شـهـرـيـارـ .

ثم أعقبـناـ ذـلـكـ بـفـصـولـ ثـلـاثـةـ لـاـ بـدـ مـنـهـاـ عـنـ الـبـاعـثـ عـلـىـ حـرـكـةـ الـفـتحـ الـإـسـلـامـيـ ، وـعـنـ مـشـرـوـعـيـةـ الـقـتـالـ فـيـ الـإـسـلـامـ ، وـعـنـ عـوـاـمـلـ نـجـاحـ الـفـتوـحـ .

ترجمة مشا هير قادة الفتن^(١)

أبو محجن الثقفي

(ص ١٥٩)

أبو محجن بن حبيب الثقفي ، اختلف في اسمه فقيل مالك وقيل عبد الله وقيل اسمه كنيته وعلى أي حال فقد اشتهر بأبي محجن ، بن حبيب بن عمرو بن عمير بن عوف بن عقدة بن غيرة بن عوف بن قصي وهو ثقيف . كان من الأبطال الشجعان في الجاهلية والإسلام ومن أولي البايس والتاجدة من الفرسان الباهم وله مواقف . في حصار ثقيف بالطائف كان مشركاً ورمى عبدالله بن أبي بكر بسهم ودمى الجرح حتى عاد وانتقض عليه في شوال ١١ هـ فمات [الطبرى ٣ / ٢٢١] . ثم أسلم أبو محجن حين أسلمت ثقيف وسمع من النبي وروى عنه . قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « أخواف ما أخاف على أمري من بعدي ثلات : إيمان بالنجوم وتكذيب بالقدر وحيف الأئمة » .

وكان شاعراً مطبوعاً كريماً ، غير أنه كان منهكًا في الشراب لا يكاد يقلع عنه ولا يردعه حد ولا لوم لائم . كان أبو بكر يستعين به وجلده عر في المحر

(١) نورد هنا تراجم مشاهير القادة الذين لم ترد أسماؤهم وترجمتهم في كتاب « الطريق إلى المذاقين » .

مراراً، عن ابن جريج قال : بلغني أن عمر بن الخطاب حدأباً محجن بن حبيب في المحر سبع مرات. وقال قبيصة بن ذؤيب : ضرب عمر بن الخطاب أبا محجن الثقفي في المحر ثانية مرات. وقال ابن سيرين : فلما أكثر عليهم سجنوه وأوثقوه.

شهد حرب العراق مع أبي عبيد بن مسعود الثقفي وكان من هاجم الفيل معه فضربه على عرقوبه ، ثم كان مع المثنى يوم أليس الصغرى وانصرف منها .

وكانت ثقيف تسكن الطائف وقد كان ذا بساتين ونخل وكرم ، فنفاه عمر بسبب إدمانه المحر إلى جزيرة في الخليج الفارسي حيث لا كرم ، وبعث معه حارساً يدعى أبو جهراء البصري كان أبو بكر يستعين به ورجل آخر ليحمله في البحر إلى تلك الجزيرة ، فرأى الرجل سيفاً مع أبي محجن فخافه ، وقيل بل هم أبو محجن بقتله فهرب أبو جهراء وهرب منه أبو محجن ولحق بسعد بن أبي وقاص بالقادسية .

وتحتختلف الروايات حول سبب حبس أبي محجن في قصر القادسية ، فرواية تذهب إلى أنه كان من شغب على سعد حين استخلف خالد بن عرفة . وتذهب رواية أخرى إلى أن أبا جهراء لحق بعمر حين هرب منه أبو محجن فكتب عمر إلى سعد بسجنه . ورواية ثالثة تقول إن أبا محجن هو امرأة من الأنصار يقال لها شموس فحاول النظر إليها فلم يقدر فآخر نفسه من بناء كان يبني بيته يجانب منزلها فأشرف عليها من كوة وأنشد :

ولقد نظرت إلى الشموس ودونها حرج من الرحمن غير قليل
فاستعدى زوجها عمر فنفاه وكان ذلك سبب قصة أبي جهراء . وتقول رواية
رابعة أن سلمى سالت أبا محجن بعد أن عاد ليلة السواد « في أي شيء حبسك
هذا الرجل ؟ » قال : أَمَّا والله ما حبسني بحراً أكلته ولا شربته ولكني كنت
صاحب شراب في الجاهلية وأنا امرؤ شاعر يدب الشعر على لساني يبعثه على شفي
أحياناً فيمسأله لذلك ثنائي ولذلك حبسني ، قلت :

إذا مِتْ فادِنْتَيْ إِلَى أَصْلِ كَرْمَتَيْ
وَلَا تَسْدِنْتَيْ بِالْفَلَةِ فَإِنْتَيْ
أَخَافُ إِذَا مَتْ أَنْ لَا أَذْوَقْهَا
أَسِيرُ لَهَا مِنْ بَعْدِ مَا قَدْ أَسْوَقْهَا

[الحص مَكَانٌ مَشْهُورٌ بِخُمْرِهِ] - الطبرى / ٤ / ١٢٤ .

وَفِي هَذِهِ الْقَصَّةِ أَنْ سَعْدًا قَالَ لَهُ بَعْدَ بَلَانَةِ لِيَةِ السَّوَادِ :
« لَا أَجْلَدُكَ فِي الْخَرَ أَبْدَأُ » .

فَقَالَ أَبُو مُحْجَنٍ : « وَأَنَا وَاللَّهِ لَا أَشْرِبُهَا أَبْدَأُ . قَدْ كُنْتَ آنْفَ اَنْ أَدْعُهَا مِنْ أَجْلِ جَلْدِكَ » .

فَلَمْ يَشْرِبْهَا بَعْدٌ . وَحَكَائِيَّةُ أُخْرَى أَنْ سَعْدًا دَعَا بِهِ فَأَطْلَقَهُ وَقَالَ :
« اَذْهَبْ فَمَا أَنَا بِمُؤَاخِذَكَ بِشَيْءٍ تَقُولُهُ حَتَّى تَفْعَلْهُ » .
قَالَ : « لَا جَرْمٌ وَاللَّهِ لَا أَجِيبُ لِسَانِي إِلَى صَفَةِ قَبِيحِ أَبْدَأُ » .

وَنَسْتَطِيعُ مِنْ بَيْنِ هَذِهِ الرِّوَايَاتِ الْأَرْبَعَ أَنْ نَسْتَبِعَ الرِّوَايَتَيْنِ الثَّانِيَةِ وَالثَّالِثَةِ
الَّتِيْنِ ذَهَبْتَا إِلَى أَنْ حَبْسَ أَبِي مُحْجَنٍ كَانَ بِأَمْرِ مِنْ عَمْرٍ بِسَبِّ الْخَرِّ أَوْ بِسَبِّ
الشَّمْوَسِ ، فَلَوْ كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ مَا كَانَ مِنْ سُلْطَةِ سَعْدٍ أَوْ سَلْوَكٍ كَهُوَ يَفْرَجُ عَنْ
أَبِي مُحْجَنٍ قَبْلَ أَنْ يَرْجِعَ عَمْرًا . كَذَلِكَ نَسْتَبِعُ الرِّوَايَةَ الرَّابِعَةَ الْأُخْرَى الَّتِي
تَذَهَّبُ إِلَى أَنْ سَعْدًا حُبِسَ فِي الْخَرِّ أَوْ فِي شَعْرِهِ فِيهَا وَأَنَّهُ قَالَ لَا أَجْلَدُكَ فِي الْخَرِّ
أَبْدَأُ ، أَوْ مَا أَنَا بِمُؤَاخِذَكَ بِشَيْءٍ تَقُولُهُ حَتَّى تَفْعَلْهُ . هَذَا وَذَلِكَ غَيْرُ مَقْبُولٍ فِي شَرْعِ
اللَّهِ وَمَحَالُ أَنْ يُسْمَحَ لَهُ سَعْدٌ بِهَذَا أَوْ ذَلِكَ وَلَيْسَ فِي سُلْطَتِهِ شَرْعًا أَنْ يَفْعَلُ . لَذَلِكَ
أَخْذَنَا بِالرِّوَايَةِ الْأُولَى ، رِوَايَةُ الشَّغْبِ عَلَى خَالِدِ بْنِ عَرْفَةِ .

وَفِي الْأَخْبَارِ أَنَّ ابْنَأَنِي مُحْجَنَ دَخَلَ عَلَى مَعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سَفِيَّانَ فَقَالَ لَهُ
مَعَاوِيَةَ : « أَبُوكَ الَّذِي يَقُولُ : إِذَا مِتْ فَادِنْتَيْ إِلَى جَنْبِ كَرْمَتَيْ ... ؟ » الْخَ .

فَقَالَ ابْنَ أَبِي مُحْجَنٍ : « لَوْ شَتَّتْ ذَكْرَتْ أَحْسَنَ مِنْ هَذَا مِنْ شَعْرِهِ » .

قَالَ : « وَمَا ذَلِكَ ؟ »

قَالَ : « قَوْلُهُ » :

وسائل الناس عن حزمي وعن خلقي
إذا تطيش يد الرعدية الفرق
وأكتم السر فيه ضربة العنق
وعامل الرمح أرويه من العنق
وإن ظلمت شديد الحقد والحق
وقد أكره وراء المجر الفرق
وقد تثوب سوام العاجز الحق
ويكتسي العود بعد اليبس بالورق
[مسدولاً عساكره : كثيرة لا تخترق ، أكتم سر من أمامي بضربي عنقه
فلا ينطق بسره ، عامل الرمح : نصل سنه ، العنق : العروق ، الفرق : الخائف].

قال معاوية : « لئن كنا أسانا القول فلنحسن لك الفعل ».
وأجزل جائزته وقال : « إذا ولدت النساء فلتلدن مثلك ».
ويذهب بعضهم إلى أنه كان عبيد بن أبي محجن وأن ذلك كان مع عبد الملك
بن مروان .

قال هيثم بن عدي إنه أخبره من رأى قبر أبي محجن الثقفي بأذربيجان أو
قال في نواحي جرجان وقد نبنت عليه ثلاثة أصول كرم وقد طالت وأثرت
وهي معرّفة على قبره ومكتوب على القبر « هذا قبر أبي محجن الثقفي ». قال :
فجعلت أتعجب وأذكر قوله إذا مت فادفني إلى جنب كرمة (البيت) [الطبرى
الاستيعاب ١٨١/٤ كنى - الإصابة ١٠١٧ كنى - فتوح البلدان ٦٢٥ - ٦٢٦ - ٦٤١] .

(ص ٩٤)

الأسود بن يزيد النخعي

الأسود بن يزيد بن قيس النخعي من كبار التابعين من الكوفيين وهو صاحب
عبد الله بن مسعود . روى عن أبي بكر وعمر وكان فاضلاً عابداً . كان يصوم

الدهر وكان يصوم في اليوم الشديد الحر الذي إن الجل الجلد الأحمر ليرنح فيه ، وحقى كان يسود لسانه من الحر وكان يصوم في السفر حتى يتغير لونه ، وقد ذهبت إحدى عينيه من كثرة الصيام . وكان علامة يقول له : ما تعذب هذا الجسد ، فيقول : إنما أريد له الراحة . وقد طاف الأسود بالبيت مائين ما بين حجة وعمره . وكان يقرأ القرآن في ست وروي أنه كان يقرأ في رمضان في ليلتين . وعن عائشة أنها قالت : ما بالعربي رجل أكرم على من الأسود . وكانت أمه مقعدة . وكان أصفر الرأس واللحية وعمامته سوداء يرسلها من خلفه . وحين حضرته الوفاة عام خمس وسبعين قال لرجل كان عنده : إن استطعت أن تلقيتني حتى يكون آخر ما أقول لا إله إلا الله فافعل ولا تجعلوا في قبري آجرأ ولا تتبعوني بصوت . [الطبقات الكبرى ٤٦ / ١ - الاستيعاب ١ / ٧٥] .

(ص ٢٠٥)

زيد بن صوحان

أسلم في عهد النبي وصحابه ، وفي الاستيعاب أنه لا يعلم له صحبة . وكان فاضلاً ديننا خيراً سيداً في قومه هو وإخوته . شهد يوم الجمل وكان معه راية عبد القيس وحمل يومها من المعركة وقد أختنثه الجراح فقال له أصحابه هنيئاً لك الجنة يا أبا سلمان . فقال : وما يدريكم ؟ غزونا القوم في ديارهم وقتلنا إمامهم فيما ليتنا إذ ظلمنا صبرنا ولقد مضى عتاق على الطريق . ثم مات ، وسميت عائشة أم المؤمنين صوت خالد فقالت : خالد بن الواشمة ؟ قال : نعم . قالت : أنشدك الله أصدقني أنت إن سألك ؟ قال : نعم وما يمنعني ، قالت : ما فعل طلحة ؟ قال : قتل . قالت : إن الله وإنما إليه راجعون . ما فعل الزبير ؟ قال : قتل . قالت : إن الله وإنما إليه راجعون . قال : بل نحن الله ونحن إليه راجعون على زيد وأصحاب زيد . قالت : زيد بن صوحان ؟ قال : نعم . قالت : خيراً . فقال والله لا يجمع الله بيننا في الجنة أبداً . فقالت : لا تقل فإن رحمة الله واسعة وهو على كل شيء قادر .

سعد بن عبيد الانصاري

(ص ٢٠٢)

سعد بن عبيد الانصاري حلّيف بني فزاره . شهد بدرًا ، وقيل هو أبو زيد الذي جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ ، وقيل أبو زيد غيره فكان أحد أربعة من الأنصار جمعوا القرآن في حياة النبي و كان يسمى القاريء ولم يكن أحد يسمى القاريء غيره وكان يوماً في مسجد قباء في زمن النبي . كان ثالثي من تطوع لحرب الفرس بعد أبي عبيد الثقفي وذلك بعد وفاة أبي بكر حين قدم المثنى إلى المدينة يطلب المدد [ارجع إلى الجزء الثالث من كتاب « الطريق إلى المدائن »]. هرب يوم الجسر فكانت الوجوه تعرض عليه بعد ذلك فیأبی إلـ العـرـاـقـ وـيـقـوـلـ : « إن الله جلـ وـعـزـ اـعـتـدـ عـلـيـ » فيها بفرة فلعله أن يردد على فيها كرة ». روى البخاري في تاریخه عن طارق بن شهاب قال: شهد سعد بن عبيد القادسية فقال: « إنا مستشهدون غداً فلا تكفونا إلا في ثيابنا التي أصبنا فيها ». فاستشهد وهو ابن أربع وستين سنة . وهو سعد بن عبيد بن النعيمان بن قيس بن عمرو بن زيد ابن أمية بن ضبيعة بن زيد بن مالك بن عوف الأوسي . وكان ابنه عمير والي عمر بن الخطاب على الشام . [الإصابة ٣١٧٦ - الاستيعاب ٢ / ٣٨] .

طلیحة بن خویلد

طلیحة بن خویلد بن نوبل بن نصلة بن الأشتر بن جحوان بن فقعن . بعد شهرین من غزوة أحد بلغ النبي أن طلیحة وأخاه سلمة على رأس بني أسد يحرضانهم ومن أطاعهما لهاجمة المدينة ، فأرسل النبي إليهم أبا سلمة بن عبد الأسد في سرية من مائة وخمسين منهم أبو عبيدة بن الجراح وسعد بن أبي وقاص وأسید ابن حضير وأمرهم بالسير ليلاً والاستخفاء نهاراً وسلوك طريق غير مطروق حتى فاجأوهم ففروا وطاردوهم ثم رجعوا ومعهم غنائم . وكان طلیحة زعيم بني أسد مع الأحزاب يوم قدموا يريدون غزو المدينة فلما عصفت الريح وهطل المطر وقف الرعد خیل له أن المسلمين انتهوا الفرصة ليعبروا إليهم الخندق فقام ونادى : « إن محمدآ بدأكم بشر فالنجاة النجاة ». وقام أبو سفیان يؤید الانصراف

فانصر فوا . ثم وفد طليحة على النبي ﷺ في وفد بني أسد و كان معه ضرار بن الأزور و آخرون فأسلموا . و قبل وفاة رسول الله ارتدَّ طليحة وادعى النبوة حتى أوقع به خالد بن الوليد في براخة من منازل بني أسد عام ١١ هـ و هرب طليحة إلى الشام ثم عاد إلى الإسلام وأحرم بالحج و رأه عمر فقال له : « إني لا أحبك بعد قتل الرجلين الصالحين عكاشه بن محسن و ثابت بن أقفرم » و كانا طليعين خالد في حرب الردة فلقيهما طليحة و سلمة فقتلاهما . قال طليحة لعمر : « هما رجلان أكرمهما الله بيدي و لم يهني بأيديهما » . و حسن إسلام طليحة و كان من الفرسان الأبطال ، شهد القادسية و نهاوند و يقال استشهد بها .

مراجع البحث المهمة

ابن حجر المسقلاني – التجارية	الإصابة في تميز الصحابة (١٩٣٩)
المقدسي	أحسن التقاسم
ابن الأثير – دار الشعب بالقاهرة	أسد الغابة في معرفة الصحابة
البلاذري	أنساب الأشراف
يوسف بن عبد الله القرطبي – التجارية	الاستيعاب في معرفة أسماء الأصحاب
أبو الفداء ابن كثير	البداية والنهاية في التاريخ
الجاحظ	البيان والتبيين
محمود شكري الآلوسي	بلغ الارب في معرفة أحوال العرب
الجاحظ	البخلاء
الخطيب البغدادي	تاريخ بغداد
الطبرى – دار المعارف بصر	تاريخ الأمم والملوك
محمود الدرة	تاريخ العرب العسكري
ابن حجر	تهذيب التهذيب
القرطبي – دار الكتب المصرية	الجامع لأحكام القرآن
د . جاسم محمد الخلف	جغرافيا العراق الطبيعية
هاشم السعدي	جغرافية العراق الحديث
طه الهاشمي	الجغرافية العسكرية
مديرية الآثار العراقية ببغداد	خريطه العراق الأثرية

حركة الفتح الإسلامي في القرن الأول	د. شكري فیصل
الخراج وصنعة الكتابة	قدامة بن جعفر - 1889 Brill
ديوان الشماخ بن ضرار	دار المعارف
الدرر في اختصار المغازي والسير	ابن عبد البر
شعر الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام	النعمان عبد المتعال القاضي - القومية
صحيح البخاري	شرح الكرماني - المطبعة المصرية
الطبقات الكبرى	ابن سعد
عيون الأخبار	ابن قتيبة - دار الكتب المصرية
فتح البلدان	البلاذري - نشر صلاح الدين المنجد
الفاروق القائد	لواء محمود شيت خطاب - دار الشعب
الفتح العربي للعراق وفارس	محمد فرج - دار الفكر العربي
الفروسيّة العربيّة في العصر الجاهلي	سيد حنفي - سلسلة إقرأ رقم ٢١١
قادة الفتح العربي للعراق وفارس	لواء محمود شيت خطاب - دار القلم
لسان الميزان	ابن حجر
الكامل في التاريخ	ابن الأثير
معجم القبائل العربية القديمة والحديثة	محمد رضا كحالة
مفصل جغرافية العراق	طه الهاشمي
مسند الإمام أحمد	أحمد بن حنبل
معجم البلدان	ياقوت الحموي
المسالك والمالك	ابن خرداذية
نابليون	أمييل لود فيج
وفيات الأعيان	ابن خلkan

The Memoirs Field Marshal Viscount Montgomery .

فهرس الخرائط والاشكال

أ - الخرائط

الموضوع	رقم	الصفحة
منطقة التحرّكات	١	٢٨
حشود شبه الجزيرة لجيش القادسية	٢	٣٨
صنيف (١)	٣	٤٨
تحرك رسم	٤	٨٥
موقع الجيشين قبل المواجهة	٥	٩٠
موقع ما قبل المعركة	٦	١٠٠
القادسية (١)	٧	١٢٠
(٢) «	٨	١٣٦
(٣) «	٩	١٣٨
(٤) «	١٠	١٤٠
(٥) «	١١	١٤٣

(١) ورد رقمها (٥) ص ٤٨ خطأ يرجى تصحيحه .

<u>الموضوع</u>	<u>رقم</u>	<u>الصفحة</u>
القادسية (٦)	١٢	١٥٧
(٧) *	١٣	١٨٦
(٨) *	١٤	١٩٠
(٩) *	١٥	١٩١
(١٠) *	١٦	١٩٣
(١١) *	١٧	١٩٩
ب - الأشكال		
توبية المسلمين	١	١٧٧
توبية الفرس	٢	١٧٨
ج - اللوحات		
فروع قحطان	١	٣٧
فروع عدنان	٢	٣٧
الميكل التنظيمي لجيش سعد	٣	٤٠

فهرس الاعلام

ازاذمرد بن ازاديه	٢٩	٤٧	٤٩	٧٩
آزرميدخت	٥٧			
الأسود بن يزيد النخعي	٩٤	٩٦	١٩٦	٢٤٨
الأسود بن قطبة	٢٠٨			
أشعث بن عبد الحجر	٢٠٧			
الأشعث بن قيس الكندي	٣٥	٣٥		٦٥
	٦٨	١٣٩	١٧٩	١٨٧
الأعرف بن الأعلم العقيلي	١٥٣			
أكيدر (ملك دومة الجندل)	٦٨			
ام فروة بنت أبي قحافة (اخت				
أبي بكر)	٦٨			
آمين مارسلين	١٧٨			
انس بن عبد الله السلمي	١٥٠			
انس بن الحليس	١٨٢			٢١٢
انس بن مالك	١٨٨			
أهود	١٩٤			
أوس بن مغراء	١٢٩			
أرطأة بن كعب النخعي	٢٣	٢٤	١٨٠	١٢٩
ابن بقيلة	٨٦			
ابن ظبيان	١٥٣			
ابن المذيل الكاهلي	١٩٤			
ابن ذي البردين الهمالي	١٧٧			
ابن الهربند	١٩٤			
ابن المثنى الجشمي	٣٦			
أبو بكر (الصديق)	١٤	١٥	١٧	
أبو سبرة بن ذؤيب	٣٥	٢٣		
أبو عبيدة الثقفي	١٩٤	٦٣	٣٠	
أبو عبيدة بن الجراح	٤٤	٤٤		
أبو الهياج بن مالك الأستدي	٢١٣	٢١٤		
أبو محجن الثقفي	١٥٩	١٦٠	٢٤٥	
أروى بنت عامر الهمالية			٢١٢	

ب

بسر بن أبي رهم الجوني ٦٥ ٦٦ ١٠٤
 ٢١٦ ١٩٤ ١٣٠
 بشر بن عبد الله الهملاي ٣٦ ٢٣
 بشير بن الحصاصية ٢٩
 بكير بن الشداح ٢٠٠
 بكير بن عبد الله الليثي ٤٧ ٢١٢
 بندوان ٨٣ ١٥٢

ح

حاجب بن زيد الانصاري ١٤٩ ١٦٥
 الحارث بن حسان الذهلي ٦٥
 الحارث بن قوم البهزي ١٥٦
 حذيفة بن محصن ١٠٤ ١٠٧
 الحصين بن غير السكوني ٢٥
 الخطيبة ١٢٩
 حمال بن مالك الاسدي ٤١ ١٣٧
 ١٥٨ ١٧١
 سحمة بن جويبة الكناني ٦٥
 حميسة بن النعمان بن حميسة البارقي ٢٣
 ٣٥ ٩٢ ١٨٢
 حنس بن الحارث بن لقيط النخعي ٢١١
 حنظلة بن الربيع التميمي (حنظلة
 الكاتب) ٦٥ ٦٧ ١٧٩ ١٩٤

ت

ترك الطبرى ١٨١

ج

جابان ٦٢ ٦٧ ٢٢١
 جابر بن أبي سبرة الاسدي ٩٢
 جالوس ٦١ ٦١ ٨١ ٨٢ ٨٤ ٨٩ ٢٠١ ١٩٣ ١٣٨

خ

خالد بن عرفطة ٣٩ ١٢٦ ١٥٩ ١٩٦

زرنا (النجم الهندي) ٦٢	خالد بن ملجم ٢٦
خالد بن الوليد ١٩	زهرة بن عبد الله بن قتادة بن الحوية ٦٨
١٩٥	٤٥ ٣٠ ٢٧
٣٩	١٢٥ ١٠٢ ٩٩ ٤٦
٢٤٠ ٢٠٠	١٧٨
زياد بن أبي سفيان ٤٢	خديجة بنت خويلد ١٧
٣٠	١٩٤
زيد بن حارثة ١٧	الخنساء ١٤٦
٢٤٩ ٢٠٤	

د - ر

دريد بن كعب النخعي ١٨٠	
ربعي الذهلي السدوسي ٢٠٩	
ربعي بن عامر ١٣١ ١٠٤ ٣٦	
ربيع بن البلاد السعدي ١٣٠	
الربيع بن مطر بن بلخ التميمي ٢٠٩	
ربيعة بن عثمان بن ربيعة ١٣٣	
ربيعة بن مقروم الضبي ٢٠٩	
الربيل بن عمرو ١٣٧ ١٥٨ ١٧١	
رسنم بن الفرخزاد ٦٠ ٥٨ ٥٧ ٥٥	
٧٨ ٨١ ٨٣ - ١١٤ ١٠١ ٨٩ ٨٣	
١٣١ ١٢٣ ١٧٧ ١٩٠ ١٩٧	
٢٣٨ ٢٢١	
الرفيل ١٧١ ١٠٨ ٨٨	
رومبل ١٦٢	

ز

زاد بن بهيش ٩٤ ٩١ ٩٠

ع

عاصم بن عمرو التميمي العمري ٣٩
 ١٢٨ ١٢٥ ٩٢ ٦٨ ٦٥ ٥٣
 ١٧٧ ١٤١ ١٣٣ ١٧٢ ١٥٨ ١٤١
 ٢٢٤ ١٩٤
 عبد الله بن المتم ١٢٥ ٣٩ ٢٢٣
 عبد الرحمن بن ربيعة الباهلي (ذو
 النور) ٤١ ١٩٤
 عبد الله بن أم كلثوم ١٨٨
 عبد الله بن الزبير ٢٦
 عبد الله بن ذي السهمين الحشمي ٣٥
 ١٨٧ ١٧٧ ٤١

عبد الرحمن بن عوف ١٥ ١٦
 عبدة بن الطيب ١٢٩
 عبيدة بن الحارث ١٨

عتبة بن فرقد السلمي ٢١٢
 عتبة بن غزوان ١٨

عتيبة بن النهاس ٢٩

عتاب بن ذئم بن عتاب ١٥٢ ١٥٨

عثمان بن رجاء السعدي ٢١١

عثمان بن عفان ٢٦

عدي بن حاتم ٢٧ ٣٥

عدي بن سهيل ٦٥

شبر بن علقة العبدلي ١٦٩

شداد بن ضميج ٣٤ ٢٣

شرحبيل بن السمط بن شرحبيل
 الكندي ٣٩ ١٩٦ ٢٢٣

شريح بن عامر ٣١

شقيق بن سلمة (الأسدية) ١٣٧ ١٩٦

الشماخ بن ضرار ٤٧ ١٢٩

شهربراز ١٦٦

شهريار بن كنارا ١٩٥

شيبان بن المخبل التميمي ٥٠

شيرزاد بن آزادبه ٤٩

ص

صلوبا بن نسطونا ٥٥

ض

ضرار بن الخطاب القرشي ١٨٠ ١٩٣

٢٣٨ ٢٢٥

ط

طلحة ١٤ ١٩

طليحة بن خويلد الأسدية ٩٣ ١٣٧

١٧٤ ١٥٨ ١٧٥ ١٨٠ ٢٠٨

٢٣٨ ٢٢٨ ٢٥٠

ف	عرفة بن هرثة ١٠٤	٣٥
فرات بن حيان العجلي ٦٥	عصام بن المقصعر ٢٠٨	٢٩
فريخاذ الاهوازي ١٩٤	عصمة بن عبد الله ٣٦	
فريزان ٨٢	طارد بن حاجب التميمي ١٩٤	٦٧
فيروز الجوسي (قاتل عمر) ٦٩	عفان بن حرب ١٧٤	
ق	علباء بن جحش العجلي ١٥٣	
قابوس بن قابوس بن المنذر ٢٩	علقمة بن هودة ٥٠	
قرفة بن زاهر التميمي الوائلي ١٠٤	علي بن أبي طالب ١٩	١٧
قطبة بن قنادة السدوسي ٣١	١٥	١٤
القمقاع بن عمرو ١٥٥	١٧	١٥
قيس بن حذيم بن جرثومة ١٣٤	٢٦	٢١
قيس بن عبد يفوث المرادي ١٨٧	عمار بن ياسر ١٨	
قيس بن هبيرة الأسدية ٩٤	عمر (ابن الخطاب) ٢٠	١٩
٩٧	١٥	١٤
١٢٩	٢٣	
١٦٧	٥٧	٥٠
١٧٢	٤١	٣١
١٦٧	٢٦	
١٧٨	٢١٥	٢١٣
١٥٦	٢٠٤	٢٠٢
١٥٨	١٣٣	٦٩
١٦٧	٦٩	٦٦
١٦٢	٩٣	٩٧
٢٢٤	١٣٤	٩٧
٢١٢	٢٢٣	٢١٦
١٩٦	١٨٢	١٧٤
١٨٥	٣٥	٢٧
١٧٧	٨٠	
١٧٩	عمر بن شاؤس الأسدية ٢٠٢	١٤٤
١٧٠	عمر بن شبيب بن زنباع ١٥٨	١٥٢
١٧٥	عمر بن الهيثم ٦٣	
٢٠٨	غالب بن عبد الله الأسدية ١٣٣	
٢٢٣	غالب بن عبد الله الليثي ١٢٩	٣٦
٢١٠	٢٢٤	١٨٠
قيس بن أبي حازم العجلي	١٣٧	١٣٠
ك	غ	
كلاب بن أمية بن الاسكر ٥٠	غالب بن عبد الله الأسدية ١٣٣	
كتاري ٩٠	غالب بن عبد الله الليثي ١٢٩	٣٦

مالك بن ربعة التميمي ٨٠

المثنى بن حارثة ١٩ ٢٧ ٣٠ - ٤٣

محمد بن حذيفة بن اليان ٢٤

مذعور بن عدي العجلي ١٠٤

المساور بن النعمن التميمي ٨٠

مسعود بن مالك الأسدى ١٧٧

مسلم (الفارسي) ٩٦ ١٧٦

المضارب بن يزيد العجلي ١٠٤

معاوية بن خديج ٢٥ ٢٨ - ٣٥

معبد بن مرة العجلي ١٠٤

المعروف بن سويد (الأسدى) ١٣٧

المعنى بن حارثة ٢٩ ٤٣ ٦٣ ٦٦

٧٠

المغيرة بن زرارة بن النباش الأسدى

٧٤ ٦٥

المغيرة بن شعبة ٣١ ٣٤ ٣٩ ٦٦

٦٨ ١٠٩ ١٩٥

المقداد بن عمرو ١٨

منقى بن الحصين ٢٠٩

المندى بن حسان ٣٦

مهران بن بهرام الرازي ٨١ ٨٩ ١٣٢

٢٢١

موتفومري ١٦٢

نابليون ١٦١

نذير بن عمرو ٥٣ ٢١٢

النعمان بن مقرن المزني ٦٥ ٦٦ ٧٣

النسير بن ديسن العجلي ٢٠٩

نعميم بن عمرو بن عتاب ١٥٢ ١٥٨

هاشم بن عتبة بن أبي وقاص ١٥٠

٢٢٠ ٦٦٧

هرمز ٩١

هرمزان ٨١ ٨٩ ١٩٣ ١٩٤

٢٢١

الهزهار بن عمرو العجلي ١٥٠

هنيدة بن عامر ٢١٢

هلال بن علفة التميمي ٣٦ ١٩١ ١٩٨

٢٢٥

هلال المجري ٤٢

الوليد بن عبد شمس ٥٣

يزدجرد الثالث (ابن شهريار) ٥٥

٦٠ ٦٦ ٧٢ ٧٤

يزيد بن الحارث الصدائي ٢٣ ٣٥

يعفور بن حسان النهلي ١٥٦

فهرس المواقع والبلدان

أ	الآبلة ٣١ ، ١٢٥
	الأعوص ٢٥
	أليس. الآخرة ٢١٣
	الأنبار ٥٤
	الأهواز ٣١
	ایران ٣١
	آية ١٢٥
ت	بهرسید ٢٣٢
	البويب ٦٧ ٢٠٩
ث	تستر ٦٧ ٩١
	التعلبية ٢٧
ح	الحزن ٢٧
	حضرموت ٢٣ ٣٤
	الحيرة ١٨ ٢٦ ٣٠ ٨٦ ٢٢٧
خ	الخرارة ٢٠٠
	خفان ١٠٢
	خندق سابر ١٩٧ ٢١٩
	الخورنق ٥٦
ب	بابل ٢٣٢
	بانيقا ٢١٣
	برس ٢٢٨ ٨٤ ٢٣١
	بسما ٢١٣
	البسطة ٢٧
	البصرة ٣٠ ٣١

دارس ٣١
دير الأعور ٨٦

ط

طينزَنَبَادَ ٩٢

ع

العتيق ١٨٩ ، ٢٢٢

عذيب القوادس ٤٤

عذيب المجنات ٤٤

العذيب ٣٩ ٤٧ ١٦٦ ٢٢٨

زرود ١٥٠ ٣٠ ٢٤ ٢٢ ١٢ ٢٣١ ٢٢٧ ٣٥ ٣١ ٢٦ ٢٥

عين التمر ٩١ ٦٨

ذِي قار ٢٩

ز

سباط ٦١ ٧١ ١٢٤ ٨٣ ٢٢٧

السراة ٢٣

سوى ٦٧

سيراف ٢٨

السيلحين ٧٩ ٢٠١ ٢٢٧

ش

الشام ٢٤

شراف ٣٠ ٣١ ٢٢٩ ٣٩ ٢٣١

القادسية ١٦ ٤٤ ٤٥ ٤٦

١٩٧ ١٨٥ ١٦٥ ٢١٨

٢٢٧ ٢٢٣ ٢٣١ ٢٣٥

ص

الصَّدَف ٢٣

صرار ١٢ ٢٣ ٢٥ ٢٣١

قس الناطف ٥٥

القطقطانة ٣١ ٣٠

صنين ٤٧

نجد ١٢	ك
النجف ٨٤	
النفوذ ٢٦	كسكر ٤٥
النارق ٦٨	كوثى ٨٤
نهر كرى سعده ٢١٩	ل
ه	اللسان ٢٣٢
هذان ٥٧	م
هيت ٢١٩	
	المدائن ١٨ ١٩ ٢٢٧ ٢١٣ ٤٥ ٣٠
و	٢٣٠ ٢٣٢
وادي مشرق ١٩٧	المدينة المنورة ٢٦ ١٨ ١٤ ١٢
الولجة ٦٧	المدار ٣١
	مشرق ١٤٩ ١٩٧
ي	مكة المكرمة ٤٢
	ميسان (بين البصرة وواسط) ٥٣
يثرب ١٨	ن
اليرموك ٦٨	
اليمن ٢٤ ٢٣	النجف ٧٩

محتوى الكتاب

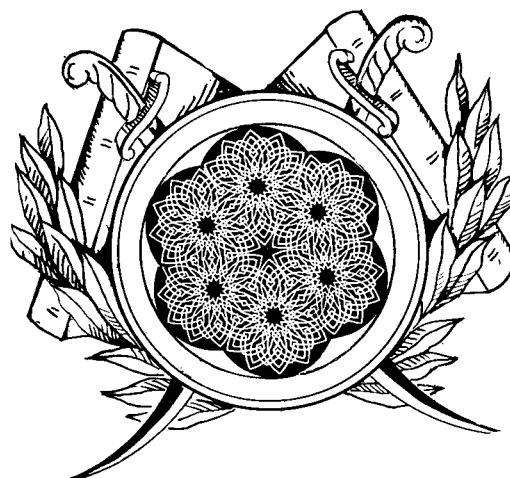
الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٧	تقديم	٢٣	رحيل الحملة
٩	الباب الأول		التجمع
١٢	القادسية في التاريخ المعارك الحاسمة		حوار مع عمر
١٦	القادسية معركة حاسمة من يقود الحملة هل يقودها عمر العدول عن ذلك قائد الحملة سعد بن أبي وقاص إسلامه هجرته وجهاده سعد بين القيادة	٣٤	وداع وخطاب المسير في ذمة الله المثنى بن حارثة لفتة نحو الابلة أوامر ووصايا تنظيم الحملة من ولد قحطان من ولد عدنان
	الباب الثاني	٤٣	خطة الحملة

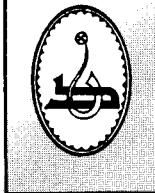
الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٧١	المراسلات قبل ذهاب الوفد رسالة إلى عمر الوفد في أعين الفرس اجتماع بيزنجرد النعمان يتكلم مقالة المغيرة بن زرارة جواب بيزنجرد تهوיש الوفد يعود الجوس يتشاءمون	٤٦	وصية المثنى أوامر عمر خطبة القادسية نزول الحملة القادسية جاسوس بالقادسية أسرروا زفة انتظار بالقادسية فيها فجاهد غارات تموينية يوم الأباقر
٧٩	يوم الحيتان	٥٥	رسم في مواجهة سعد مراسلات من رسم حتى تحيي المعركة
٨١	الباب الرابع رسم يتحرك جيش رسم هواجس رسم يتباطأ اغتصاب متهمون	٦٠	دبشيم الملك وبيديبا الفيلسوف دولة تتبع التنجيم قائد بالإكراه
	بات مع الملائكة ثبات على الخطبة زحف السلاحف		الباب الثالث دعوة إلى الإسلام وفد إلى بيزنجرد من هؤلاء الوفد

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
١٥٩	ليلة السواد	١٢٢	أرمات
١٥٩	جوائز من عمر	١٢٢	مصفاف
١٥٩	قمعاعية جديدة	١٢٢	عبور
١٥٩	الطراود والمبازله	١٢٢	سلاح الإشارة
١٥٩	مصرع بهمن جاذويه	١١٨	نهاية المفاوضات
١٤٩	أغوات	١١٨	سائر الوفد
١٤٩	جيش خالد يعود	١١٨	المفيرة بن شعبة
١٤٩	القعقاع في المعركه	١١٨	حديفه بن محسن
١٤٦	ليلة المدها	١١٨	رسلي إلى رستم
١٤٦	لماذا أرمات	١١٨	بين رستم وزهرة
١٤٦	نتيجة يوم أرمات	١١٨	وصلت السلاحفه
١٤٢	وامتناه	٩٩	آخر الطريق
١٣٧	الزحف	٩٩	وجهأً لوجه
١٣٧	الطراود	٩٩	الباب الخامس
١٣٧	أربع تكبيرات	٩٩	غارة أخرى
١٣٧	أوضاع الجيشين	٩٩	مسلم الفارسي
١٣٧	الخاس المعركه	٩٩	غارة تموينية
١٣٧	شعب	٩٩	وغارة استكشافيه
١٣٧	سعد مريض		

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
	وأرسلنا عليهم ريحًا		أبو محجن في المعركة
	مصرع رستم		سعد ينام في المعركة
	محاولة انسحاب		لماذا أغوات
	ومحاولة للصمود		
	مطاردة قريبة		
	دفن الشهداء		باب الثامن
	جثة رستم		عماش ١٦٥
	ثم مطاردة عميقة		الشهداء والقتلى
	مصرع جالنوس		ثم جاء هاشم
	بين سعد وزهرة		رجوع الفيلة
	لا عليك يا أخي		الطراد والمبازرة
			الأفيال في المعركة
	باب العاشر		الزحف بعد الظهر
			تصرف من طليحة
			لماذا عماش
٢٠٧	بعد المعركة	١٧٧	ليلة الهرير
	مهرجان الشعر		زحف بغير إذن
	أسر الشهداء		التعام رهيب
	الغالب والمغلوب		
	سعد يسأل		
	لا رخصة في العدل		باب التاسع
	الأنفال		
٢١٨	خريطة القادسية		يوم القادسية
	١ - الأساس الجغرافي		الصباح المريع
			رأس حربة نحو رستم
			الإيغاثة سلاح المسلمين

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٢٤٣	خاتمة	٢٢٦	٢ - تعبئة رسم
٢٤٥	ترجمة مشاهير قادة الفتح	٣	٣ - تعبئة سعد
٢٥٢	مراجعة البحث المهمة	٢٣٣	٢٢٦ توقيت القادسية
٢٥٥	فهرس الخرائط والأشكال	٢٣٣	القادسية معركة
٢٥٧	فهرس الأعلام	دراسة الموارد المتاحة للمعركة	جندية ممتازة
٢٦٣	فهرس الواقع والبلدان	٢٣٣	دراسة واعية للعملية
٢٦٦	محتوى الكتاب	٢٣٣	مزايا أرض القادسية
٢٧٠	تصويبات	٢٣٣	ضيق وسعة
		٢٣٣	اتجاه الشمس
		٢٣٣	اتجاه الرياح





من منشورات "دار النفائس"

- موطأ الإمام مالك (رواية يحيى بن يحيى الليثي) ، تحقيق أحمد راتب عمروش .
- مستند عبد الله بن عمر (تخریج أبي أمية الطرسوسي) ، تحقيق أحمد راتب عمروش .
- الفضل المبين على عقد الجوهر الشين (في علوم الحديث) للقاسمي .
تحقيق عاصم البيطار .

- الفوائد ، ابن قيم الجوزية ، تحقيق أحمد راتب عمروش .
- الانصاف في بيان أسباب الاختلاف (للدھلوي) ، تحقيق أحمد راتب عمروش .
- مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة ، للدكتور محمد حميد الله .
- البيان في آداب حملة القرآن (للنوري) ، تحقيق الشيخ عبد العزيز السيروان .
- مختصر سيرة ابن هشام . تحقيق عفيف الرعبي وعبد الحميد الأحدب .
- نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي ، ظافر القاسمي .
- عقريبة الإسلام في أصول الحكم ، الدكتور منير العجلاني .
- تاريخ الدولة العلية العثمانية لمحمد فريد ، تحقيق د. احسان حقي .
- معجم لغة الفقهاء ، الدكتورين محمد رواس قلعة جي وحامد صادق قنبي .
- الفتنة ووقعة الجمل ، رواية سيف بن عمر ، إعداد أحمد راتب عمروش .
- دلائل النبوة ، للأصبhani . تحقيق الدكتور محمد رواس قلعة جي والاستاذ عبد البر عباس .
- سلسلة فقه السلف ، الدكتور محمد رواس قلعة جي .
- سلسلة استراتيجية الفتوحات الإسلامية ، أحمد عادل كمال .
- سلسلة مشاهير قادة الإسلام ، بسام العسلي .
- سلسلة مشاهير الخلفاء والأمراء ، بسام العسلي .

صَدَرَ عَنْ دَارِ النَّفَائِسِ لِلْمُؤْلِفِ

● استراتيجية الفتوحات الإسلامية

- ١ - الطريق الى المدائن
- ٢ - القادسية

٣ - سقوط المدائن ونهاية الدولة الساسانية

٤ - الطريق إلى دمشق

● جداول التقويم الميلادي المقابل للتقويم الهجري في سني الفتوحات الإسلامية .

